١٥٠١

RAĞIP P.
Ka. N.
1491

وقف مصطفى ابن الحاج

ابراهيم افندى

R.

فهرست كتاب شفا

القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى على اربعة ابواب ٣

الباب الاول في ثناء الله تعالى واظهار عظيم قدره على عشرة فصول ٣

الفصل الاول فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن ٣

الفصل الثاني في وصفه تعالى بالشهادة وما تعلق بها من الثناء والكرامة ٥

الفصل الثالث فيما ورد من خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة ٦

الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره ٧

الفصل الخامس في قسمه تعالى جده له لتحقق مكانته عنده ٨

الفصل السادس فيما ورد من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة والاكرام ٩

الفصل السابع فيما اخبر الله به في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الانبياء عليهم السلام وحظوة رتبته ١٠

الفصل الثامن في اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفعه العذاب بسببه ١١

الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته ١١

الفصل العاشر فيما اظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه من قصة الاسرى ١٢

الباب الثاني في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا ١٣

فيه فصول فصل في خصال الجلال والكمال ١٣

فصل اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه في حسنها ١٤

فصل واما نظافة جسمه صلى الله عليه وسلم وطيب ريحه ١٤

فصل واما فصاحة اللسان وبلاغة القول ١٥

فصل واما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله ١٥

فصل واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشأه ومنبته ١٦

فصل واما ما تدعو ضرورة الحياة اليه مما فصلناه فعلى ثلاثة ضروب ضرب الفضل في قلته ١٧

فصل الضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه ١٨

فصل واما الضرب الثالث فهو ما يختلف الحالات ١٩

فصل واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة ١٩

فصل اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ٢٠

فصل واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره ٢٠

فصل واما الجود والكرم والسخاء والسماحة ٢٢

فصل واما الشجاعة والنجدة ٢٢

فصل واما الحياء والاغضاء ٢٣

فصل واما حسن عشرته وادبه ٢٣

فصل واما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق ٢٤

فصل واما خلقه في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم ٢٤

فصل واما تواضعه على علو منصبه ورفعة رتبته ٢٥

فصل واما عدله وامانته وعفته ٢٥

فصل واما وقاره وصمته وتؤدته ومروءته وحسن هديه ٢٦

فصل واما زهده في الدنيا فقد تقدم من الاخبار ٢٦

فصل واما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته ٢٧

فصل علم ان صفات جميع الانبياء والرسل ٢٧

فصل في ختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن رض ٢٩

فصل في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشذب ٣٠

الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ... وحصرنا في اثني عشر فصلا الاول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء ٣١

فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء ٣٤

فصل في اثبات كون الاسراء بروحه وجسده ٣٦

فصل في ابطال حجج من قال انها نوم ٣٧

فصل واما رؤيته لربه عز وجل ٣٨

فصل واما ما ورد في حديث الاسراء وظاهر الاية من الدنو والقرب من قوله دنى فتدلى ٣٩

فصل في ذكر تفضيله في القيامة بخصوص الكرامة ٤٠

فصل في تفضيله بالمحبة والخلة ٤١

فصل في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود ٤٢

فصل في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة ٤٤

فصل في اسمائه عليه السلام وما تضمنته من فضيلته ٤٥

فصل في تشريف الله تعالى له بما سماه من اسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى ٤٧
فصل اعلم ان الله جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته ٥٠
فصل اعلم ان تسميتنا ما جاءت به الانبياء معجزة ٥٠
فصل في اعجاز القرآن ٥١
فصل الوجه الثاني في اعجازه ٥٣
فصل الوجه الثالث من اعجازه ٥٣
فصل الوجه الرابع ما انبأ به من اخبار القرون السالفة ٥٤
فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها ٥٤
فصل ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه ٥٥
فصل ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه آية باقية ٥٥
فصل وقد عد جماعة من الائمة ٥٥
فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس ٥٦
فصل في نبع الماء من بين اصابعه ٥٧
فصل ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته ٥٧
فصل ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه ٥٨
فصل في كلام الشجر وشهادتها ٥٩
فصل في حنين الجذع ٦٠
فصل ومثل هذا في سائر الجمادات ٦١
فصل في الآيات في ضروب الحيوانات ٦١
فصل في احياء الموتى ٦٣
فصل في ابراء المرضى ٦٣
فصل في اجابة دعائه ٦٤
فصل في كراماته وبركاته ٦٥
فصل ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب ٦٦
فصل في عصمة الله له من الناس ٦٨
فصل ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم ٧٠
فصل ومن خصائصه وكراماته وباهر آياته صلى الله عليه وسلم ٧١
فصل ومن دلائل النبوة وعلامات رسالته ما ترادفت به الاخبار عن الرهبان ٧١
فصل ومن ذلك ما ظهر من الآيات عند مولده وما حكته امه ٧٢
فصل في نكتة من معجزاته ٧٢

القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام وهو على اربعة ابواب ٧٤
الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته ٧٤
فصل واما وجوب طاعته ٧٥
فصل واما وجوب اتباعه ٧٥
فصل واما ما ورد عن السلف من اتباع سنته ٧٧
فصل ومخالفة امره وتبديل سنته ضلال وبدعة ٧٧
الباب الثاني في لزوم محبته
فصل في ثواب محبته ٧٨
فصل فيما روي عن السلف والائمة من محبتهم ٧٨
فصل في علامات محبته عليه السلام ٧٩
فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم ٨٠
فصل في وجوب مناصحته صلى الله عليه وسلم ٨١
الباب الثالث في تعظيم امره ووجوب توقيره وبره ٨١
فصل في عادة الصحابة في تعظيمه وتوقيره واجلاله صلى الله عليه وسلم ٨٢
فصل واعلم ان حرمة النبي عليه السلام بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته ٨٣
فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية حديثه عليه السلام وسنته ٨٣
فصل ومن توقيره وبره بر آله وذريته وامهات المؤمنين ازواجه صلى الله عليه وسلم ٨٤
فصل ومن توقيره عليه السلام توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم ٨٥
فصل ومن اعظامه واكباره اعظام جميع اسبابه ٨٦
الباب الرابع في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته ٨٧
فصل اعلم ان الصلاة عليه عليه السلام فرض على الجملة ٨٧
فصل في المواطن التي تستحب فيها الصلاة والسلام عليه عليه السلام ٨٨
فصل في كيفية الصلاة على النبي والتسليم ٨٩
فصل في ذم من لم يصل عليه عليه السلام واثمه ٩١
فصل في تخصيصه عليه السلام بتبليغ صلاة من صلى عليه او سلم من الانام ٩٢
فصل في فضيلة الصلاة على النبي عليه السلام ٩١
فصل في الاختلاف في الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الانبياء عليهم السلام ٩٢

فيه مطلب حكاية احمد بن حنبل رضي الله عنه

مطلب ولاية عليه السلام ٧٨

مطلب حديث ... الخلفاء ...

فصل في حكم زيارة قبره عليه السلام وفضيلة من زاره وسلم عليه ٩٣

فصل فيما يلزم من دخل مسجده عليه السلام من الآداب ٩٥

القسم الثالث فيما يجب للنبي وما يستحيل او يجوز عليه وما يمتنع او يصح من الاحوال البشرية وهو على بابين ٩٧

الباب الاول من القسم الثالث فيما يختص بالامور الدينية والكلام في عصمته ٩٧

فصل في حكم عقد قلب النبي من وقت نبوته ٩٨

فصل واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب انهم معصومون [illegible] ١٠١

فصل في عقود الانبياء في التوحيد والايمان والوحي وعصمتهم في ذلك ١٠٣

فصل اعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبي من الشيطان ١٠٤

فصل واما اقواله فقامت الدلائل ١٠٦

فصل وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين سؤالات ١٠٦

فصل هذا القول فيما طريقه البلاغ ولا يجوز الخلف على الانبياء ١٠٩

فصل فان قلت فما معنى قوله عليه السلام في حديث السهو ١١٠

مطلب انا اعلم من [illegible] ١١١

فصل واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال ١١٢

فصل وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة [illegible] ١١٣

فصل هذا حكم ما يكون المخالفة فيه من الاعمال ١١٣

فصل في الكلام على الاحاديث المذكورة فيها السهو منه عليه السلام ١١٤

فصل في الرد على من اجاز عليهم الصغائر ١١٥

فصل في السؤال بمغايرة قوله تعالى فعصى آدم ربه فغوى الآية مع نفي الذنوب والمعاصي عنهم عليهم السلام ١٢٠

فصل في استبان ما هو الحق من عصمته عن الجهل بالله عليه السلام ١٢١

فصل في عصمة الملائكة ١٢٢

الباب الثاني فيما يخصهم في الامور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية ١٢٣

فصل في السؤال من الاخبار الصحيحة انه عليه السلام سحر ١٢٣

فصل هذا حاله في جسمه فاما احواله في امور الدنيا ١٢٤

فيه مطلب [illegible]

فصل واما ما يعتقده في امور احكام البشر الجارية على يديه ١٢٥

فصل واما اقواله الدنيوية من اخباره عن احواله ١٢٥

فصل في السؤال على تقرير عصمته في اقواله في جميع احواله ١٢٦

فصل كيف يصح ان يلعن او يسب عند الغضب وهو معصوم ١٢٨

فصل واما افعاله الدنيوية ١٢٩

القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام على من [illegible] ١٣٢

الباب الاول في بيان ما هو في حقه عليه السلام سب او نقص ١٣٣

فيه مطلب [illegible] عليه السلام

فصل في الحجة في ايجاب قتل من سبه وعابه عليه السلام ١٣٤

فيه مطلب وقوع القتل بمعنى اللعن

فصل فان قلت فلم لم يقتل النبي عليه السلام اليهودي الذي قال له السام عليكم ١٣٦

فصل وقد تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه ١٣٧

فصل الوجه الثاني ان يقصد الى تكذيبه ١٣٨

فصل الوجه الرابع ان يأتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل ١٣٨

فيه مطلب تفسير [illegible] اسم محمد بن زيد بن الخطاب

فصل الوجه الخامس الا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا ١٣٩

فيه مطلب [illegible] صاحب الكتاب مالكي

فصل الوجه السادس ان يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره ١٤١

فصل الوجه السابع ١٤٢

وفيه مطلب حديث ما من نبي الا وقد رعى الغنم

فصل ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي عليه السلام وما لا يجوز ١٤٣

الباب الثاني في حكم سابه ١٤٤

فصل اذا قلنا بالاستتابة ١٤٥

فصل هذا حكم من ثبت عليه ذلك ١٤٦

فصل هذا حكم المسلم فاما الذمي ١٤٦

فصل في ميراث من قتل بسب النبي عليه السلام ١٤٨

الباب الثالث في حكم من سب الله وملائكته وانبيائه وكتبه وآل النبي عم وازواجه وصحبه ١٤٩

فيه [illegible]

فصل واما من اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به ١٤٩

فصل في تحقيق القول في اكفار المتأولين ١٥٠

فصل في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر ١٥١

فيه مطلب بقتل من كفر الصحابة وانكر وجوب خمس الصلوات ومن قال ان الفرائض اسماء رجال والمحارم اسماء رجال

فصل هذا حكم المسلم [illegible] واما الذمي ان سب الله تعالى ١٥٥

وفيه مطلب عزل القاضي لتهمة المداهنة

فصل في حكم من سب سائر انبياء الله وملائكته واستخف بهم او كذبهم فيما اتوا به حكم نبينا عليه وعليهم السلام ١٥٦

فصل واعلم ان من استخف بالقرآن او المصحف او بشيء منه ١٥٧

فصل سب آل النبي عم وازواجه واصحابه رض وتنقصهم حرام ملعون ١٥٧

T. C.
MİLLÎ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 1313

نومرو
١٥٠١

RAĞIP P.
Ka. N.
1591

هذا كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم تأليف الشيخ الإمام الحافظ العالم أبي الفضل
عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رضي الله تعالى عنه وأرضاه وصلى الله تعالى على سيدنا
محمد نبيه وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا كثيرا

رواية أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عيسى التميمي وعنه رواية أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني
الأندلسي إجازة عنه رواية الشيخ الإمام العلم العلامة الحافظ زكي الدين أبي
محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري تغمده الله برحمته سماع منه
لصاحبه الطالب المبارك النجيب الأسعد صدر الدين أبي
القاسم عبد الله بن الضيا أبي عبد الله محمد بن عثمان
بن سليمان الكردي الزرزاري
بقراءة أبيه نفعهما الله تعالى
آمين برحمته يا أرحم الراحمين

سمع على جميع هذا الكتاب الولد النجيب صدر الدين أبو القسم عبد الله ابن الشيخ الأجل الفاضل ضيا الدين
ابن عبد الله محمد بن عثمان بن سليمان الكردي الزرزاري بقراءة والده بلغهما الله تعالى نهاية الآمال
وختم لهما بالصالحات الأعمال وسمع معهما من أثبت اسمه في الطبقة في تاريخ الملحق
فيه وقد أجزت لهما ولمن ذكر معهما جميع سماعاتي وإجازاتي ومناولاتي
ومصنفاتي وسائر ما يجوز لي روايته بشرطه كتبه
عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري عفا الله عنه
ولطف به حامدا لله تعالى على نعمه ومصليا
على خيرته من خلقه محمد نبيه
وآله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا
كثيرا
وحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل

وبه العون رب يسر

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد وسلم ● قال الفقيه القاضي الامام الحافظ ابو الفضل
عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رضي الله عنه ● الحمد لله المنفرد باسمه الاسمى
المختص بالملك الاعز الاحمى الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا
ووهما والباطن تقدسا لا عدما وسع كل شيء رحمة وعلما واسبغ على اوليائه
نعما عما وبعث فيهم رسولا من انفسهم انفسهم عربا وعجما وازكاهم محتدا ومنمى
وارجحهم عقلا وحلما واوفرهم علما وفهما واقواهم يقينا وعزما واشدهم بهم رأفة
ورحما زكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا ووصما وآتاه حكمة وحكما وفتح به
اعينا عميا وقلوبا غلفا واذانا صما فآمن به وعزره ونصره من جعل الله
له في مغنم السعادة قسما وكذب به وصدف عن آياته من كتب الله عليه الشقاء حتما
ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى صلى الله عليه وسلم صلاة تنمو
وتنمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ● اما بعد اشرق الله قلبي وقلبك
بانوار اليقين ولطف لي ولك بما لطف به لاوليائه المتقين الذين شرفهم الله
بنزل قدسه واوحشهم من الخليقة بانسه وخصهم من معرفته ومشاهدة
عجائب ملكوته وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة وولّه عقولهم في عظمته
حيرة فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا في الدارين غيره فهم بمشاهدة
جماله وجلاله يتنعمون وبين آثار قدرته وعجائب عظمته يترددون و
بالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق قوله
قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ● فانك كررت علي السؤال في
مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى صلى الله عليه وسلم وما يجب له
من توقير واكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر او قصر
في حق منصبه الجليل قلامة ظفر وان اجمع لك ما لاسلافنا وائمتنا

في ذلك من مقال وابينه بتنزيل صور وامثال ● فاعلم اكرمك الله
انك حملتني من ذلك امرا إمرا وارهقتني فيما ندبتني اليه عسرا وارقيتني بما كلفتني
مرتقى صعبا ملأ قلبي رعبا فان الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول وتحرير
فصول والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق مما يجب للنبي صلى الله
عليه وسلم ويضاف اليه او يمتنع او يجوز عليه ومعرفة النبي والرسول
والرسالة والنبوة والمحبة والخلة وخصائص هذه الدرجة العلية وها هنا
مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر بها الخطا ومجاهل تضل فيها
الاحلام ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ومداحض تزل بها
الاقدام ان لم تعتمد على توفيق من الله وتأييد لكني لما رجوته لي ولك
في هذا السؤال والجواب من نوال وثواب بتعريف قدره الجسيم
وخلقه العظيم وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق وما
يدان الله تعالى به من حقه الذي هو ارفع الحقوق ● ليستيقن
الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ● ولما اخذ الله
تعالى على الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه
ولما حدثنا به ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه قال ثنا
الحسين بن محمد ثنا ابو عمر النمري ثنا ابو محمد بن عبد المؤمن ثنا ابو بكر محمد بن بكر ثنا سليمان
ابن الاشعث ثنا موسى بن اسمعيل ثنا حماد ثنا علي بن الحكم عن عطاء عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه
الجمه الله بلجام من نار يوم القيمة فبادرت الى نكت سافرة عن وجه الغرض
مؤديا من ذلك الحق المفترض اختلستها على استعجال لما المرء بصدده
من شغل البدن والبال بما طوقه من مقاليد المحنة التي ابتلي بها فكادت
تشغل عن كل فرض ونفل وترد بعد حسن التقويم الى اسفل سفل ولو
اراد الله بالانسان خيرا لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد غدا او يذم محله
فليس ثم سوى نضرة النعيم او عذاب الجحيم ولكان عليه بخويصته
واستنقاذ مهجته وعمل صالح يستزيده وعلم نافع يفيده او يستفيده
جبر الله صدع قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا
لمعادنا وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا اليه تعالى زلفى ويحظينا

بمنه ورحمته ولما نويت تقريبه ودرجت تبويبه ومهدت تأصيله وخلصت
تفصيله وانتحيت حصره وتحصيله ترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى
وحصرت الكلام فيه في أقسام أربعة القسم الأول في تعظيم العلي الأعلى
لقدر هذا النبي قولا وفعلا وتوجه الكلام فيه في أربعة أبواب
الباب الأول في ثنائه تعالى عليه وإظهاره عظيم قدره لديه وفيه
عشرة فصول الباب الثاني في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا
وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة
وعشرون فصلا الباب الثالث فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها
بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كراماته
وفيه اثنا عشر فصلا الباب الرابع فيما أظهره الله تعالى على يديه
من المعجزات والآيات وشرفه به من الخصائص والكرامات
وفيه ثلاثون فصلا القسم الثاني فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه السلام
ويترتب القول فيه في أربعة أبواب الباب الأول في فرض الإيمان به
ووجوب طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول الباب الثاني
في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول الباب الثالث
في تعظيم أمره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول الباب الرابع
في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول
القسم الثالث فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح
من الأمور البشرية أن يضاف إليه وهذا القسم أكرمك الله هو
سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الأبواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات
والدلائل على ما نورده فيه من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده
والمنجز من غرض هذا التأليف وعده وعند التقضي لوعده والتفصي
عن عهدته يشرق صدر العدو اللعين ويشرق قلب المؤمن باليقين
وتملأ أنواره جوانح صدره ويقدر العاقل النبي حق قدره ويتحرر
الكلام فيه في بابين الباب الأول فيما يختص بالأمور الدينية و
يتشبث به القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا الباب الثاني
في أحواله الدنيوية وما يجوز طروءه عليه من الأعراض البشرية وفيه تسعة

تسعة فصول القسم الرابع في تصرف وجوه الأحكام على من تنقصه أو
سبه عليه السلام وينقسم الكلام فيه في بابين الباب الأول في بيان
ما هو في حقه سب ونقص من تعريض أو نص وفيه عشرة فصول
الباب الثاني في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته وذكر
استتابته والصلوة عليه ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه
بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسألة ووصلة للبابين اللذين قبله
في حكم من سب الله تعالى ورسله وملائكته وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم
وصحبه واختصر الكلام فيه في خمسة فصول وبتمامها ينجز الكتاب وتتم الأقسام
والأبواب ويلوح في غرة الإيمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة خطيرة
تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس وتشفي صدور قوم مؤمنين
وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله تعالى لا إله سواه أستعين

لا إله إلا هو الملك الحق المبين

القسم الأول في تعظيم العلي الأعلى لقدر المصطفى صلى الله

عليه وسلم قولا وفعلا قال الفقيه القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله
وسدده لا خفاء على من مارس شيئا من العلم أو خص بأدنى لمحة من
فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه السلام وخصوصه إياه بفضائل
ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل
عنه الألسنة والأقلام فمنها ما صرح به تعالى في كتابه ونبه به
على جليل نصابه وأثنى به عليه من أخلاقه وآدابه وحض العباد
على التزامه وتقلد إيجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل وأولى ثم
طهر وزكى ثم مدح بذلك وأثنى ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى فله الفضل
بدءا وعودا والحمد أولى وأخرى ومنها ما أبرزه للعيان من خلقه على
أتم وجوه الكمال والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والأخلاق
الحميدة والمذاهب الكريمة والفضائل العديدة وتأييده بالمعجزات
الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات البينة التي شاهدها
من عاصره ورآها من أدركه وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى
انتهى علم حقيقة ذلك إلينا وفاضت أنواره علينا صلى الله عليه وسلم كثيرا

حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه
قال حدثنا ابو الحسين المبارك ابن عبد الجبار وابو الفضل احمد بن خيرون
قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن احمد بن محبوب
حدثنا ابو عيسى بن سورة الحافظ قال حدثنا اسحق بن منصور حدثنا عبد الرزاق
حدثنا معمر عن قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري
به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا فما ركبك
احد اكرم عند الله منه قال فارفض عرقا الباب الاول في ثناء الله تعالى
واظهار عظيم قدره لديه اعلم ان في كتاب الله العزيز ايات كثيرة مفصحة
بجميل ذكر المصطفى وعد محاسنه وتعظيم امره وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر
معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك في عشرة فصول الفصل الاول فيما جاء من ذلك
مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية
قال السمرقندي قرأ بعضهم من انفسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم قال
القاضي الامام ابو الفضل وفقه الله اعلم الله تعالى المؤمنين او العرب او اهل مكة او جميع
الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب انه بعث فيهم رسولا من انفسهم
يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك
النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم تكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى
الا المودة في القربى وكونه من اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح
وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد باوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من
حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضر بهم
في دنياهم واخراهم وعزته عليه ورأفته ورحمته بمؤمنيهم قال بعضهم اعطاه
اسمين من اسمائه رؤوف رحيم ومثله في الاية الاخرى قوله تعالى
لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الاية وفي الاية
الاخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم وقوله تعالى
كما ارسلنا فيكم رسولا منكم وانه اجل من حمد وافضل من حمد
واكثر الناس حمدا وهو احمد المحمودين واحمد الحامدين واكثرهم حمدا ومعه
لواء الحمد في القيامة ليتم له كمال الحمد والشهرة ويقوم المقام المحمود الذي يحمده

فيه الاولون

فيه الاولون والاخرون ويفتح عليه من المحامد فيه كما قال ما لم يعط غيره فحقيق
ان يسمى محمدا واحمد لان يكون اجل الحامدين وافضل المحمودين ولما كان اسمه بالغا
في مدحه لم يحتج بعده لاكثر من ذكر الرسالة وروي عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه عنه عليه السلام من انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا
ليس في ابائي من لدن ادم سفاح كلنا نكاح قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله
عليه وسلم خمس مائة ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان عليه
الجاهلية وعن ابن عباس في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال
من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا وقال جعفر بن محمد علم الله عجز خلقه
عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته
فاقام بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم في الصورة البسه من نعته الرافة
والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته
موافقته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين قال ابو بكر بن طاهر زين الله تعالى محمدا بزينة الرحمة
فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شيء
من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل
محبوب الا ترى ان الله يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت حياته
رحمة ومماته رحمة كما قال عليه السلام حياتي خير لكم وموتي خير لكم وكما قال
اذا اراد الله رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا وقال
السمرقندي رحمة للعالمين يعني للجن والانس وقيل لجميع الخلق للمؤمنين
رحمة بالهداية ورحمة للمنافقين بالامان من القتل ورحمة للكافرين
بتأخير العذاب قال ابن عباس هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا مما
اصاب غيرهم من الامم المكذبة وحكي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لجبريل عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة قال نعم كنت اخشى
العاقبة فامنت لثناء الله عز وجل علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش
مكين مطاع ثم امين وروي عن جعفر بن محمد الصادق في قوله
تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اي بك انما وقعت سلامتهم من اجل
كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى الله نور السموات

وَالأَرْضِ الآيَةَ قَالَ كَعْبٌ وَابْنُ جُبَيْرٍ الْمُرَادُ بِالنُّورِ الثَّانِي هُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْلُهُ مَثَلُ نُورِهِ أَيْ نُورِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمَعْنَى اللهُ هَادِي أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ قَالَ مَثَلُ نُورِ مُحَمَّدٍ إِذْ كَانَ مُسْتَوْدَعًا فِي الأَصْلَابِ كَمِشْكَاةٍ صِفَتُهَا كَذَا وَأَرَادَ بِالْمِصْبَاحِ قَلْبَهُ وَالزُّجَاجَةِ صَدْرَهُ أَيْ كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ لِمَا فِيهِ مِنَ الإِيمَانِ وَالْحِكْمَةِ تُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ أَيْ مِنْ نُورِ إِبْرَاهِيمَ وَضَرَبَ الْمَثَلَ بِالشَّجَرَةِ الْمُبَارَكَةِ وَقَوْلُهُ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ أَيْ تَكَادُ نُبُوَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبِينُ لِلنَّاسِ قَبْلَ كَلَامِهِ كَهَذَا الزَّيْتِ ۝ وَقَدْ قِيلَ فِي هَذِهِ الآيَةِ غَيْرُ هَذَا وَاللهُ أَعْلَمُ وَقَدْ سَمَّاهُ اللهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ نُورًا وَسِرَاجًا مُنِيرًا فَقَالَ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ وَقَالَ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝ وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ شَرَحَ وَسَّعَ وَالْمُرَادُ بِالصَّدْرِ هُنَا الْقَلْبُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ شَرَحَهُ بِالإِسْلَامِ ۝ وَقَالَ سَهْلٌ بِنُورِ الرِّسَالَةِ وَقَالَ الْحَسَنُ مَلَأَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَلَمْ نُطَهِّرْ قَلْبَكَ حَتَّى لَا يُؤْذِيكَ الْوَسْوَاسُ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۝ قِيلَ مَا سَلَفَ مِنْ ذَنْبِكَ يَعْنِي قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَقِيلَ أَرَادَ ثِقَلَ أَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ وَقِيلَ أَرَادَ مَا أَثْقَلَ ظَهْرَهُ مِنَ الرِّسَالَةِ حَتَّى بَلَّغَهَا حَكَاهُ الْمَاوَرْدِيُّ وَالسُّلَمِيُّ ۝ وَقِيلَ عَصَمْنَاكَ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَثْقَلَتِ الذُّنُوبُ ظَهْرَكَ حَكَاهُ السَّمَرْقَنْدِيُّ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ قَالَ يَحْيَى بْنُ آدَمَ بِالنُّبُوَّةِ وَقِيلَ إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَقِيلَ فِي الأَذَانِ قَالَ الْفَقِيهُ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ وَفَّقَهُ اللهُ هَذَا تَقْرِيرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ اسْمُهُ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَظِيمِ نِعَمِهِ لَدَيْهِ وَشَرِيفِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَهُ وَكَرَامَتِهِ عَلَيْهِ بِأَنْ شَرَحَ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ وَوَسَّعَهُ لِوَعْيِ الْعِلْمِ وَحَمْلِ الْحِكْمَةِ وَرَفَعَ عَنْهُ ثِقَلَ أُمُورِ الْجَاهِلِيَّةِ عَلَيْهِ وَبَغَّضَهُ لِسِيَرِهَا وَمَا كَانَتْ عَلَيْهِ بِظُهُورِ دِينِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَحَطَّ عَنْهُ عُهْدَةَ أَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ لِتَبْلِيغِهِ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَتَنْوِيهِهِ بِعَظِيمِ مَكَانِهِ وَجَلِيلِ رُتْبَتِهِ وَرِفْعَةِ ذِكْرِهِ وَقِرَانِهِ مَعَ اسْمِهِ اسْمَهُ قَالَ قَتَادَةُ رَفَعَ اللهُ ذِكْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلَيْسَ خَطِيبٌ وَلَا مُتَشَهِّدٌ وَلَا صَاحِبُ صَلَاةٍ إِلَّا يَقُولُ أَشْهَدُ

أن لا إله

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ۝ وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكَ يَقُولُ كَيْفَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ قُلْتُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي ۝ قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ جَعَلْتُ تَمَامَ الإِيمَانِ بِذِكْرِي مَعَكَ ۝ وَقَالَ أَيْضًا جَعَلْتُكَ ذِكْرًا مِنْ ذِكْرِي فَمَنْ ذَكَرَكَ ذَكَرَنِي ۝ قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ لَا يَذْكُرُكَ أَحَدٌ بِالرِّسَالَةِ إِلَّا ذَكَرَنِي بِالرُّبُوبِيَّةِ وَأَشَارَ بَعْضُهُمْ فِي ذَلِكَ إِلَى الشَّفَاعَةِ وَمِنْ ذِكْرِهِ مَعَهُ تَعَالَى أَنْ قَرَنَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِهِ وَاسْمَهُ بِاسْمِهِ فَقَالَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَجَمَعَ بَيْنَهُمَا بِوَاوِ الْعَطْفِ الْمُشَرِّكَةِ وَلَا يَجُوزُ جَمْعُ هَذَا الْكَلَامِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَدَّثَنَا الشَّيْخُ أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَيَّانِيُّ الْحَافِظُ فِيمَا أَجَازَنِيهِ وَقَرَأْتُهُ عَلَى الثِّقَةِ عَنْهُ قَالَ ثَنَا أَبُو عُمَرَ النَّمَرِيُّ قَالَ ثَنَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ ثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ دَاسَةَ ثَنَا أَبُو دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ ثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ ثَنَا شُعْبَةُ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ حُذَيْفَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ۝ قَالَ لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ وَلَكِنْ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ ۝ قَالَ الْخَطَّابِيُّ أَرْشَدَهُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الأَدَبِ فِي تَقْدِيمِ مَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى عَلَى مَشِيئَةِ مَنْ سِوَاهُ وَاخْتَارَهَا بِثُمَّ الَّتِي هِيَ لِلنَّسَقِ وَالتَّرَاخِي بِخِلَافِ الْوَاوِ الَّتِي لِلاشْتِرَاكِ ۝ وَمِثْلُهُ الْحَدِيثُ الآخَرُ أَنَّ خَطِيبًا خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِئْسَ خَطِيبُ الْقَوْمِ أَنْتَ قُمْ أَوْ قَالَ اذْهَبْ قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ كَرِهَ مِنْهُ الْجَمْعَ بَيْنَ الاسْمَيْنِ بِحَرْفِ الْكِنَايَةِ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّسْوِيَةِ وَذَهَبَ غَيْرُهُ إِلَى أَنَّهُ إِنَّمَا كَرِهَ لَهُ الْوُقُوفَ عَلَى يَعْصِهِمَا وَقَوْلُ أَبِي سُلَيْمَانَ أَصَحُّ لِمَا رُوِيَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى وَلَمْ يَذْكُرِ الْوُقُوفَ عَلَى يَعْصِهِمَا وَقَدِ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ وَأَصْحَابُ الْمَعَانِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ هَلْ يُصَلُّونَ رَاجِعَةٌ عَلَى اللهِ تَعَالَى وَالْمَلَائِكَةِ أَمْ لَا فَأَجَازَهُ بَعْضُهُمْ وَمَنَعَهُ آخَرُونَ لِعِلَّةِ التَّشْرِيكِ وَخَصُّوا الضَّمِيرَ بِالْمَلَائِكَةِ وَقَدَّرُوا الآيَةَ إِنَّ اللهَ يُصَلِّي وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَ اللهِ أَنْ جَعَلَ طَاعَتَكَ طَاعَتَهُ فَقَالَ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَقَالَ تَعَالَى قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ

فاتبعوني يحببكم الله الآيتين وروي أنه لما نزلت هذه الآية قالوا إن محمدا يريد
أن نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فأنزل الله تع قل أطيعوا الله
والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما لهم وقد اختلف المفسرون في معنى
قوله تعالى في أم الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت
عليهم فقال أبو العالية والحسن البصري الصراط المستقيم هو رسول الله صلى
الله عليه وسلم وخيار أهل بيته وأصحابه حكاه عنهما أبو الحسن الماوردي
وحكى مكي عنهما نحوه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه
أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى أبو الليث السمرقندي مثله عن أبي العالية
في قوله صراط الذين أنعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق
والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين أنعمت عليهم
عن عبد الرحمن بن زيد وحكى أبو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير
قوله تع فقد استمسك بالعروة الوثقى أنه محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل الإسلام وقيل شهادة التوحيد وقال سهل في قوله تع وإن
تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم
وقال تع والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون
الآيتين أكثر المفسرين على أن الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم
قال بعضهم وهو الذي صدق به وقرئ صدق بالتخفيف وقال غيرهم
الذي صدق به المؤمنون وقيل أبو بكر وقيل علي رضي الله عنهما وقيل غير هذا
من الأقوال وعن مجاهد في قوله تع ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال
بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه الفصل الثاني في وصفه تع بالشهادة
وما تعلق بها من الثناء والكرامة قال الله تع يا أيها النبي إنا أرسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية جمع الله تعالى له في هذه الآية ضروبا من رتب الأثرة
وجملة أوصاف من المدحة فجعله شاهدا على أمته لنفسه بإبلاغهم
الرسالة وهي من خصائصه عليه السلام ومبشرا لأهل طاعته ونذيرا
لأهل معصيته وداعيا إلى توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق
حدثنا الشيخ أبو محمد بن عتاب رحمه الله قال نا أبو القسم حاتم بن محمد
قال حدثنا أبو الحسن القابسي نا أبو زيد المروزي نا أبو عبد الله محمد بن

يوسف

محمد بن يوسف نا البخاري نا محمد بن سنان نا فليح نا هلال عن عطاء بن
يسار لقيت عبد الله بن عمرو بن العاصي قلت أخبرني عن صفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفاته
في القرآن يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ونذيرا وحرزا للأميين
أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب
في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن
يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعينا
عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله بن سلام وكعب
الأحبار وفي بعض طرقه عن ابن إسحق ولا صخب في الأسواق ولا متزين
بالفحش ولا قوال للخنا أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم ثم أجعل
السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله و
الصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته
والحق شريعته والهدى إمامه والإسلام ملته وأحمد اسمه أهدي
به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأسمي به بعد
النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد
الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتتة وأمم متفرقة وأجعل
أمته خير أمة أخرجت للناس وفي حديث آخر أخبرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن صفته في التوراة عبدي أحمد المختار مولده
بمكة ومهاجره بالمدينة أو قال طيبة أمته الحمادون لله على كل حال
وقال الله تع الذين يتبعون الرسول النبي الأمي وقال الله تعالى فبما رحمة
من الله لنت لهم الآية قال السمرقندي ذكرهم الله منته أن جعل رسوله
رحيما بالمؤمنين رؤوفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول لتفرقوا
من حوله لكن جعله الله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك
وقال الله تع وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقال أبو الحسن القابسي
أبان الله تعالى فضل نبينا وفضل أمته بهذه الآية وفي قوله
في الآية الأخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا

شهداء على الناس وكذلك قوله تعا فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
الاية وقوله وسطا اى عدلا خيارا ومعنى هذه الاية وكما هديناكم
فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة خيارا عدولا لتشهدوا
للانبياء على اممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق وقيل ان الله
جل جلاله اذا سال الانبياء هل بلغتم فيقولون نعم فتقول اممهم ما
جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد للانبياء ويزكيهم النبي صلى الله
عليه وسلم وقيل معنى الاية انكم حجة على كل من خالفكم والرسول
حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال الله تعا وبشر الذين امنوا ان
لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم
قدم صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن ايضا هي
مصيبتهم بنبيهم وعن ابي سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله
عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال سهل بن عبد الله التستري
هي سابقة رحمة اودعها في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن علي الترمذي
هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب
محمد صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي

الفصل الثالث فيما ورد من

خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة من ذلك قوله تعا عفى الله عنك
لم اذنت لهم قال ابو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله
واعزك الله وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب
حكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت
لهم قال ولو بدا النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه
ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله تعا برحمته اخبره
بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين الصادق
في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى
على ذي لب ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته
نياط القلب قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم
معاتب بهذه الاية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه
الله انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم

قال الفقيه

قال الفقيه القاضي ابو الفضل رضي الله عنه يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض
بزمام الشريعة خلقه ان يتادب باداب القران في قوله وفعله ومعاطاته
ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الاداب الدينية
والدنيوية وليتامل هذه الملاطفة العجيبة في السؤال من رب
الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويستثر ما فيها من الفوائد
وكيف ابتدا بالاكرام قبل العتب وانس بالعفو قبل ذكر الذنب ان
كان ثمة ذنب وقال الله تعا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم
شيئا قليلا قال بعض المتكلمين عاتب الله الانبياء بعد الزلات
وعاتب نبينا عليه السلام قبل وقوعه ليكون بذلك اشد انتهاء ومحافظة
لشرائط المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر كيف بدا بثباته وسلامته قبل
ذكر ما عاتبه عليه وخيف ان يركن اليه ففي اثناء عتبه براءته وفي طي
تخويفه وكفايته تامينه وكرامته ومثله قوله تعا قد نعلم انه ليحزنك
الذي يقولون فانهم لا يكذبونك الاية قال علي رضي الله عنه قال
ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت
به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الاية وروي ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل فقال ما يحزنك
فقال كذبني قومي فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله تعالى الاية
ففي هذه الاية منزع لطيف الماخذ من تسليته تعالى له عليه السلام والطافه
في القول بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون
بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين فدفع
بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم
جاحدين ظالمين فقال تعا ولكن الظالمين بايات الله يجحدون
فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الايات حقيقة
الظلم اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره لقوله تعا وجحدوا
بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وانسه بما ذكره
عمن قبله ووعده النصر بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك
الاية فمن قرا يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا

وقال الفرا والكسائي لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك
ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل
لا يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصايصه وبر الله تعالى به ان الله
تعالى خاطب جميع الانبياء باسمائهم فقال يا ادم يا نوح يا ابرهيم يا داود
يا عيسى يا ذكريا يا يحيى ولم يخاطبه هو الا يا ايها النبي يا ايها الرسول
يا ايها المزمل يا ايها المدثر الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره
قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير
في هذا انه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم
واصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه
وبقائك يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم
وغاية البر والتشريف قال ابن عباس ما خلق الله ولا ذرأ ولا برأ نفسا
اكرم عليه من محمد وما سمعت الله تعالى اقسم بحياة احد غير محمد قال ابو الجوزا
ما اقسم الله بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه اكرم البرية عنده
وقال تعالى يس والقرآن الحكيم الايات اختلف المفسرون في معنى
يس على اقوال فحكى ابو محمد مكي انه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لي عند ربي عشرة اسماء ذكر ان منها طه ويس اسمان له وحكى
ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه
صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس يس يا انسان اراد محمدا وقال هو
قسم وهو من اسماء الله سبحانه وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل
يا رجل وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب
يس قسم اقسم الله به قبل ان يخلق السماء والارض بالفي عام يا محمد
انك لمن المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم فان قدر انه من اسمائه
صلى الله عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم
ويؤكد فيه القسم عطف القسم الاخر عليه وان كان بمعنى النداء
فقد جاء قسم اخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته اقسم تعالى
باسمه وكتابه انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط
مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق

قال النقاش

قال النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه بالرسالة في كتابه الا له وفيه
من تعظيمه وتمجيده على تاويل من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال
عليه السلام انا سيد ولد آدم وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت
حل بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه
حكاه مكي وقيل لا زائدة اي اقسم به وانت به يا محمد حلال
او حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد عند هؤلاء
ولاي مكة وقال الواسطي اي يحلف لك بهذا البلد الذي
شرفته بمكانك فيه حيا وبركتك ميتا يعني المدينة والاول اصح
لان السورة مكية وما بعده يصححه قوله حل بهذا البلد ونحوه قول
ابن عطاء في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين قال امنها الله
بمقامه فيها وكونه بها فان كونه امان حيث كان ثم قال ووالد
وما ولد من قال من اراد ادم فهو عام ومن قال هو ابرهيم
وما ولد فهو ان شاء الله اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم
فيتضمن السورة القسم به في موضعين وقال تعالى الم ذلك الكتاب
قال ابن عباس هذه الحروف اقسام اقسم الله بها وعنه وعن غيره
فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التستري الالف هو الله تعالى
واللام جبريل والميم محمد عليهما السلام وحكى هذا القول السمرقندي ولم ينسبه
الى سهل وجعل معناه الله انزل جبريل على محمد بهذا القرآن لا ريب
فيه وعلى الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه
ثم فيه من فضيلة قران اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال ابن عطا
في قوله تعالى ق والقرآن المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى
الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه
لعلو حاله وقيل هو اسم للقرآن وقيل هو اسم لله وقيل جبل
محيط بالارض وقيل غير هذا وقال جعفر بن محمد في تفسير والنجم
اذا هوى انه محمد عليه السلام وقال النجم قلب محمد هوى انشرح
من الانوار وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطا في قوله
تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد لان منه تفجر الايمان

الفصل الخامس في قسمه تعالى جده لتحقيق مكانته عنده قال جل اسمه والضحى
والليل اذا سجى السورة اختلف في سبب نزول هذه السورة فقيل
كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امراة
في ذلك بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة
قال الفقيه القاضي ابو الفضل وفقه الله تضمنت هذه السورة من كرامة
الله تعالى له وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة وجوه الاول القسم له عما اخبره
من حاله بقوله والضحى والليل اذا سجى اي ورب الضحى وهذا من اعظم درجات
المبرة الثاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله ما ودعك ربك
وما قلى اي ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك
الثالث قوله وللاخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحق اي ما لك في مرجعك
عند الله اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا وقال سهل اي ما ادخرت
لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما اعطيتك في الدنيا الرابع
قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه اية جامعة لوجوه الكرامة
وانواع السعادة وشتات الانعام في الدارين والزيادة قال
ابن اسحق بالفلج في الدنيا والثواب في الاخرة وقيل يعطيه الحوض و
الشفاعة وروي عن بعض آل النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس آية في
القران ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد
من امته النار الخامس ما عده الله تعالى عليه من نعمه وقرره من
الائه في بقية السورة من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس به
على اختلاف التفاسير ولا مال له فاغناه بما آتاه او بما جعله في قلبه
من القناعة والغنى ويتيما فحدب عليه عمه وآواه اليه وقيل آواه الله و
قيل يتيما لا مثال لك فآواك اليه وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك
ضالا واغنى بك عائلا وآوى بك يتيما ذكره بهذه المنن وانه على المعلوم
من التفسير لم يهمله في حال صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته به و
لا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه واصطفائه السادس
امره باظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره واشادة ذكره
بقوله واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة الحديث بها

وهذا خاص له عام لامته وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى
من آيات ربه الكبرى اختلف المفسرون في قوله والنجم باقاويل معروفة
منها النجم على ظاهره ومنها القران وعن جعفر بن محمد انه محمد عليه السلام
وقال هو قلب محمد وقد قيل في قوله والسماء والطارق وما ادراك
ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه
السلمي تضمنت هذه الايات من شرفه وفضله العد ما يقف دونه العد
واقسم جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما
تلى وانه وحي يوحى اوصله اليه عن الله عز وجل جبريل وهو الشديد
القوى ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء وانتهائه الى سدرة المنتهى
وتصديق بصره فيما رأى وانه رأى من آيات ربه الكبرى وقد نبه
على مثل هذا تعالى في اول سورة الاسرى ولما كان ما كاشفه عليه
السلام من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط
به العبارات ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء
والكناية الدالة على التعظيم فقال تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى
وهذا النوع من الكلام يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحي و
الاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز وقال تبارك وتعالى
لقد رأى من آيات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى
وتاهت الاحلام في تعيين تلك الايات الكبرى قال القاضي
ابو الفضل واشتملت هذه الايات على اعلام الله تعالى بتزكية جملته
عليه السلام وعصمتها من الافات في هذا المسرى فزكى فؤاده و
لسانه وجوارحه فزكى قلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى ولسانه
بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى
قال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو
بقول شيطان رجيم لا اقسم اي اقسم انه لقول رسول كريم
اي كريم عند مرسله ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي مكين
اي متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم اي في السماء امين
على الوحي قال علي بن عيسى وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم

بجميع الاوصاف بعد على هذا له وقال غيره هو جبريل فترجع الاوصاف اليه ولقد رآه يعني
محمدا قيل رأى ربه وقيل رأى جبريل في صورته وما هو على الغيب بظنين اي بمتهم
ومن قرأه بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء به والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه
لمحمد عليه السلام باتفاق وقال تعالى ن والقلم الآيات اقسم تعالى بما اقسم
به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى مما غمصته الكفرة وتكذيبهم له وانسه
وبسط امله بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة
في المخاطبة واعلى درجات الآداب في المحاورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دائم
وثواب غير منقطع لا يأخذه عد ولا يمتن به عليه فقال وان لك لاجرا غير ممنون
ثم اثنى عليه بما منحه من هباته وهداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفي التأكيد
فقال وانك لعلى خلق عظيم قيل القرآن وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم
وقيل ليس لك همة الا الله قال الواسطي اثنى عليه بحسن قبوله لما اسداه
اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه جبله على ذلك الخلق فسبحان
اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى
على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما اغمر نواله واوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم
بعد هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث
ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليا
ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه
بقوله فلا تطع المكذبين الى قوله اساطير الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد
الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله سنسمه على الخرطوم فكانت
نصرة الله له اتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه ابلغ من رده
واثبت في ديوان مجده

الفصل السادس فيما ورد من قوله تعالى

في جهته عليه السلام مورد الشفقة والاكرام قال الله تعالى طه
ما انزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من اسمائه عليه السلام وقيل
هو اسم لله تعالى وقيل معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل هي حروف
مقطعة لمعان قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي وقيل هو امر من
الوطء والهاء كناية عن الارض اي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب
نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله ما انزلنا عليك القرآن

في القاموس الشقا الشدة والعسر

لتشقى نزلت الآية فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر
والتعب وقيام الليل اخبرنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير
واحد عن القاضي ابي الوليد الباجي اجازة ومن اصله نقلت قال
حدثنا ابو ذر الحافظ قال ثنا ابو محمد الحموي ثنا ابراهيم بن خزيم الشاشي
قال ثنا عبد بن حميد ثنا هاشم بن القاسم عن ابي جعفر عن الربيع ابن انس
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل
الله تعالى طه يعني طأ الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرآن لتشقى
ولا خفاء بما في هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة وان جعلنا
طه من اسمائه عليه السلام كما قيل وجعلت قسما لحق الفصل بما قبله
ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك
على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا اي قاتل نفسك لذلك غضبا
او غيظا او جزعا ومثله قوله ايضا لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين
ثم قال ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين
ومن هذا الباب قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين
الى قوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون الى آخر السورة
وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية قال مكي سلاه الله تعالى بما ذكر
وهون عليه ما يلقى من المشركين واعلمه ان من تمادى على ذلك يحل
به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله تعالى وان يكذبوك فقد
كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله تعالى كذلك ما اتى الذين
من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون عزاه الله بما اخبر به
عن الامم السالفة ومقالها لانبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك
عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول من لقي ذلك ثم طيب
نفسه وابان عذره بقوله تعالى فتول عنهم اي اعرض عنهم فما انت بملوم
اي في اداء ما بلغت وابلاغ ما حملت ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك
فانك باعيننا اي اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك سلاه
الله تعالى بذلك في آي كثيرة من هذا المعنى

الفصل السابع

فيما اخبر الله به في كتابه العزيز من عظيم قدره وتشريف منزلته على الانبياء

عليهم السلام وحظوة رتبته قوله تع وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم
من كتاب وحكمة إلى قوله من الشاهدين قال أبو الحسن القابسي استخص
الله تع محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره أبانه به وهو ما ذكره
في هذه الآية قال المفسرون أخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا إلا ذكر له
محمدا ونعته وأخذ عليه ميثاقه إن أدركه ليؤمنن به وقيل أن يبينه لقومه
ويأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم وقوله ثم جاءكم الخطاب لأهل الكتاب
المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يبعث الله
نبيا من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث
وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن
السدي وقتادة في آي تضمنت فضله من غير وجه واحد قال الله
تع وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية وقال
إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح إلى قوله وكيلا روي عن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه أنه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم
فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن
بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال وإذ أخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من
فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين
أطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا قال
قتادة إن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت أول الأنبياء في الخلق
وآخرهم في البعث فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره
قال السمرقندي في هذا تفضيل نبينا عليه السلام لتخصيصه بالذكر قبلهم
وهو آخرهم المعنى أخذ الله عليهم الميثاق إذ أخرجهم من ظهر آدم كالذر
وقال تع تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية قال أهل التفسير
أراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله عليه وسلم لأنه بعث
إلى الأحمر والأسود وأحلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس
أحد من الأنبياء أعطي فضيلة أو كرامة إلا وقد أعطي محمد صلى الله عليه وسلم
مثلها وقال بعضهم ومن فضله أن الله تع خاطب الأنبياء بأسمائهم

وخاطبه

وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه تع فقال يا أيها النبي ويا أيها
الرسول وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تع وإن من شيعته
لإبراهيم أن الهاء عائدة على محمد صلى الله عليه وسلم أي أن من شيعة محمد
لإبرهيم أي على دينه ومنهاجه وأجازه الفراء وحكاه عنه مكي وقيل
إن المراد نوح عليه السلام الفصل الثامن في إعلام الله تع خلقه
بصلاته عليه وولايته له ورفعه العذاب بسببه قال الله
وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم أي ما كنت بمكة فلما خرج النبي صلى الله عليه
وسلم من مكة وبقي فيها من بقي من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون وهذا مثل قوله لو تزيلوا الآية ولولا رجال مؤمنون الآية
فلما هاجر المؤمنون نزلت وما لهم ألا يعذبهم الله وهذا من أبين ما
يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرأته العذاب عن أهل مكة بسبب كونه
ثم كون أصحابه بعده بين أظهرهم فلما خلت مكة منهم عذبهم بتسليط
المؤمنين عليهم وغلبتهم إياهم وحكم فيهم سيوفهم وأورثهم أرضهم وديارهم
وأموالهم وفي الآية أيضا تأويل آخر حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله
بقراءتي عليه نا أبو الفضل بن خيرون وأبو الحسين الصيرفي حدثنا أبو يعلى
ابن زوج الحرة نا أبو علي السنجي نا محمد بن محبوب المروزي نا أبو عيسى
الحافظ نا سفيان بن وكيع نا ابن نمير عن إسمعيل بن إبرهيم بن مهاجر
عن عباد بن يوسف عن أبي بردة ابن أبي موسى عن أبيه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنزل الله علي أمانين لأمتي وما كان الله ليعذبهم وأنت
فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فإذا مضيت تركت فيكم
الاستغفار ونحو منه قوله تع وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قال
عليه السلام أنا أمان لأصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن
قال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الأمان الأعظم ما عاش و
ما دامت سنته باقية فهو باق فإذا أميتت سنته فانتظر البلاء والفتن
وقال الله تع إن الله وملائكته يصلون على النبي الآية أبان الله تع فضل
نبيه صلى الله عليه وسلم بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته وأمر عباده بالصلاة
والتسليم عليه وقد حكى أبو بكر ابن فورك أن بعض العلماء تأول قوله عليه السلام

وجعلت قرة عيني في الصلاة على هذا اي في صلاة الله علي وملائكته وامره الامة
بذلك الى يوم القيمة والصلاة من الملائكة ومنا له دعاء ومن الله رحمة وقيل
يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم الصلاة عليه بين لفظ
الصلاة والبركة وسنذكر حكم الصلاة عليه وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف
كهيعص ان الكاف من كاف اي كفاية الله تع لنبيه قال اليس الله بكاف
عبده والهاء هدايته له قال الله تع ويهديك صراطا مستقيما والياء تأييده له
قال وايدك بنصره والعين عصمته له قال والله يعصمك من الناس والصاد
صلاته عليه قال ان الله وملائكته يصلون عليه على النبي وقال تع وان تظاهرا عليه
فان الله هو مولاه الاية مولاه اي وليه وصالح المؤمنين قيل الانبياء وقيل
الملئكة وقيل ابو بكر وعمر وقيل علي وقيل المؤمنين على ظاهره الفصل
التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته قال الله تع انا فتحنا لك فتحا
الى قوله يد الله فوق ايديهم تضمنت هذه الايات من فضله والثنا عليه وكرم
منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء اليه فابتداء
جل جلاله باعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره وغلبته على عدوه
وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال
بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور لك وقال مكي جعل المنة
سببا للمغفرة وكل من عنده لا اله غيره منة بعد منة وفضلا بعد فضل
ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر لك وقيل بفتح مكة والطائف
وقيل يرفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك فاعلمه بتمام نعمته عليه
بخضوع متكبري عدوه له وفتح اهم البلاد عليه واحبها له ورفع ذكره وهدايته
الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته
على امته المؤمنين بالسكينة والطمانينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم
بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوه في
الدنيا والاخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية فعدد محاسنه وخصايصه من شهادته
على امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لامته
بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات

ليؤمنوا

ليؤمن بالله ثم به من سبقت له من الله الحسنى ويعزروه اي يجلونه وقيل ينصرونه
وقيل يبالغون في تعظيمه ويوقروه اي يعظمونه وقراه بعضهم يعززوه بزايين
من العز والاكثر والاظهر ان هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال
ويسبحوه فهذا راجع الى الله تع قال ابن عطا جمع للنبي صلى الله عليه وسلم
في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من اعلام الاجابة والمغفرة
وهي من اعلام المحبة وتمام النعمة وهي من اعلام الاختصاص والهداية وهي من
اعلام الولاية فالمغفرة تبرئة من العيوب وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة
والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة وقال جعفر ابن محمد من تمام نعمته عليه ان جعله
حبيبه واقسم بحياته ونسخ به شرايع غيره وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه في المعراج
حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه الى الاسود والاحمر واحل له ولامته الغنائم
وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد آدم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله
احد ركني التوحيد ثم قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يعني بيعة الرضوان
اي انما يبايعون الله ببيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة
قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده وهذا استعارة وتجنيس في
الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم اياه وعظم شان المبايع صلى الله عليه وسلم
وقد يكون من هذا قوله تع فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى وان كان الاول في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة لان القاتل
والرامي بالحقيقة هو الله وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه
ولانه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم
من لم تملأ عينيه وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه الاية
الاخرى انها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته اي ما قتلتموهم
وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم
بالجزع اي ان منفعة الرمي كانت من فعل الله فهو القاتل والرامي بالمعنى وانت بالاسم
الفصل العاشر فيما اظهره الله تع في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته
عنده وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرنا قبل من ذلك ما نصه
تع من قصة الاسرا في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة
من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجايب ومن ذلك

عصمته من الناس بقوله والله يعصمك من الناس وقوله وإذ يمكر بك الذين
كفروا الآية وقوله إلا تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله به عنه في
هذه القصة من أذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصه نجيا في أمره والأخذ
على أبصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر في ذلك
من الآيات ونزول السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك حسب
ما ذكره أهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة ومنه
قوله تعالى إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر
أعلمه الله بما أعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير الكثير
وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم أجاب
عنه عدوه ورد عليه قوله فقال تعالى إن شانئك هو الأبتر أي عدوك
ومبغضك والأبتر الحقير الذليل أو المفرد الوحيد أو الذي لا خير فيه
وقال ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قيل السبع المثاني
السور الطوال الأول والقرآن العظيم أم القرآن وقيل السبع المثاني أم القرآن
والقرآن العظيم سائره وقيل السبع المثاني ما في القرآن من أمر ونهي وبشرى
وإنذار وضرب مثل وإعداد نعم وآتيناك نبأ القرآن العظيم وقيل سميت
أم القرآن مثاني لأنها تثنى في كل ركعة وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله
عليه وسلم وادخرها له دون الأنبياء وسمى القرآن العظيم مثاني لأن القصص
تثنى فيه وقيل السبع المثاني أكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة
والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة وقال وأنزلنا إليك الذكر الآية
وقال وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال قل يا أيها الناس
إني رسول الله إليكم جميعا الآية قال الفقيه القاضي فهذه من خصائصه
وقال وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم
وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الخلق كافة كما قال عليه السلام بعثت إلى
الأحمر والأسود وقال تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم أي ما أنفذه
فيهم من أمر فهو ماض عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده وقيل اتباع أمره
أولى من اتباع رأي النفس وأزواجه أمهاتهم أي هن في الحرمة كالأمهات
حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له عليه السلام وخصوصية

ولأنهن

ولأنهن له أزواج في الآخرة وقد قرئ وهو أب لهم ولا يقرأ به الآن لمخالفته المصحف
وقال تعالى وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة الآية قيل فضله العظيم بالنبوة
وقيل بما سبق له في الأزل وأشار الواسطي إلى أنها إشارة إلى احتمال الرؤية
التي لم يحتملها موسى صلى الله عليهما . الباب الثالث في تكميل الله تعالى له المحاسن
خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا اعلم
أيها المحب لهذا النبي الكريم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم أن
خصال الجلال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته
الجبلة وضرورة الحياة الدنيا ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب إلى
الله زلفى ثم هي على فنين أيضا منها ما يتخلص لأحد الوصفين ومنها ما يتمازج
ويتداخل فأما الضروري المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل
ما كان في جبلته صلى الله عليه وسلم من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله
وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه وأعضائه واعتدال حركاته وشرف
نسبه وعزة قومه وكرم أرضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته إليه من غذائه
ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد يلحق هذه الخصال
الآخرة بالأخروية إذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها
وكانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة . قال وأما المكتسبة الأخروية
فسائر الأخلاق العلية والآداب الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر
والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة
والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة
وأخواتها وهي التي جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الأخلاق ما هو
في الغريزة وأصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها
ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها في أصل الجبلة شعبة كما سنبينه إن شاء الله
وتكون هذه الأخلاق دنيوية إذا لم يرد بها وجه الله تعالى والدار الآخرة ولكنها
كلها محاسن وفضائل باتفاق أصحاب العقول السليمة وإن اختلفوا في
موجب حسنها وتفضيلها . فصل إذا كانت خصال الجلال والكمال ما ذكرنا
ووجدنا الواحد منا يتشرف بواحدة منها أو اثنتين إن اتفقت له في كل عصر
إما من نسب أو جمال أو قوة أو علم أو حلم أو شجاعة أو سماحة حتى يعظم قدره

وتضرب باسمه الأمثال وتتقرر له بالوصف بذلك في القلوب أثرة وعظمة وهو منذ
عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال
إلى ما لا يأخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص
الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء و
الإسراء والرؤية والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة
والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث إلى الأحمر والأسود
والصلاة بالأنبياء والشهادة بين الأنبياء والأمم وسيادة ولد آدم ولواء
الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثمة والأمانة
والهداية ورحمة للعالمين وإعطاء الرضا والسؤل والكوثر وسماع القول
وإتمام النعمة والعفو عما تقدم وتأخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع
الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتأييد بالملائكة وإيتاء الكتاب
والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم وتزكية الأمة والدعاء إلى الله
وصلاة الله تعالى والملائكة والحكم بين الناس بما أراه الله ووضع الإصر و
الأغلال عنهم والقسم باسمه وإجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم وإحياء الموتى
وإسماع الصم ونبع الماء من بين أصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد
الشمس وقلب الأعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح
الحصى وإبراء الآلام والعصمة من الناس إلى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط
بعلمه إلا مانحه ذلك ومفضله به لا إله غيره إلى ما أعد له في الدار الآخرة
من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى
والزيادة التي تقف دونها العقول ويحار دون إدراكها الوهم فصل
إن قلت أكرمك الله لا خفاء على القطع بالجملة أنه صلى الله عليه وسلم أعلى الناس
قدرا وأعظمهم محلا وأكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل
خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني إلى أن أقف عليها من أوصافه صلى الله
عليه وسلم تفصيلا فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم
حبي وحبك أنك إذا نظرت إلى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة
الخلقة وجدته عليه السلام حائزا لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف
بين نقلة الأخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع أما الصورة وجمالها وتناسب

أعضائه

أعضائه في حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي و
أنس بن مالك وأبي هريرة والبراء بن عازب وعائشة أم المؤمنين وابن أبي هالة و
أبي جحيفة وجابر بن سمرة وأم معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب وأبي الطفيل و
العداء بن خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم رضي الله عنهم من أنه صلى الله عليه
وسلم كان أزهر اللون أدعج أنجل أشكل أهدب الأشفار أبلج أزج أقنى
أفلج مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء البطن والصدر
واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل العضدين والذراعين والأسافل رحب
الكفين والقدمين سائل الأطراف أنور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس
بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه صلى الله عليه وسلم
أحد ينسب إلى الطول إلا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر إذا افتر ضاحكا افتر
عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام إذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه أحسن
الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم قال البراء ما رأيت من
ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو هريرة
ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري
في وجهه وإذا ضحك يتلألأ في الجدر وقال جابر بن سمرة وقال له رجل
كان وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر
وكان مستديرا صلى الله عليه وسلم وقالت أم معبد في بعض ما وصفته به أجمل
الناس من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب وفي حديث ابن أبي هالة يتلألأ
وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله عنه في آخر وصفه له من رآه
بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله
صلى الله عليه وسلم والأحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة ولا نطول
بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة بما فيه الكفاية
في القصد إلى المطلوب وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف
عليه هناك إن شاء الله تعالى فصل وأما نظافة جسمه صلى الله عليه وسلم
وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الأقذار وعورات الجسد فكان قد
خصه الله في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع
وخصال الفطرة العشر وقال صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة

روى مسلم في صحيحه من رواية عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر من الفطرة
الختان • وقص الشارب • وإعفاء اللحية • واستنشاق الماء • وقص الأظفار • وغسل البراجم
ونتف الإبط • وحلق العانة • وانتقاص الماء

حدثنا سفين بن العاصي وغير واحد حدثنا احمد بن عمر نا ابو العباس الرازي
حدثنا ابو احمد الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم نا قتيبة نا جعفر بن سليمان عن
ثابت عن انس قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا اطيب من ريح
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم
مسح خده فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها من جونة عطار
قال غيره مسها بطيب او لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده
على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى الله
عليه وسلم في دار انس فعرق فجاءت امه بقارورة تجمع فيها عرقه فسالها رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب
وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق
فيتبعه احد الا عرف انه سلكه من طيبه وذكر اسحق بن راهويه ان تلك
كانت رايحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم وروى المزني عن جابر اردفني
النبي صلى الله عليه وسلم فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان ينم علي مسكا
وقد حكى بعض المعتنين باخباره وشمائله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اراد
ان يتغوط انشقت الارض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة
طيبة صلى الله عليه وسلم واسند محمد بن سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن
عايشة رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم انك تاتي الخلاء فلا نرى منك
شيئا من الاذى فقال يا عايشة اوما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبياء
فلا يرى منه شيء وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا فقد قال قوم من اهل العلم
بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض اصحاب الشافعي
حكاه الامام ابو نصر ابن الصباغ في شامله وقد حكى القولين عن العلماء
في ذلك ابو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية
وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا انه
صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب ومنه حديث علي رضي الله عنه
غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد
شيئا فقلت طبت حيا وميتا قال وسطعت منه ريح طيبة لم نجد
مثلها قط ومثله قال ابو بكر رضي الله عنه حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم

بعد موته

بعد موته ومنه شرب مالك ابن سنان دمه يوم احد ومصه اياه وتسويغه صلى الله
عليه وسلم ذلك له وقوله لن تصيبه النار ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته
فقال له عليه السلام ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكر عليه وقد روي
نحو من هذا عنه عليه السلام في امراة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك
ابدا ولم يامر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده وحديث هذه المراة التي شربت
بوله صحيح الزم الدارقطني مسلما والبخاري اخراجه في الصحيح واسم هذه المراة بركة
واختلف في نسبها وقيل هي ام ايمن وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت وكان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان توضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم
افتقده فلم يجد فيه شيئا فسال بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانة فشربته وانا
لا اعلم روى حديثها ابن جريج وغيره وكان صلى الله عليه وسلم قد ولد مختونا
مقطوع السرة وروي عن امه امنة انها قالت ولدته نظيفا ما به قذر وعن
عايشة رضي الله عنها ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط وعن علي
رضي الله عنه اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيري فانه لا يرى احد
عورتي الا طمست عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه انه صلى الله عليه
وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضا قال عكرمة لانه كان صلى الله عليه
وسلم محفوظا فصل واما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة
لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية انه كان اعقل الناس واذكاهم
ومن تامل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة الخاصة والعامة
مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما افاضه من العلم وقرره من الشرع
دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر
في رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهة وهذا مما لا يحتاج الى تقريره
لتحقيقه وقال وهب بن منبه قرات في احد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها
ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا وفي رواية
اخرى فوجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا
الى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال
الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلوة
يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك في

في الساجدين وفي الموطأ عنه عليه السلام اني لأراكم من وراء ظهري ونحوه
عن انس في الصحيحين وعن عايشة مثله قالت زيادة زاده الله اياها في حجته
وفي بعض الروايات اني لأنظر من ورائي كما انظر الى من بين يدي وفي اخرى اني
لأبصر من قفاي كما ابصر من بين يدي وحكى بقي بن مخلد عن عايشة كان النبي
صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والاخبار كثيرة صحيحة في
رؤيته صلى الله عليه وسلم للملائكة والشياطين ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وبيت المقدس
حين وصفه لقريش والكعبة حين بنى مسجده وقد حكي عنه انه كان يرى في الثريا
احد عشر نجما وهذه كلها محمولة على رؤية العين وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب
بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر تخالفه ولا احالة في ذلك وهي من خواص الانبياء
وخصالهم كما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه حدثنا ابو الحسن المقري
الفرغاني حدثتنا ام القسم بنت ابي بكر عن ابيها حدثنا الشريف ابو الحسن
علي بن محمد الحسيني حدثنا محمد بن محمد بن سعيد حدثنا محمد بن احمد بن سليمن حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق
حدثنا همام حدثنا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة
فراسخ ولا يبعد على هذا ان تختص نبينا بما ذكرناه من هذا الباب بعد الاسراء والحظوة
بما رأى من آيات ربه الكبرى وقد جاءت الاخبار بانه صرع ركانة اشد اهل وقته
وكان دعاه الى الاسلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلث
مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة ما رأيت احدا
اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كأنما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا
وهو غير مكترث وفي صفته ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى
مشى تقلعا كأنما ينحط من صبب فصل واما فصاحة اللسان وبلاغة القول
فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل
سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة
معان وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم وخص ببدايع الحكم وعلم السنة العرب
يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير
من اصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيره علم
ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار

الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي والاشعث بن قيس ووائل
ابن حجر الكندي وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الى
همدان ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها تأكلون علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم
ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض
الداجن والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله لنهد اللهم
بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك له في
المال والولد من اقام الصلوة كان مسلما ومن اتى الزكوة كان محسنا ومن شهد ان
لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودايع الشرك ووضايع الملك
لا تلطط في الزكوة ولا تلحد في الحيوة ولا تتثاقل عن الصلوات وكتب لهم
في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو
الضبيس ولا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الاماق
وتأكلوا الرباق من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة ومن كتابه
لوائل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب وفيه في التيعة شاة
لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنا مم بكر
فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنا مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم
في الدين ولا غمة في فرايض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال
اين هذا من كتابه لانس في الصدقة المشهور لما كان كلام هؤلاء على هذا الحد
وبلاغتهم على هذا النمط واكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم ليبين
للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله في حديث عطية السعدي
فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بلغتنا وقوله في حديث العامري حين سأله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
سل عنك اي سل عما شئت وهي لغة بني عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته
المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد الف الناس فيها الدواوين وجمعت
في الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة
كقوله عليه السلام المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على
من سواهم وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة

من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن
وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم وقوله أسلم
تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيمة
أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان
يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله
وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ومنع وهات
وعقوق الأمهات ووأد البنات وقوله اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة
الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وخير الأمور أوسطها وقوله أحبب
حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم ظلمات يوم
القيمة وقوله في بعض دعائه اللهم إني أسألك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع
بها أمري وتلم بها شعثي وتصلح بها ديني وتحفظ بها غائبي وترفع بها شاهدي
وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها ألفتي وتعصمني بها من كل سوء
اللهم إني أسألك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على
الأعداء إلى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وأدعيته
ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف أنه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز
فيها سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق إليها ولا قدر أحد
أن يفرغ في قالبه عليها كقوله حمي الوطيس ومات حتف أنفه ولا يلدغ المؤمن
من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره في أخواتها ما يدرك الناظر العجب في مضمنها
وتذهب به الفكر في أداني حكمها وقد قال له أصحابه ما رأينا الذي هو أفصح منك
فقال وما يمنعني وإنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين وقال مرة أخرى
بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة
البادية وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها إلى التأييد الإلهي
الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري وقالت أم معبد في وصفها له حلو
المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت
حسن النغمة صلى الله عليه وسلم فصل وأما شرف نسبه وكرم بلده ومنشأه
ومنبته فمما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فإنه نخبة بني
هاشم سلالة قريش وصميمها وأشرف العرب وأعزهم نفرا من قبل أبيه وأمه ومن أهل

مكة من أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد
الصدفي رحمه الله حدثنا القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف حدثنا أبو ذر عبد بن أحمد
حدثنا أبو محمد السرخسي وأبو إسحق وأبو الهيثم قالوا حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسمعيل
حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن أبي سعيد المقبري عن
أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت
من القرن الذي كنت منه وعن العباس قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله خلق الخلق فجعلني من
خيرهم من خير قرنهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فأنا
خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة بن الأسقع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله
اصطفى من ولد إبرهيم إسمعيل واصطفى من ولد إسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة
قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم قال الترمذي وهذا حديث
صحيح وفي حديث عن ابن عمر رواه الطبري أنه صلى الله عليه وسلم قال إن الله اختار
خلقه فاختار منهم بني آدم ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار
بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني فلم أزل خيارا من خيار ألا من أحب العرب
فبحبي ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم وعن ابن عباس أن قريشا كانت نورا
بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح
الملائكة بتسبيحه فلما خلق آدم ألقى ذلك النور في صلبه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم وجعلني في صلب
نوح وقذف بي في صلب إبرهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام
الطاهرة حتى أخرجني بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة هذا الخبر
شعر العباس في مدح النبي صلى الله عليه وسلم المشهور فصل وأما ما تدعو ضرورة
الحياة إليه مما فصلناه فعلى ثلثة ضروب ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل
في كثرته وضرب تختلف الأحوال فيه وأما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل
حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم
بكثرتهما لأن كثرة الأكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة
مسبب لمضار الدنيا والآخرة جالب لأدواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ
وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة
الذهن كما أن كثرة النوم دليل الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل

وَعَادَةِ الْعَجْزِ وَتَضْيِيعِ الْعُمُرِ فِي غَيْرِ نَفْعٍ وَقَسَاوَةِ الْقَلْبِ وَغَفْلَتِهِ وَمَوْتِهِ وَالشَّاهِدُ عَلَى هَذَا
مَا يُعْلَمُ ضَرُورَةً وَيُوجَدُ مُشَاهَدَةً وَيُنْقَلُ مُتَوَاتِرًا مِنْ كَلَامِ الْأُمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَالْحُكَمَاءِ السَّالِفِينَ
وَأَشْعَارِ الْعَرَبِ وَأَخْبَارِهَا وَصَحِيحِ الْحَدِيثِ وَآثَارِ مَنْ سَلَفَ وَخَلَفَ مِمَّا لَا يُحْتَاجُ إِلَى الِاسْتِشْهَادِ
عَلَيْهِ اخْتِصَارًا وَاقْتِصَارًا عَلَى اشْتِهَارِ الْعِلْمِ بِهِ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَخَذَ مِنْ هَذَيْنِ الْفَنَّيْنِ
بِالْأَقَلِّ هَذَا مَا لَا يُدْفَعُ مِنْ سِيرَتِهِ وَهُوَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ وَحَضَّ عَلَيْهِ لَا سِيَّمَا بِارْتِبَاطِ أَحَدِهِمَا بِالْآخَرِ حَدَّثَنَا
أَبُو عَلِيٍّ الصَّدَفِيُّ الْحَافِظُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ الْأَصْبَهَانِيُّ أَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ
حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ سَهْلٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ أَنَّ يَحْيَى بْنَ جَابِرٍ حَدَّثَهُ عَنِ الْمِقْدَامِ
ابْنِ مَعْدِيكَرِبَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ
حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ
لِنَفَسِهِ وَلِأَنَّ كَثْرَةَ النَّوْمِ مِنْ كَثْرَةِ الشُّرْبِ وَالْأَكْلِ قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ بِقِلَّةِ الطَّعَامِ يُمْلَكُ
سَهَرُ اللَّيْلِ وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ لَا تَأْكُلُوا كَثِيرًا فَتَشْرَبُوا كَثِيرًا فَتَرْقُدُوا كَثِيرًا وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ أَحَبُّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ مَا كَانَ عَلَى ضَفَفٍ أَيْ كَثْرَةِ الْأَيْدِي وَعَنْ عَائِشَةَ
رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لَمْ يَمْتَلِئْ جَوْفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شِبَعًا قَطُّ وَأَنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ لَا يَسْأَلُهُمْ طَعَامًا
وَلَا يَتَشَهَّاهُ إِنْ أَطْعَمُوهُ أَكَلَ وَمَا أَطْعَمُوهُ قَبِلَ وَمَا سَقَوْهُ شَرِبَ وَلَا يَعْتَرِضُ عَلَى هَذَا بِحَدِيثِ
بَرِيرَةَ وَقَوْلِهِ أَلَمْ أَرَ الْبُرْمَةَ فِيهَا لَحْمٌ إِذْ لَعَلَّ سَبَبَ سُؤَالِهِ ظَنُّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتِقَادَهُمْ أَنَّهُ
لَا يَحِلُّ لَهُ فَأَرَادَ بَيَانَ سُنَّتِهِ إِذْ رَآهُمْ لَمْ يُقَدِّمُوهُ إِلَيْهِ مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَأْثِرُونَ عَلَيْهِ بِهِ
فَصَدَّقَ عَلَيْهِمْ ظَنَّهُ وَبَيَّنَ لَهُمْ مَا جَهِلُوهُ مِنْ أَمْرِهِ بِقَوْلِهِ هُوَ لَهَا صَدَقَةٌ وَلَنَا هَدِيَّةٌ وَفِي حِكْمَةِ لُقْمَانَ
يَا بُنَيَّ إِذَا امْتَلَأَتِ الْمَعِدَةُ نَامَتِ الْفِكْرَةُ وَخَرِسَتِ الْحِكْمَةُ وَقَعَدَتِ الْأَعْضَاءُ عَنِ الْعِبَادَةِ
قَالَ سَحْنُونٌ لَا يَصْلُحُ الْعِلْمُ لِمَنْ يَأْكُلُ حَتَّى يَشْبَعَ وَفِي صَحِيحِ الْحَدِيثِ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَّا أَنَا
فَلَا آكُلُ مُتَّكِئًا وَالِاتِّكَاءُ هُوَ التَّمَكُّنُ لِلْأَكْلِ وَالتَّقَعْدُدُ فِي الْجُلُوسِ لَهُ كَالْمُتَرَبِّعِ وَشِبْهِهِ مِنْ
تَمَكُّنِ الْجَلَسَاتِ الَّتِي يَعْتَمِدُ فِيهَا الْجَالِسُ عَلَى مَا تَحْتَهُ وَالْجَالِسُ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ
يَسْتَدْعِي الْأَكْلَ وَيَسْتَكْثِرُ مِنْهُ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا كَانَ جُلُوسُهُ لِلْأَكْلِ
جُلُوسَ الْمُسْتَوْفِزِ مُقْعِيًا وَيَقُولُ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ وَأَجْلِسُ
كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ وَلَيْسَ مَعْنَى الْحَدِيثِ فِي الِاتِّكَاءِ الْمَيْلَ عَلَى شِقٍّ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ
وَكَذَلِكَ نَوْمُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ قَلِيلًا شَهِدَتْ بِذَلِكَ الْآثَارُ الصَّحِيحَةُ
وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ قَالَ إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي وَكَانَ نَوْمُهُ عَلَى جَانِبِهِ الْأَيْمَنِ
اسْتِظْهَارًا عَلَى قِلَّةِ النَّوْمِ لِأَنَّهُ عَلَى الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ أَهْنَأُ لِهُدُوِّ الْقَلْبِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ

مِنَ الْأَعْضَاءِ الْبَاطِنَةِ حِينَئِذٍ لِمَيْلِهَا إِلَى الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ فَيَسْتَدْعِي ذَلِكَ الِاسْتِثْقَالَ فِيهِ وَ
الطُّولَ وَإِذَا نَامَ النَّائِمُ عَلَى الْأَيْمَنِ تَعَلَّقَ الْقَلْبُ وَقَلِقَ فَأَسْرَعَ الْإِفَاقَةَ وَلَمْ يَغْمُرْهُ الِاسْتِغْرَاقُ
فَصْلٌ وَالضَّرْبُ الثَّالِثُ مَا يَتَّفِقُ التَّمَدُّحُ بِكَثْرَتِهِ وَالْفَخْرُ بِوُفُورِهِ كَالنِّكَاحِ وَالْجَاهِ أَمَّا
النِّكَاحُ فَمُتَّفَقٌ فِيهِ شَرْعًا وَعَادَةً فَإِنَّهُ دَلِيلُ الْكَمَالِ وَصِحَّةِ الذُّكُورِيَّةِ وَلَمْ يَزَلِ التَّفَاخُرُ
بِكَثْرَتِهِ عَادَةً مَعْرُوفَةً وَالتَّمَادُحُ بِهِ سِيرَةً مَاضِيَةً وَأَمَّا فِي الشَّرْعِ فَسُنَّةٌ مَأْثُورَةٌ وَقَدْ قَالَ
ابْنُ عَبَّاسٍ أَفْضَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً مُشِيرًا إِلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنَاكَحُوا فَإِنِّي مُبَاهٍ بِكُمُ الْأُمَمَ وَنَهَى عَنِ التَّبَتُّلِ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ قَمْعِ الشَّهْوَةِ وَغَضِّ
الْبَصَرِ اللَّذَيْنِ نَبَّهَ عَلَيْهِمَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ مَنْ كَانَ ذَا طَوْلٍ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ
وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ حَتَّى لَمْ يَرَهُ الْعُلَمَاءُ مِمَّا يَقْدَحُ فِي الزُّهْدِ قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ قَدْ حُبِّبْنَ
إِلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ فَكَيْفَ يُزْهَدُ فِيهِنَّ وَنَحْوُهُ لِابْنِ عُيَيْنَةَ وَقَدْ كَانَ زُهَّادُ الصَّحَابَةِ
كَثِيرِي الزَّوْجَاتِ وَالسَّرَارِي كَثِيرِي النِّكَاحِ وَحُكِيَ فِي ذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ وَالْحَسَنِ
وَابْنِ عُمَرَ وَغَيْرِهِمْ غَيْرُ شَيْءٍ وَقَدْ كَرِهَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنْ يَلْقَى اللهَ عَزَبًا فَإِنْ قُلْتَ
كَيْفَ يَكُونُ النِّكَاحُ وَكَثْرَتُهُ مِنَ الْفَضَائِلِ وَهَذَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا قَدْ أَثْنَى اللهُ عَلَيْهِ
أَنَّهُ كَانَ حَصُورًا فَكَيْفَ يُثْنِي اللهُ عَلَيْهِ بِالْعَجْزِ عَمَّا تَعُدُّهُ فَضِيلَةً وَهَذَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
تَبَتَّلَ مِنَ النِّسَاءِ وَلَوْ كَانَ كَمَا قَرَّرْتَهُ لَنَكَحَ فَاعْلَمْ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ ثَنَاءَ اللهِ تَعَالَى عَلَى يَحْيَى بِأَنَّهُ حَصُورٌ لَيْسَ كَمَا
قَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ كَانَ مَحْجُوبًا أَوْ لَا ذَكَرَ لَهُ بَلْ قَدْ أَنْكَرَ هَذَا حُذَّاقُ الْمُفَسِّرِينَ وَنُقَّادُ الْعُلَمَاءِ
وَقَالُوا هَذِهِ نَقِيصَةٌ وَعَيْبٌ وَلَا يَلِيقُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ أَنَّهُ مَعْصُومٌ مِنَ الذُّنُوبِ
أَيْ لَا يَأْتِيهَا كَأَنَّهُ حُصِرَ عَنْهَا وَقِيلَ مَانِعًا نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَقِيلَ لَيْسَتْ لَهُ شَهْوَةٌ فِي النِّسَاءِ
فَقَدْ بَانَ لَكَ مِنْ هَذَا أَنَّ عَدَمَ الْقُدْرَةِ عَلَى النِّكَاحِ نَقْصٌ وَإِنَّمَا الْفَضْلُ فِي كَوْنِهَا مَوْجُودَةً
ثُمَّ قَمْعُهَا إِمَّا بِمُجَاهَدَةٍ كَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ بِكِفَايَةٍ مِنَ اللهِ تَعَالَى كَيَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَضِيلَةٌ زَائِدَةٌ لِكَوْنِهَا
شَاغِلَةً فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ حَاطَّةً إِلَى الدُّنْيَا ثُمَّ هِيَ فِي حَقِّ مَنْ أُقْدِرَ عَلَيْهَا وَمُلِّكَهَا وَقَامَ
بِالْوَاجِبِ فِيهَا وَلَمْ تَشْغَلْهُ عَنْ رَبِّهِ دَرَجَةٌ عُلْيَا وَهِيَ دَرَجَةُ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي
لَمْ تَشْغَلْهُ كَثْرَتُهُنَّ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ بَلْ زَادَهُ ذَلِكَ عِبَادَةً لِتَحْصِينِهِنَّ وَقِيَامِهِ بِحُقُوقِهِنَّ وَ
اكْتِسَابِهِ لَهُنَّ وَهِدَايَتِهِ إِيَّاهُنَّ بَلْ صَرَّحَ أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ حُظُوظِ دُنْيَاهُ هُوَ وَإِنْ كَانَتْ
مِنْ حُظُوظِ دُنْيَا غَيْرِهِ فَقَالَ حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ فَدَلَّ أَنَّ حُبَّهُ لِمَا ذُكِرَ مِنَ النِّسَاءِ وَ
الطِّيبِ اللَّذَيْنِ هُمَا مِنْ أُمُورِ دُنْيَا غَيْرِهِ وَاسْتِعْمَالَهُ لِذَلِكَ لَيْسَ لِدُنْيَاهُ بَلْ لِلْآخِرَةِ لِلْفَوَائِدِ الَّتِي
ذَكَرْنَاهَا فِي التَّزْوِيجِ وَلِلِقَاءِ الْمَلَائِكَةِ فِي الطِّيبِ وَلِأَنَّهُ أَيْضًا مِمَّا يَحُضُّ عَلَى الْجِمَاعِ وَيُعِينُ

وتحرك أسبابه وكان جمع لها بين الخصلتين لأجل غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص به لما في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين الحالين فقال وجعلت قرة عيني في الصلوة فقد ساوى يحيى وعيسى في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة في القيام بهن وكان صلى الله عليه وسلم ممن أقدر على القوة في هذا وأعطي الكثير منه ولهذا أبيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة قال أنس وكنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلثين رجلا خرجه النسائي وروي نحوه عن أبي رافع وعن طاوس أعطي عليه السلام قوة أربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم وقالت سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة قبل أن يأتي الأخرى وقال هذا أطهر وأطيب وقد قال سليمن عليه السلام لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين وأنه فعل ذلك قال ابن عباس كان في ظهر سليمن ماء مائة رجل وكان له ثلثمائة امرأة وثلثمائة سرية وحكى النقاش وغيره سبعمائة امرأة وثلثمائة سرية وقد كان لداود عليه السلام على زهده وأكله من عمل يده تسع وتسعون امرأة وتمت بزوج أوريا مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة وفي حديث أنس عنه عليه السلام فضلت على الناس بأربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش وأما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب وقد قال الله تعالى في صفة عيسى عليه السلام وجيها في الدنيا والآخرة لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الآخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الأرض وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون أصحابه ويقصدون أذاه في نفسه خفية حتى إذا واجههم أعظموا أمره وقضوا حاجته وأخباره في ذلك معروفة وسيأتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روي عن قيلة أنها لما رأته أرعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث أبي مسعود أن رجلا قام بين يديه فأرعد فقال له هون عليك فإني لست بملك الحديث فأما عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وإنافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فأمر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة سيد ولد

وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم بأسره

فصل وأما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لأجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به إلى حاجاته وتمكن أغراضه بسببه وإلا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه وأمله وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه عند أهل الدنيا وإذا صرفه في وجوه البر وأنفقه في سبيل الخير وقصد بذلك الله والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل أوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فإذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله ليست لنفسه وإنما هو للتوصل به إلى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه إذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند أحد من العقلاء بل هو فقير أبدا غير واصل إلى غرض من أغراضه إذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه فأشبه خازن مال غيره ولا مال له فكأنه ليس في يده منه شيء والمنفق ملي غني بتحصيله فوائد المال وإن لم يبق في يده من المال شيء فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد أوتي خزائن الأرض ومفاتيح البلاد وأحلت له الغنائم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجلبت إليه من أخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك إلا بعضه وهادته جماعة من ملوك الأقاليم فما استأثر بشيء منه ولا أمسك منه درهما بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال ما يسرني أن لي أحدا ذهبا يبيت عندي منه دينار إلا دينارا أرصده لديني وأتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها بقية فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته إليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره أقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر إذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدي إلى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس إنما يعود

الى الفخر بكثرة الموجود ووفور المال وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل
وتكثير الالة وخدمه ومركوباته ومن ملك الارض وجبى اليه ما فيها فترك ذلك زهدا
وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زائد
عليها في الفخر ومعرق في المدح باضرابه عنها وزهده في فائتها وبذلها في مظانها فصل
واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والاداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء
على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع
على جميعها وامر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة
وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها والتوسط فيها دون
الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال
الى غايتها حتى اثنى الله تعالى عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت عايشة رضي الله عنها
كان خلقه القران يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال عليه السلام بعثت لاتمم
مكارم الاخلاق قال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وعن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في اصل خلقته واول فطرته
لم تحصل له باكتساب ولا رياضة الا بجود الهي وخصوصية ربانية وهكذا لساير الانبياء و
من طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال عيسى وموسى ويحيى وسليمن
وغيرهم عليهم السلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم والحكمة في الفطرة
قال الله تعالى واتيناه الحكم صبيا قال المفسرون اعطي يحيى العلم بكتاب الله تعالى في حال
صباه وقال معمر كان ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب
خلقت وقيل في قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث
سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو في بطن امه فكانت ام يحيى
تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله تعالى على كلام
عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله لها لا تحزني على قراءة من قرا من تحتها وعلى قول
من قال ان المنادي عيسى ونص على كلامه في مهده فقال اني عبد الله اتاني الكتاب
وجعلني نبيا وقال ففهمناها سليمن وكلا اتينا حكما وعلما وقد ذكر من
حكم سليمن وهو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به
داود ابوه وحكى الطبري ان عمره كان حين اوتي الملك اثني عشر
عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل

وقال

وقال المفسرون في قوله ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل اي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره و
قال ابن عطاء اصطفاه قبل ابداء خلقه وقال بعضهم لما ولد ابرهيم بعث الله تعالى اليه ملكا يامره
عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده
وقيل ان القاء ابرهيم عليه السلام في النار ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة
وان ابتلاء اسحق بالذبح وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابرهيم بالكوكب والقمر و
الشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل اوحى الله الى يوسف وهو صبي عندما هم
اخوته بالقائه في الجب بقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الاية الى غير ذلك
من اخبارهم وقد حكى اهل السير ان امنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله
عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى السماء وقال في حديثه
صلى الله عليه وسلم لما نشات بغضت الى الاوثان وبغض الى الشعر ولم اهم بشيء مما
كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد ثم يتمكن الامر لهم وتترادف
نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الى الغاية ويبلغوا
باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة و
لا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم
يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتسابها تمامها عناية
من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت او الشهامة او صدق
اللسان او السماحة كما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة
يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل
ميسر لما خلق له ولهذا ما قد اختلف السلف فيها اهل هذا الخلق جبلة او مكتسبة فحكى الطبري
عن بعض السلف ان الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله
ابن مسعود والحسن وبه قال هو والصواب ما اصلناه وقد روى سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب في حديثه
والجراة والجبن غرايز يضعها الله حيث يشاء وهذه الاخلاق المحمودة والخصال
الشريفة كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم
ان شاء الله تعالى فصل اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دايرتها فالعقل
الذي منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الراي وجودة الفطنة والاصابة
وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة

والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد اشرنا الى مكانه منه عليه السلام و
بلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه اذ جلالة محله من ذلك ومما
تفرع منه متحقق عند من تتبع مجاري احواله واطراد سيره وطالع جوامع كلامه
وحسن شمائله وبدايع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة والانجيل والكتب
المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسات
الانام وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم
التي اتخذ اهلها كلامه عليه السلام فيها قدوة واشاراته حجة كالعبارة والطب
والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته ان شاء الله تعالى
دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل نبي
امي لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره وعلمه واقرأه يعلم ذلك
بالمطالعة والبحث عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد
الاقاصيص وآحاد القضايا اذ مجموعها ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب
عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم الى سائر ما علمه الله واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان
وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك
عظيما. حارت العقول في تقدير فضله عليه وخرست الالسن دون وصف
يحيط بذلك او ينتهي اليه. فصل واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره
وبين هذه الالقاب فرق فان الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات والاحتمال
حبس النفس عند الآلام والمؤذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة واما العفو
فهو ترك المؤاخذة وهذا كله مما ادب الله به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو
وأمر بالعرف الآية روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية سأل
جبريل عن تأويلها فقال له حتى اسأل العالم ثم ذهب فأتاه فقال يا محمد ان الله يأمرك
ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له واصبر
على ما اصابك الآية وقال فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وقال وليعفوا و
ليصفحوا الآية وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ولا خفاء بما يؤثر
من حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو
صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما
حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا حدثنا محمد بن عتاب

حدثنا ابو بكر

حدثنا ابو بكر بن واقد القاضي وغيره حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى بن يحيى
حدثنا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم
في امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد
الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك
حرمة الله تعالى فينتقم لله بها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته
وشج وجهه يوم احد شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم
فقال اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون
وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال في بعض كلامه بابي انت وامي يا رسول الله
لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو
دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك
وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه انظر ما في هذا القول من جماع الفضل و
درجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر
صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفى عنهم ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا
وشفع لهم فقال اللهم اغفر او اهد ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي ثم
اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فان هذه
قسمة ما اريد بها وجه الله لم يزده في جوابه ان بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها
بما قال له فقال ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل ونهى
من اراد من اصحابه قتله ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك برسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون في غزاة فلم
ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم والسيف صلتا في يده
فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فأخذه النبي
صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ فتركه
وعفى عنه فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس ومن
عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد
اعترافها على الصحيح من الرواية وانه لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره
وقد اعلم به واوحي اليه بشرح امره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته وكذلك

لم يؤاخذ عبد الله بن ابي واشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولا وفعلا بل قال لمن
اشار بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه وعن انس كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه
برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابي بردائه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ثم
قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فانك لا تحمل لي من مالك ولا
من مال ابيك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد منك
يا اعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال لانك لا تكافي بالسيئة السيئة فضحك النبي صلى الله عليه وسلم
ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر قالت عائشة رضي الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله وما ضرب بيده شيئا قط الا ان يجاهد
في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امراة وجيء اليه برجل فقيل هذا اراد ان يقتلك فقال له
صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط علي وجاءه زيد بن سعنة قبل
اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم
يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشدد له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وهو كنا الى غير هذا منك احوج يا عمر تامرني بحسن القضاء
وتامره بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي من اجله ثلث وامر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين
صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه وذلك انه كان يقول ما بقي من علامات النبوة
شيء الا وقد عرفتها في محمد الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل
الا حلما فاختبرته بهذا فوجدته كما وصف والحديث عن حلمه عليه السلام وصبره وعفوه عند
المقدرة اكثر من ان ناتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات
الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاسات قريش واذى الجاهلية ومصابرة
الشدائد الصعبة معهم الى ان اظفره الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استيصال شافتهم
وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفى وصفح وقال ما تقولون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم
وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم الآية اذهبوا فانتم الطلقاء
وقال انس هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلوة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخذوا فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل وهو الذي كف ايديهم عنكم الآية
وقال لابي سفيان وقد سيق اليه بعد ان جلب اليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفى
عنه ولاطفه في القول ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله
فقال بابي انت وامي ما احلمك واوصلك واكرمك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابعد الناس

ابعد الناس غضبا واسرعهم رضا صلى الله عليه وسلم **فصل** واما الجود والكرم والسخاء
والسماحة ومعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق
بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه ايضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما
يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الانفاق وتجنب
اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير وكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى في
هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي
الصدفي رحمه الله حدثنا القاضي ابو الوليد الباجي حدثنا ابو ذر الهروي حدثنا ابو الهيثم الكشميهني
وابو محمد السرخسي وابو اسحق البلخي حدثنا ابو عبد الله الفربري حدثنا البخاري حدثنا
محمد بن كثير حدثنا سفين عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبي
صلى الله عليه وسلم عن شيء فقال لا وعن انس وسهل بن سعد مثله وقال ابن عباس كان
النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود ما كان في شهر رمضان وكان اذا
لقيه جبريل عليه السلام اجود بالخير من الريح المرسلة وعن انس ان رجلا ساله فاعطاه
غنما بين جبلين فرجع الى بلده وقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة واعطى غير
واحد مائة من الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم
قبل ان يبعث وقد قال له ورقة انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن
سباياها وكانوا ستة آلاف واعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل اليه تسعون
الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فساله
فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله
ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من الانصار يا رسول الله
انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه
وقال بهذا امرت ذكره الترمذي وذكر عن معوذ بن عفراء قال اتيت النبي صلى الله
عليه وسلم بقناع من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطاني ملء كفه
حليا وذهبا قال انس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا
لغد والخبر بجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم كثير وعن ابي هريرة اتى رجل النبي
صلى الله عليه وسلم فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف وسق
فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه نائل
فصل واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها

للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف وكان صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والأبطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه حدثنا أبو علي الجياني فيما كتب لي قال حدثنا القاضي سراج حدثنا أبو محمد الأصيلي حدثنا أبو زيد الفقيه حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسمعيل حدثنا ابن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي إسحق سمع البراء وسأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء وأبو سفيان آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أنا النبي لا كذب وزاد غيره أنا ابن عبد المطلب قيل فما رئي يومئذ أحد كان أشد منه وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته وذكر مسلم عن العباس قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب ولا يغضب إلا لله لم يقم لغضبه شيء وقال ابن عمر ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه إنا كنا إذا حمي البأس ويروى اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم إذا دنا العدو لقربه منه وعن أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم إلى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال عمران بن حصين ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب ولما رآه أبي بن خلف يوم أحد وهو يقول أين محمد لا نجوت إن نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي فرس أعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنا أقتلك إن شاء الله فلما رآه يوم أحد شد أبي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا أي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث ابن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه

مرارا وقيل بل كسر ضلعا من أضلاعه فرجع إلى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا بأس بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم أليس قد قال أنا أقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم إلى مكة

فصل وأما الحياء والإغضاء فالحياء رقة تعتري وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع كراهته أو ما يكون تركه خيرا من فعله والإغضاء التغافل عما يكره الإنسان بطبيعته وكان النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات إغضاء قال الله سبحانه وتعالى إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم الآية حدثنا أبو محمد بن عتاب رحمه الله بقراءتي عليه حدثنا أبو القسم حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن القابسي حدثنا أبو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسمعيل حدثنا عبدان حدثنا عبد الله حدثنا شعبة عن قتادة سمعت عبد الله مولى أنس عن أبي سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحدا بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروى أنس أنه دخل عليه رجل به أثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه أحدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها قالت عائشة في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن التورية من رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص وروي عنه أنه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد وأنه كان يكني عما اضطره الكلام إليه مما يكره وعن عائشة ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط

فصل وأما حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم مع أصناف الخلق فبحيث انتشرت به الأخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه في وصفه عليه السلام كان أوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة حدثنا أبو الحسن علي بن مشرف الأنماطي فيما أجازنيه وقرأته على غيره قال حدثنا أبو إسحق الحبال حدثنا أبو محمد بن النحاس حدثنا ابن الأعرابي حدثنا أبو داود حدثنا هشام أبو مروان ومحمد بن المثنى حدثنا الوليد ابن مسلم حدثنا الأوزاعي سمعت يحيى بن أبي كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في آخرها فلما أراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطأ عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فأبيت فقال إما أن

تركب وإما أن تنصرف فانصرفت وفي رواية أخرى اركب أمامي فصاحب الدابة أولى بمقدمها
وكان صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس
ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره ولا خلقه يتفقد أصحابه ويعطي كل جلسائه
نصيبه لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون
هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه
وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء بهذا وصفه ابن أبي هالة قال وكان دائم البشر
سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح
ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال ادفع بالتي هي أحسن الآية وكان يجيب من
دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافئ عليها قال أنس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشر سنين فما قال لي أف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وعن
عائشة رضي الله عنها ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه أحد من أصحابه
ولا أهل بيته إلا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم
منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم و
يجلسهم في حجره ويجيب دعوة العبد والحر والأمة والمسكين ويعود المرضى في أقصى المدينة
ويقبل عذر المعتذر قال أنس رضي الله عنه ما التقم أحد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فينحي رأسه وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر ولم ير مقدما ركبتيه بين
يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة لم ير قط مادا رجليه بين
أصحابه حتى يضيق بهما على أحد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة
التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبى ويكني أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم
تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي أو قيام ويروى بانتهاء
أو قيام وروي أنه كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وسأله
عن حاجته فإذا فرغ عاد إلى صلاته وكان أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا ما لم
ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب قال عبد الله بن الحارث ما رأيت أحدا أكثر تبسما
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس كان خدم المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا صلى الغداة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بآنية إلا غمس يده فيها وربما
كان ذلك في الغداة الباردة يريدون به التبرك فصل

فصل وأما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق قال الله تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم
حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم وقال وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
قال بعضهم من فضله عليه السلام أن الله أعطاه اسمين من أسمائه فقال بالمؤمنين
رؤوف رحيم وحكى نحوه الإمام أبو بكر بن فورك حدثنا الفقيه أبو محمد عبد الله
ابن محمد الخشني بقراءتي عليه حدثنا إمام الحرمين أبو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي
حدثنا أبو أحمد الجلودي حدثنا إبراهيم بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا أبو الطاهر حدثنا
ابن وهب حدثنا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر
حنينا فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن أمية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة
قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب أن صفوان قال والله لقد أعطاني ما أعطاني وإنه
لأبغض الخلق إلي فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إلي وروي أن أعرابيا جاءه يطلب
منه شيئا فأعطاه ثم قال أحسنت إليك قال الأعرابي لا ولا أجملت فغضب المسلمون وقاموا
إليه فأشار إليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل إليه وزاده شيئا ثم قال أحسنت
إليك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إنك قلت
ما قلت وفي نفس أصحابي من ذلك شيء فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي
حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد أو العشي جاء فقال صلى الله عليه وسلم
إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي أكذلك قال نعم فجزاك الله
من أهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت
عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق
بها منكم وأعلم فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت
وشد عليها رحلها واستوى عليها وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل
النار وروي عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإني
أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر ومن شفقته على أمته عليه السلام
تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم كقوله لولا أن أشق على
أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء وخبر صلاة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته
دخول الكعبة لئلا يعنت أمته ورغبته لربه أن يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وأنه كان
يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته ومن شفقته صلى الله عليه وسلم أن دعا ربه وعاهده
فقال أيما رجل سببته أو لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة

وَصِلَةُ الرَّحِمِ كناية عن الاحسان الى الاقربين ذوي النسب يقال وصل رحمه وصلا وصلة والهاء فيها عوض من الواو المحذوفة فكأن الاحسان وصل ما بينهم من علاقة القرابة قال القرطبي الرحم التي توصل عامة وخاصة فالعامة رحم الدين وتجب مواصلتها بالتودد والتناصح والعدل والانصاف والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة واما الرحم الخاصة فالنفقة على القريب وتفقد احوالهم وقال ابن ابي جمرة صلة الرحم تكون بالمال وبالعون على الحاجة ودفع الضرر وبطلاقة الوجه وحاصلها ايصال ما امكن من الخير ودفع ما امكن من الشر بحسب الطاقة وهذا اذا كان ذوا الرحم ذا الاستقامة والا فقطعهم صلتهم بشرط بذل الجهد في وعظهم ثم اعلامهم اذا اصروا ان ذلك يوجب مقاطعتهم كذا

تقربه بها اليك يوم القيمة ولما كذبه قومه اتاه جبرئيل عليه السلام فقال له ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال ليأتمر بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مُرني بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر ان جبرئيل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله امر السماء والارض والجبال ان تطيعك فقال اؤخر عن امتي لعل الله ان يتوب عليهم قالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا وعن عائشة رضي الله عنها انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق

فصل واما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فحدثنا القاضي ابو عامر محمد بن اسمعيل بقراتي عليه قال حدثنا ابو بكر محمد بن محمد حدثنا ابو اسحق الحبال حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا ابن الاعرابي حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن يحيى حدثنا محمد بن سنان حدثنا ابرهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمساء بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان اتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا هاهنا منذ ثلاث انتظرك وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح الشاة فيهديها الى خلائلها واستأذنت عليه اختها فارتاح اليها ودخلت عليه امرأة فهش لها واحسن السؤال عنها فلما خرجت قال انها كانت تأتينا ايام خديجة وان حسن العهد من الايمان ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان آل ابي فلان ليسوا لي باولياء غير ان لهم رحما سابلها ببلالها وقد صلى صلى الله عليه وسلم بامامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا قام حملها وعن ابي قتادة وفد وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافيهم ولما جيء باخته من الرضاعة الشيماء في سبايا

هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال لها ان احببت اقمت عندي مكرمة محببة او متعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها وقال ابو الطفيل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا غلام اذ اقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته وعن عمر بن السائب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه وكان يبعث الى ثويبة مولاة ابي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سأل من بقي من قرابتها فقيل لا احد وفي حديث خديجة رضي الله عنها انها قالت له صلى الله عليه وسلم ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق

فصل واما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته فكان اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عند ذلك فان الله قد اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد آدم يوم القيمة واول من تنشق الارض عنه واول شافع حدثنا ابو الوليد ابن العواد الفقيه رحمه الله بقراتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسمائة قال حدثنا ابو علي الحافظ حدثنا ابو عمر حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابن داسة حدثنا ابو داود حدثنا ابو بكر ابن ابي شيبة حدثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابي العنبس عن ابي العدبس عن ابي مرزوق عن ابي غالب عن ابي امامة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصى فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضها بعضا وقال انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس وفي حديث عمر عنه لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن انس ان امرأة كان في عقلها شيء جاءته فقالت ان لي اليك حاجة فقال اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة شئت اجلس اليك حتى اقضي حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها قال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد

ولا تخيروني وسبب وروده ان ابا بكر الصديق ويهوديا تخالفا في شيء وقال ابو بكر والذي اصطفى محمدا على العالمين وقال اليهودي والذي اصطفى موسى على العالمين فلطمه ابو بكر واتى اليهودي اليه عليه السلام وحكى ما جرى بينهما فقال عليه السلام لا تفضلوني الخ في حديث طويل

لاجبت الداعي اذ جاءه الرسول لم يخرج من السجن وقال ارجع الى ربك فاسئله ما بال النسوة الآية حتى يظهر براءته عما رمي عليه

وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب قال وحج صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى في حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طاطا على رحله راسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني على يونس ابن متى ولا تفضلوا بين الانبياء ولا تخيروني على موسى ونحن احق بالشك من ابرهيم ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي وقال للذي قال له يا خير البرية ذاك ابرهيم وسياتي الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله تعالى وعن عايشة والحسن وابي سعيد وغيرهم في صفته وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه وياكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق وعن انس ان كانت الامة من اماء اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى تقضي حاجتها ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد وعن ابي هريرة دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوزان زن وارجح وذكر القصة قال فوثب الى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله فصل واما عدله صلى الله عليه وسلم وامانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم امن الناس واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل النبوة الامين قال ابن اسحق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلفت قريش وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل النبوة فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم اني لامين في السماء امين في الارض حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه حدثنا ابو الفضل بن خيرون حدثنا

حدثنا ابو يعلى بن زوج الحرة حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا ابو كريب حدثنا معاوية بن هشام عن سفين عن ابي اسحق عن ناجية بن كعب عن علي ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الآية وروى غيره لا نكذبك وما انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس ابن شريق لقي ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق ام كاذب فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسال هرقل عنه ابا سفيان فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقال النضر ابن الحرث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم امانة حتى اذا رايتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر وفي الحديث عنه ما لمست يده يد امراة قط لا يملك رقها وفي حديث علي في وصفه عليه الصلاة والسلام اصدق الناس لهجة وقال في الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل قالت عايشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه قال ابو العباس المبرد قسم كسرى اياه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوايج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزا نهاره ثلثة اجزاء جزءا لله وجزءا لاهله وجزءا لنفسه ثم جزا جزءه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع امنه الله يوم الفزع الاكبر وعن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احدا بقرف احد ولا يصدق احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبري عن علي عنه صلى الله عليه وسلم ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل بمكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت ولم اقض شيئا ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهم بعد ذلك بسوء فصل واما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروته وحسن هديه فحدثنا ابو علي الجياني الحافظ اجازة وعارضت بكتابه قال حدثنا

ابو العباس الدلائي حدثنا ابو ذر الهروي حدثنا ابو عبد الله الوراق حدثنا اللؤلؤي حدثنا ابو
داود حدثنا عبد الرحمن بن سلام حدثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن عمر بن
عبد العزيز بن وهيب سمعت خارجة بن زيد يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم اوقر الناس
في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه وروى ابو سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه
اذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا وعن
جابر بن عبد الله كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل او ترسيل قال ابن ابي هالة كان
سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر قالت عائشة كان صلى الله عليه وسلم
يحدث حديثا لو عده العاد احصاه وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة
ويستعملهما كثيرا ويحض عليهما حبب الي من دنياكم الطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة
ومن مروءته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والامر بالاكل مما
يلي والامر بالسواك وانقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة

فصل واما زهده في الدنيا فقد تقدم من الاخبار اثناء هذه السيرة ما يكفي
وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها و
ترادفت عليه فتوحها ان توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي
في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا حدثنا سفين
ابن العاص والحسين بن محمد الحافظ والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا حدثنا
احمد بن عمر قال حدثنا ابو العباس الرازي قال حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفين
حدثنا ابو الحسين مسلم بن الحجاج حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا ابو معوية عن
الاعمش عن ابرهيم عن الاسود عن عائشة ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلثة ايام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وفي رواية اخرى من خبز شعير يومين
متواليين ولو شاء لاعطاه الله ما لا يخطر ببال وفي رواية اخرى ما شبع آل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله عز وجل وقالت عائشة رضي الله عنها ما ترك
رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث عمرو بن الحارث
ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة قالت عائشة ولقد مات وما في بيتي شيء
يأكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي وقال اني عرض علي ان تجعل لي بطحاء مكة ذهبا
فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك
واما اليوم الذي اشبع فاحمدك واثني عليك وفي حديث آخر ان جبريل نزل عليه فقال له

ان الله

ان الله يقرئك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكون
معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال
من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت
وعن عائشة قالت ان كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء
وعن عبد الرحمن بن عوف هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من
خبز الشعير وعن عائشة وابي امامة وابن عباس نحوه قال ابن عباس كان صلى الله عليه
وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء وعن انس قال ما اكل
رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة
سميطا قط وعن عائشة رض انما كان فراشه الذي ينام عليه ادما حشوه ليف وعن حفصة
كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي مسحا نثنيه ثنيين فينام عليه فثنيناه
له ليلة باربع فلما اصبح قال ما فرشتموني الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فانه
وطأته منعتني الليلة صلاتي وكان ينام احيانا على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في
جنبه وعن عائشة قالت لم تمتلئ جوف رسول الله صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث
شكوى الى احد وكانت الفاقة احب اليه من الغنى وان كان ليظل جائعا
يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الارض
وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي على بطنه مما
به من الجوع واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول
يا عائشة ما لي وللدنيا اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا
فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت
في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو احب الي من اللحوق باخواني واخلائي
قالت فما اقام بعد الا شهرا حتى توفي صلى الله عليه وسلم فصل واما خوفه ربه وطاعته له
وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثنا ابو محمد بن عتاب رحمه الله قراءة
عليه قال حدثنا ابو القسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي
حدثنا ابو عبد الله الفربري حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا يحيى بن بكير عن الليث عن
عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة كان يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد في
روايتنا عن ابي عيسى الترمذي رفعه اني ارى ما لا ترون واسمع

ديمة: في النهاية الديمة المطر الدائم في سكون شبهت عمله في دوامه مع الاقتصاد بديمة المطر واصله ودومه ب

ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك
واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم
بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله لوددت اني شجرة
تعضد روى هذا الكلام وددت اني شجرة تعضد من قول ابي ذر نفسه
وهو اصح وفي حديث المغيرة صلى صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية
كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له أتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك
وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ونحوه عن ابي سلمة وابي هريرة وقالت
عائشة رض كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وأيكم يطيق ما كان يطيق
وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس
وام سلمة وانس وقال كنت لا تشاء ان تراه من الليل الا مصليا ولا نائما الا رايته
نائما وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك
ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت معه فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة الا وقف فسأل
ولا يمر بآية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي
الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة
يفعل مثل ذلك وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين
نحوا منه وقال حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وعن عائشة قام
رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة وعن عبد الله بن الشخير أتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل قال ابن ابي
هالة كان صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة
وقال عليه السلام اني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة
وعن علي رض قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة
رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي وذكر الله
أنيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضى
غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي
والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وفي حديث آخر
وثمرة فؤادي في ذكره وغمي لأجل امتي وشوقي الى ربي فصل
اعلم وفقنا الله واياك ان صفات جميع الانبياء والرسل صلوات الله

عليهم اجمعين

عليهم اجمعين من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع
المحاسن هي هذه الصفة لانها صفات الكمال والكمال والتمام البشري والفضل
الجميع لهم صلوات الله عليهم اذ رتبتهم أشرف الرتب ودرجاتهم أرفع الدرجات
ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض وقال ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقد قال عليه السلام ان اول
زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال آخر الحديث على خلق رجل
واحد على صورة ابيهم آدم طوله ستون ذراعا في السماء وفي حديث ابي هريرة رأيت
موسى فاذا رجل ضرب رجل فتى كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى فاذا هو
رجل ربعة كثير خيلان الوجه احمر كأنما خرج من ديماس وفي حديث آخر مبطن
مثل السيف قال وانا أشبه ولد ابراهيم به وقال في حديث آخر في صفة موسى
كأحسن ما انت راء من أدم الرجال وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه صلى الله
عليه وسلم ما بعث الله تعالى من بعد لوط نبيا الا في ذروة من قومه ويروى في ثروة
اي كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن
انس ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها
واحسنهم صوتا وفي حديث هرقل وسألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب
وكذلك الرسل تبعث في أنساب قومها وقال الله تعالى في أيوب انا وجدناه
صابرا نعم العبد انه اواب وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله
ويوم يبعث حيا وقال ان الله يبشرك بيحيى الى قوله من الصالحين وقال ان الله
اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران الآيتين وقال في نوح انه كان عبدا شكورا
وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى ومن الصالحين وقال اني عبد الله آتاني
الكتاب الى ما دمت حيا وقال يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية
قال النبي صلى الله عليه وسلم كان موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من جسده شيء
استحياء الحديث وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكما الآية وقال في وصف
جماعة منهم اني لكم رسول أمين وقال ان خير من استأجرت القوي
الامين وقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وقال ووهبنا
له اسحق ويعقوب كلا هدينا الى قوله فبهداهم اقتده فوصفهم بأوصاف
جمة من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم والنبوة وقال فبشرناه

بعلام عليم وحليم. وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم الى امين
وقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين. وقال في اسمعيل انه كان صادق الوعد.
وفي موسى انه كان مخلصا. وفي سليمان نعم العبد انه اواب. وقال واذكر
عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار الى قوله الاخيار.
وفي داود انه اواب. ثم قال وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل
الخطاب. وقال عن يوسف اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم
وفي موسى ستجدني ان شاء الله صابرا. وقال وما اريد ان اخالفكم الى
ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت. وقال ولوطا
اتيناه حكما وعلما. وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات الاية قال سفين
هو الحزن الدائم في آي كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم
الدالة على كمالهم وجاء من ذلك في الاحاديث كثير كقوله عليه السلام انما
الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم نبي بن
نبي ابن نبي ابن نبي. وفي حديث انس وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم
وروي ان سليمن كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا
لله وكان يطعم الناس لذائذ الاطعمة ويأكل خبز الشعير واوحى الله اليه يا راس
العابدين وابن محجة الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده فيأمر
الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي. وقيل ليوسف ما لك تجوع وانت على خزائن
الارض قال اخاف ان اشبع فانسى الجائع وروى ابو هريرة عنه عليه السلام خفف
على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن قبل ان تسرج ولا يأكل
الا من عمل يده. قال الله تعالى والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد
وكان سأل ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله. وقال عليه السلام
احب الصلوة الى الله صلوة داود واحب الصيام الى الله صيام داود وكان ينام
نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس
الصوف ويفترش الشعر ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع
ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره الى السماء حياء من ربه ولم يزل
باكيا حياته كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت
الدموع في خده اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء

لعل ينام اربعة اسداس الليل النصف الاول وهو ثلثة اسداس والسدس الاخير ويقوم الرابع والخامس

عليه فيزداد تواضعا وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا قال انا اكرم على الله
من ان يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم يكن له بيت اينما ادركه
النوم نام وكان احب الاسامي اليه ان يقال له مسكين وقيل ان موسى عليه السلام لما
ورد ماء مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال عليه السلام لقد كان
الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم
وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعود
لساني النطق بسوء. وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله
حتى اتخذ الدمع مجرى في خده وكان يأكل مع الوحش لئلا يخالط الناس وحكى الطبري
عن وهب ان موسى كان يستظل بعريش ويأكل في نقرة من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان
يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله بما اكرمه به من كلامه واخبارهم في هذا كله
مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصور والشمائل معروفة
مشهورة فلا نطول بها ولا نلتفت الى ما يجده في كتب بعض جهلة المورخين او المفسرين مما
يخالف هذا. فصل قد اتيناك اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل
المجيدة وخصال الكمال العديدة واريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا من
الاثار ما فيه مقنع والامر اوسع فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم
ممتد تنقطع دون نفاده الادلاء وبحر علم خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا
اتينا فيه بالمعروف مما اكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا في
ذلك بقليل من كثير وغيض من فيض ورأينا ان نختم هذه الفصول بذكر حديث
الحسن عن ابن ابي هالة لجمعه من شمائله واوصافه كثيرا وادماجه جملة
كافية من سيره وفضائله ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا
القاضي ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة
قال حدثنا الامام ابو القسم عبد الله بن طاهر التميمي قرأت عليه اخبركم الفقيه
الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه
ابو عبد الله محمد بن الحسن الحمري والقاضي ابو علي الحسين بن علي بن جعفر
الوخشي قالوا حدثنا ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي قال حدثنا
ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي قال حدثنا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة
الحافظ قال حدثنا سفين بن وكيع حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي

إملاءً من كتابه قال حدثني رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة أم المؤمنين رضي الله
عنها يكنى أبا عبد الله عن ابنٍ لأبي هالة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رحمه الله قال سألت خالي هند بن
أبي هالة قال القاضي أبو علي رحمه الله وقرأت على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد
ابن خداداذ الكرجي الباقلاني قال وأجاز لنا الشيخ الأجل أبو الفضل أحمد بن الحسن
ابن خيرون قالا حدثنا أبو علي الحسن بن أحمد بن إبرهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان
ابن حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه فأقر به قال حدثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى
ابن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بابن
أخي طاهر العلوي قال حدثنا إسمعيل بن محمد بن إسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين
ابن علي بن أبي طالب ~~المعروف بابن أخي طاهر العلوي~~ قال حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي
ابن الحسين عن أخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن علي بن الحسين
قال قال الحسن بن علي واللفظ لهذا السند سألت خالي هند بن أبي هالة عن
حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وصافاً وأنا أرجو أن يصف لي
شيئاً أتعلق به قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخماً مفخماً يتلألأ وجهه
تلألؤ القمر ليلة البدر أطول من المربوع وأقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر
إن انفرقت عقيقته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره أزهر اللون
واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أقنى العرنين
له نور يعلوه ويحسبه من لم يتأمله أشم كث اللحية أدعج سهل الخدين ضليع
الفم أشنب مفلج الأسنان دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة
معتدل الخلق بادناً متماسكاً سواء البطن والظهر والصدر مشيح الصدر بعيد
ما بين المنكبين ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط
عاري الثديين ما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر طويل الزندين
رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الأطراف سبط العصب خمصان الأخمصين
مسيح القدمين ينبو عنهما الماء إذا زال زال تقلعاً ويخطو تكفؤاً ويمشي هوناً ذريع
المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب وإذا التفت التفت جميعاً خافض الطرف
نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه
ويبدأ من لقيه بالسلام قلت صف لي منطقه قال كان رسول الله صلى الله عليه
متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت

يفتتح الكلام

يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلاً لا فضول فيه ولا تقصير
دمثاً ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وإن دقت لا يذم شيئاً لم يكن يذم ذواقاً
ولا يمدحه ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه
ولا ينتصر لها إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث اتصل
بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى وإذا غضب أعرض وأشاح وإذا فرح
غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها الحسين بن علي
زماناً ثم حدثته فوجدته قد سبقني إليه فسأل أباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئاً قال الحسين سألت أبي عليه السلام عن دخول رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال دخوله لنفسه مأذوناً له في ذلك فكان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله
ثلاثة أجزاء جزءاً لله تعالى وجزءاً لأهله وجزءاً لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فيرد ذلك
على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئاً فكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل
بإذنه وقسمته على قدر فضلهم في الدين منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج
فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة من مسألته عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم
ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته
فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة
لا يذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره قال في حديث سفين بن وكيع يدخلون
رواداً ولا يتفرقون إلا عن ذواق ويخرجون أدلة يعني فقهاء قلت فأخبرني عن
مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه
إلا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس
ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره وخلقه ويتفقد أصحابه ويسأل
عن ما في الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الأمر
غير مختلف لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق
ولا يجاوزه إلى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة و
أعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة وموازرة فسألته عن مجلسه عن ما كان يصنع
فيه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر
ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها وإذا انتهى إلى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس
ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه

منه من جالسه او قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده الا
بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده
في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية الاخرى وصاروا عنده
في الحق سوا مجلسه مجلس حلم وحيا وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه
الحرم ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون فيه بالتقوى
متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون
الغريب فسألته عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه فقال كان رسول الله
عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب
ولا عياب ولا فحاش ولا مداح يتغافل عما لا يشتهى ولا يؤيس منه قد ترك
نفسه من ثلاث الريا والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث
كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو
ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون
عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك
مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق
ويقول اذا رايتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثنا الا من مكافئ
ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوزه فيقطعه بانتهاء او قيام هنا انتهى حديث
سفين بن وكيع وزاد الاخر قلت كيف كان سكوته صلى الله عليه وسلم قال كان
سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره ففي تسوية
النظر والاستماع بين الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله
عليه وسلم في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه وجمع له في الحذر اربع اخذه
بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاد الراي بما اصلح امته و
القيام لهم بما جمع لهم امر الدنيا والاخرة انتهى الوصف بحمد الله وعونه فصل
في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشذب اى البائن الطول في نحافة
وهو مثل قوله في الحديث الاخر ليس بالطويل الممغط • والشعر الرجل الذي كانه
مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الراس اراد
ان انفرقت من ذات نفسها فرقها والا تركها معقوصة ويروى عقيصته
وازهر اللون نيره وقيل ازهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا اى زينتها

العقيقة ... الشعر الذي يولد به الولد ... عن المولود اذا حلق عقيقته ...

وهذا كما

وهذا كما قال في الحديث الاخر ليس بالابيض الامهق ولا بالادم والامهق
الناصع البياض والادم الاسمر اللون ومثله في الحديث الاخر ابيض مشرب اى فيه
حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع
وسطه والاشم الطويل قصبة الانف والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده
البلج ووقع في حديث ام معبد وصفه بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة وفي
الحديث الاخر اشكل العين واسجر العين وهو الذي في بياضها حمرة والضليع الواسع
والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيزها كما يوجد في اسنان الشباب
والفلج فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة
بادن ذو لحم ومتماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله في الحديث الاخر
لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اى ليس بمسترخي اللحم والمكلثم القصير الذقن وسوا البطن
والصدر اى مستويهما ومشيح الصدر ان صحت هذه اللفظة فتكون من الاقبال
وهو احد معاني اشاح اى انه كان بادي الصدر ولم يكن في صدره قعس وهو تطامن
فيه وبه يتضح قوله قبل سوا البطن والصدر ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض
كما وقع في الرواية الاخرى وحكاه ابن دريد والكراديس رؤس العظام وهو
مثل قوله في الحديث الاخر جليل المشاش والكتد والمشاش رؤس المناكب
والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما
الذراعين وسائل الاطراف اى طويل الاصابع وذكر ابن الانباري انه روى
سائل الاطراف او قال سائن بالنون قال وهما بمعنى تبدل اللام من النون
ان صحت الرواية بها واما على الرواية الاخرى وسائر الاطراف فاشارة الى
فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة اى واسعها
وقيل كنى به عن سعة العطاء والجود خمصان الاخمصين اى متجافي اخمص
القدم وهو الموضع الذي لا تناله الارض من وسط القدم ومسيح القدمين
اى املسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء • وفي حديث ابي هريرة خلاف هذا
قال فيه اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق معنى
قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمي المسيح عيسى بن مريم اي لم يكن له اخمص وقيل
مسيح لا لحم عليهما وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين ومسيح القدمين
اى املسهما والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشي

وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو اي ان مشيه كان يرفع فيه
رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت
دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب • وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اي لسعة
فمه والعرب تمادح بهذا وتذم بصغر الفم واشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد •
وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة اي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه فتوصل
عنه للعامة • وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء آخر بالعامة ويدخلون روادا اي
محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا ينصرفون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه
ان يكون على ظاهره اي في الغالب والاكثر والعتاد العدة والشيء الحاضر المعد
والموازرة المعاونة • وقوله لا يوطن الاماكن اي لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما
وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا في غير هذا الحديث وصابره اي حبس نفسه على ما يريد
صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم اي لا يؤبن بسوء ولا تنثى فلتاته اي تتحدث بها
اي لم تكن فيه فلتة وان كانت من احد سترت ويرفدون يعينون والسخاب
الكثير الصياح • وقوله لا يقبل الثناء الا من مكافئ قيل مقتصد في ثنائه ومدحه
وقيل الا من مسلم وقيل الا من مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم له
ويستفزه يستخفه • وفي حديث آخر في وصفه منهوس العقب اي قليل لحمها اهدب
الاشفار اي طويل شعرها • الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها
بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته صلى الله
عليه وسلم لا خلاف انه اكرم البشر وسيد ولد آدم وافضل الناس
منزلة عند الله واعلاهم درجة واقربهم زلفى واعلم ان الاحاديث
الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها
وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا • الفصل الاول
فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل
وسيادة ولد آدم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه
الطيب • اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد العدل اذنا بلفظه
قال حدثنا ابو الحسين الفرغاني حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر بن
يعقوب عن ابيها حاتم وهو بن عقيل عن يحيى وهو ابن اسمعيل عن يحيى
الحماني حدثنا قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس قال

قال رسول الله

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك
قوله اصحاب اليمين ما اصحاب اليمين واصحاب الشمال فانا من اليمين وانا خير اصحاب
اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله اصحاب الميمنة ما
اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة والسابقون السابقون
فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها
قبيلة وذلك قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل الآية فانا اتقى ولد آدم واكرمهم
على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا وذلك قوله انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآية وعن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قالوا يا رسول الله
متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد وعن واثلة بن الاسقع قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل
بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني
هاشم ومن حديث انس انا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي حديث ابن عباس انا اكرم
الاولين والآخرين ولا فخر وعن عائشة عنه عليه السلام اتاني جبريل فقال قلبت مشارق
الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد ولم ار بني اب افضل من بني هاشم وعن انس
ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد
تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه قال فارفض عرقا • وعن ابن عباس عنه
عليه السلام لما خلق الله آدم اهبطني في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح في
السفينة وقذف بي في النار في صلب ابرهيم ثم لم يزل ينقلني في الاصلاب الكريمة
الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط والى هذا اشار
العباس ابن عبد المطلب عمه رضي الله عنه بقوله • من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع
حيث يخصف الورق • ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق •
بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق • تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق
وروى عنه صلى الله عليه وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر
ابن عبد الله رضي الله عنهم انه قال اعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي
قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر • وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا • وايما رجل
من امتي ادركته الصلوة فليصل • واحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي
وبعثت الى الناس كافة • واعطيت الشفاعة • وفي رواية بدل هذه الكلمة

وقيل لي سل تعطه وفي رواية اخرى وعرض علي امتي فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي
رواية بعثت الى الاحمر والاسود قيل السود العرب لان الغالب على الوانهم الادمة فهم
من السود والحمر العجم وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس والسود
الجن وفي الحديث الاخر عن ابي هريرة نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم
وبينا انا نائم اذ جيء بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي وفي رواية عنه وختم
بي النبيون وعن عقبة بن عامر انه قال عليه السلام اني فرط لكم وانا شهيد عليكم واني
والله لانظر الى حوضي الان واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض واني والله ما
اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا فيها وعن عبد الله
ابن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي اوتيت
جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر بعثت
بين يدي الساعة ومن رواية ابن انس عليه السلام قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت
ما اسال يا رب اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا
واعطيت سليمن ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فقال الله تعالى ما اعطيتك خير
من ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء
وجعلت الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر
وانت تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب
امتك مصاحفها وخبأت لك شفاعتك ولم اخبأها لنبي غيرك وفي حديث اخر
رواه حذيفة بشرني ربه يعني اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون الفا ليس عليهم
حساب واعطاني ان لا تجوع امتي ولا تغلب واعطاني النصر والعزة والرعب
يسعى بين يدي امتي شهرا وطيب لي ولامتي الغنائم واحل لنا كثيرا مما شدد
على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج وعن ابي هريرة عنه عليه
السلام ما من نبي من الانبياء الا وقد اعطي من الايات ما مثله آمن
عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحى الله الي فارجو ان اكون
اكثرهم تابعا يوم القيمة معنى هذا الحديث عند المحققين بقاء معجزته
ما بقيت الدنيا وسائر معجزات الانبياء ذهبت للحين ولم يشاهدها
الا الحاضر لها ومعجزات القران يقف عليها قرن بعد قرن عيانا
لا خبرا الى يوم القيمة وفيه كلام يطول هذا نخبته فيه وقد بسطنا

القول فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا اخر باب المعجزات وعن علي رض اعطي كل نبي سبعة
نجباء من امته واعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين
وانها لا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني عبد الله وخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته
وعدة ابي ابرهيم وبشارة عيسى بن مريم وعن ابن عباس قال ان الله فضل محمدا صلى الله عليه
وسلم على اهل السماء وعلى الانبياء صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على اهل السماء
قال ان الله قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه الاية وقال لمحمد انا فتحنا لك
فتحا مبينا الاية قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله قال وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه وقال لمحمد وما ارسلناك الا كافة للناس وعن خالد بن معدان ان
نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك
وقد روي نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك فقال نعم انا دعوة ابي
ابرهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرني عيسى ورأت امي حين حملت بي
انه خرج منها نور اضاء له قصور بصرى من ارض الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر
فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث
اخر ثلثة رجال بطست من ذهب مملوة ثلجا فاخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث
من نحري الى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء
فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقياه قال في حديث اخر
ثم تناول احدهما شيئا فاذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ ايمانا
وحكمة ثم اعاده مكانه وامر الاخر يده على مفرق صدري فالتأم وفي رواية ان جبريل
قال قلب وكيع اي شديد فيه عينان تبصران واذنان تسمعان ثم قال احدهما
لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته
فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال
دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها قال في الحديث الاخر ثم ضموني الى
صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري
ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث من قولهم
ما اكرمك على الله ان الله معك وملائكته قال في حديث

الى ذرّ فما هو الا ان ولّيا عنّي فكأنما ارى الامر معاينة وحكى ابو محمد مكّي وابو الليث السمرقندي وغيرهما ان آدم عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال له الله من اين عرفت محمدا قال رأيت في كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب عليه وغفر له وهذا عند قائله تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وفي رواية اخرى فقال آدم لما خلقتني رفعت رأسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان آدم يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر وروي عن سريج بن يونس انه قال ان لله ملائكة سياحين عبادتها كل دار فيها احمد او محمد اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي عن ابي الحمراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي الى السماء اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي وفي التفسير عن ابن عباس في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس على باب الجنة مكتوب اني انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب من قالها وذكر انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقي مصلح وسيد امين وذكر السمنطاري انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوبا عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وروى عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيمة نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه عليه السلام وروى ابن القسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نمى ورزقوا وعنه عليه السلام ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وعن عبد الله بن مسعود ان الله نظر الى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد عليه السلام فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الآية قام خطيبا

فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث • فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة والرؤية وامامة الانبياء والعروج به الى سدرة المنتهى وما رأى من آيات ربه الكبرى ومن خصائصه عليه السلام قصة الاسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار قال الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الآية وقال والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسراء به عليه السلام اذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص نبينا عليه السلام فيه احاديث كثيرة منتشرة رأينا ان نقدم اكملها ونشير الى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو بحر سماعا عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا حدثنا ابو العباس العذري حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفين حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بآدم صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير • ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت فقال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما وسلم فرحبا بي ودعوا لي بخير • ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله عليه وسلم واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير • ثم عرج بنا الى الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير • قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا • ثم عرج بنا الى الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهرون فرحب بي ودعا لي بخير • ثم عرج بنا الى السماء

السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله
فاذا انا بابرهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك
لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى فاذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها
كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها
من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلوة في كل يوم وليلة فنزلت الى
موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلوة قال ارجع الى ربك فسئله التخفيف فان
امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي
فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا
قال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسئله التخفيف قال فلم ازل ارجع
بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلوة عشر
فتلك خمسون صلوة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا
ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى
انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فسئله التخفيف فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه قال
القاضي رضي الله عنه جود ثابت رحمه الله هذا الحديث عن انس ما شاء ولم يأت احد عنه باصوب
من هذا وقد خلط فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا لا سيما من رواية شريك بن ابي نمر فقد
ذكر في اوله مجيء الملك وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا انما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال
شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسرا ولا خلاف انها كانت بعد الوحي
وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا وقد روى ثابت عن انس
من رواية حماد بن سلمة ايضا مجيء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند
ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة من حديث الاسرى كما رواه الناس فجود في القصتين
وفي ان الاسرا الى البيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه وصل الى البيت
المقدس ثم عرج من هناك فازاح كل اشكال واوهمه غيره وقد روى يونس عن ابن شهاب
عن انس قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي فنزل
جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا
فافرغها في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السماء فذكر القصة وروى
قتادة الحديث بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم وتأخير وزيادة

ونقص وخلاف في ترتيب الانبياء في السموات وحديث ثابت عن انس اتقن و
اجود وقد وقعت في حديث الاسرا زيادات نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا منها
في حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح
الا آدم وابرهيم فقالا له والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت
بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس ثم انطلق بي حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها
الوان لا ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزت
يعني موسى بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته
الجنة اكثر مما يدخل من امتي وفي حديث ابي هريرة وقد رأيتني في جماعة من الانبياء فحانت
الصلوة فاممتهم فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام
وفي حديث ابي هريرة ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة وصلى مع الملائكة
فلما قضيت الصلوة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا
وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح
الانبياء فاثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابرهيم وموسى وعيسى وداود وسليمن
ثم ذكر كلام النبي عليهم وعليه الصلوة والسلام فقال وان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه فقال
كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس
بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل امتي خير امة وجعل امتي امة
وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم الاخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري
ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابرهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به الى
سماء الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود وانتهى بي الى سدرة
المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها
واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال الله اذ يغشى السدرة ما يغشى
قال فراش من ذهب وفي رواية ابي هريرة من طريق الربيع بن انس فقيل لي هذه
السدرة المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك خلا على سبيلك وهي السدرة المنتهى
يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر
لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها
سبعين عاما وان ورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها
الملائكة قال فهو قوله تعالى اذ يغشى السدرة فقال تبارك وتعالى

سبعاً من المثاني فتيل هي الفاتحة لانها تثنى في كل ركعة وقيل هي السبع الطوال من البقرة الى التوبة لانه العبر والاحكام والمواعظ ثنيت فيها فعلى هذين القولين كلمة من للتبيين اى سبعا هي المثاني وقيل المثاني القرآن كله فمن للتبعيض قد

له سل فقال انك اتخذت ابرهيم خليلاً واعطيته ملكاً عظيماً وكلمت موسى تكليماً واعطيت
داود والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمن ملكاً عظيماً
وسخرت له الجن والانس والشياطين والرياح واعطيته ملكاً لا ينبغي لاحد من
بعده وعلمت عيسى التورية والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته
وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تعالى قد اتخذتك
حبيباً فهو مكتوب في التورية محمد حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة
وجعلت امتك هم الاولون وهم الاخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى
يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقاً واخرهم بعثاً
واعطيتك سبعاً من المثاني ولم اعطها نبياً قبلك واعطيتك خواتيم سورة
البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها نبياً قبلك وجعلتك فاتحاً وخاتماً وفي الرواية
الاخرى قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً اعطي الصلوات الخمس واعطي
خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئاً من امته المقحمات وقال ما كذب
الفؤاد ما راى الايتين راى جبريل في صورته له ستمائة جناح وفي حديث شريك انه
راى موسى في السابعة قال بتفضيل كلام الله قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه
الا الله فقال موسى لم اظن ان يرفع علي احد وقد روى عن انس انه صلى الله عليه وسلم
صلى بالانبياء ببيت المقدس وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا قاعد ذات
يوم اذ دخل جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطائر
فقعد في واحدة وقعدت في الاخرى فنمت حتى سدت الخافقين ولو شئت لمسست
السماء وانا اقلب طرفي ونظرت جبريل كانه حلس لاطئ فعلمت فضل علمه بالله
علي وفتح لي باب السماء ورايت النور الاعظم واذا دوني الحجاب وفرجه الدر والياقوت
ثم اوحى الله الي ما شاء ان يوحي الي وذكر البزار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب
يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله
من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى
فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا
قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكاناً وان هذا الملك ما رايته منذ
خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب

صدق عبدي

اقول الحديث الذي نقله القاضي عن البزار ينادي بمشروعية الاذان ليلة الاسراء كما ترى وهو مخالف لما هو المشهور من ان الاذان شرع بعد الهجرة كما بين في كتب الاحاديث والمواعظ وغاية ما يقال في التوفيق بينهما ان الملك الذي عند الحجاب علم الاذان له عليه السلام فلما ضعف الاسلام وقتئذ خاف عليه السلام تعليمه للامة واضمره في نفسه فلما قوي الاسلام بعد الهجرة علم الاذان الذي تعلمه ليلة الاسراء والله اعلم

صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل من وراء الحجاب
صدق عبدي انا لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية الاذان الا انه لم يذكر جواباً
عن قوله حي على الصلاة حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد فقدمه فام اهل
السماء فيهم آدم ونوح قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه اكمل الله لمحمد صلى الله
عليه وسلم الشرف على اهل السموات والارض قال القاضي رضي الله عنه ما في هذا الحديث
من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون والباري جل اسمه منزه
عن ما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصائرهم
وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله عز وجل كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
فقوله في هذا الحديث الحجاب واذ خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب
حجب به من وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته
وعجائب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل عليه السلام عن الملك الذي
خرج من وراءه ان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل على ان هذا الحجاب
لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب في تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملائكة
وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف
المضاف اي يلي عرش الرحمن او امراً ما من عظيم آياته او مبادي حقائق معارفه
مما هو اعلم به كما قال تعالى واسئل القرية اي اهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق
انا اكبر فظاهره انه سمع في هذا الموطن كلام الله تعالى ولكن من وراء الحجاب
كما قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب اي وهو لا يراه
حجب بصره عن رؤيته فان صح القول بان محمداً صلى الله عليه وسلم راى ربه فيحتمل
انه في غير هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى راه والله اعلم
فصل ثم اختلف السلف والعلماء هل كان اسراؤه بروحه او جسده على ثلاث مقالات
فذهبت طائفة الى انه اسراء بالروح وانه رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء حق
حق ووحي والى هذا ذهب معوية وحكي عن الحسن والمشهور عنه خلافه واليه
اشار محمد بن اسحق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس
وما حكوا عن عائشة ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا
انا نائم وقول انس وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في اخرها فاستيقظت
وانا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين الى انه اسراء بالجسد وفي اليقظة

وهذا هو الحق وهذا قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة ومالك بن صعصعة
وابي حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب
وابن زيد والحسن وابرهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول عائشة
وهو قول الطبري واحمد بن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو قول اكثر المتأخرين من الفقهاء
والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة كان الاسرا بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى
السماء بالروح واحتجوا بقوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسرا الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف
النبي صلى الله عليه وسلم به واظهار الكرامة له بالاسرا اليه قالوا ولو كان الاسرا بجسده الى زائد
على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ في المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس
ام لا ففي حديث انس وغيره ما تقدم من صلوته فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله
ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا قال القاضي رضي الله عنه والحق من هذا والصحيح ان شاء الله انه اسرا
بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الاية وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن
الظاهر والحقيقة الى التأويل الا عند الاستحالة وليس في الاسرا بجسده وحال يقظته استحالة
اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما
لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من اسلم
وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره
انما كان عن جسمه وحال يقظته الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلوته بالانبياء ببيت المقدس
في رواية انس او في السماء على ما روى غيره وذكر مجي جبريل له بالبراق وخبر المعراج و
استفتاح السماء فيقال ومن معك فيقول محمد ولقائه الانبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم
به وشأنه في فرض الصلوة ومراجعته مع موسى في ذلك وفي بعض هذه الاخبار فاخذ
يعني جبريل بيدي فعرج بي الى السماء الى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه
صريف الاقلام وانه وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره
قال ابن عباس هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام وعن
الحسن فيه بينا انا نائم في الحجر جاءني جبريل فهمزني بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيئا
فعدت لمضجعي ذكر ذلك ثلثا فقال في الثالثة فاخذ بعضدي فجرني الى باب المسجد
فاذا انا بدابة وذكر خبر البراق وعن ام هانئ ما اسري برسول الله صلى الله عليه
وسلم الا وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشاء الاخرة ونام بيننا فلما كان

قبيل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا قال يا ام هانئ
لقد صليت معكم العشاء الاخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت
فيه ثم صليت الغداة معكم الان كما ترون وهذا بين في انه بجسمه وعن ابي بكر
من رواية شداد بن اوس عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به طلبتك
يا رسول الله البارحة في مكانك فلم اجدك فاجابه ان جبريل حمله الى المسجد الاقصى وعن
عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في مقدم المسجد
ثم دخلت الصخرة فاذا بملك قائم معه آنية ثلث وذكر الحديث وهذه التصريحات
ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن ابي ذر عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي
وانا بمكة فنزل جبريل فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم الى آخر القصة ثم
اخذ بيدي فعرج بي وعن انس اتيت فانطلقوا بي الى زمزم فشرح عن صدري
وعن ابي هريرة لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن
اشياء لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي انظر اليه
ونحوه عن جابر وقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث الاسرا عنه
عليه السلام انه قال ثم رجعت الى خديجة وما تحولت عن جانبها. **فصل**
في ابطال حجج من قال انها نوم احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك
فسماها رؤيا قلنا قوله سبحان الذي اسرى يرده لانه لا يقال في النوم اسرى
وقوله فتنة للناس يؤيد انها رؤيا عين واسراء بشخص اذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب
به احد لان كل احد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في اقطار
متباينة على ان المفسرين قد اختلفوا في هذه الاية فذهب بعضهم الى انها نزلت في
قصة الحديبية وما وقع في نفوس الناس من ذلك وقيل غير هذا واما قولهم
انه قد سماها في الحديث مناما وقوله في حديث آخر بين النائم واليقظان وقوله
ايضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول
الملك اليه كان وهو نائم او اول حمله والاسراء به وهو نائم وليس في الحديث
انه كان نائما في القصة كلها الا ما يدل عليه ثم استيقظت وانا
في المسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت او استيقظ من
نوم آخر بعد وصوله بيته ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما
كان في بعضه وقد يكون قوله استيقظت وانا في المسجد الحرام لما

الحطيم وهو المشهور بالمسجد الحرام بقرب الكعبة روى الازرقي عن ابن جريج قال الحطيم ما بين الركن الاسود والمقام وزمزم والحجر سمي حطيما لان الناس يزدحمون على الدعاء فيه ويحطم بعضهم بعضا والدعاء فيه مستجاب وقال ابن حجر المكي الاشهر ان الحطيم ما بين الحجر الاسود ومقام ابراهيم عليه السلام وهو افضل محل بالمسجد الحرام بعد الكعبة وحجرها وهو يحطم الذنوب اي يمحوها وفي القاموس الحطيم حجر الكعبة او جدارها او ما بين الركن الاسود الى الباب الى المقام حيث يتحطم الناس للدعاء او كانت الجاهلية يتحالفون هناك انتهى

كان غمره من عجايب ما طالع من ملكوت السموات والارض وخامر باطنه من مشاهدة الملاء الاعلى وما راى من ايات ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام • ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسري بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات الى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله ولا يصح هذا ان يكون في وقت صلوته بالانبياء ولعله كانت له في هذا الاسراء حالات • ووجه رابع وهو ان يعبر بالنوم ههنا عن هيئة النائم من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد بن حميد عن همام بينا انا نائم وربما قال مضطجع • وفي رواية هدبة عنه بينا انا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع • وقوله في الرواية الاخرى بين النائم واليقظان فيكون سمي بالنوم لما كان هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث انما هي من رواية شريك عن انس فهي منكرة من روايته اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره عليه السلام وقبل النبوة ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث والاسرى باجماع كان بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس مع ان انسا قد بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث • واما قول عايشة ما فقدت جسده فعايشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ زوجة ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسراء متى كان فان الاسراء كان في اول الاسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عايشة في الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام • وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة بعام والاشبه انه لخمس والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عايشة دل انها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا في حديث ام هانئ وغيره وايضا فليس حديث عايشة بالثابت والاحاديث الاخر اثبت لسنا نعني حديث ام هانئ وما ذكرت فيه خديجة وايضا فقد روي في حديث عايشة ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده لانكارها ان تكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو

استدلت عايشة رضي الله عنها بهذه الآية على نفي رؤيته عليه السلام ربه وهذا انما يصح اذا اريد بالادراك مطلق الرؤية اي لا تراه الابصار والحق ان الادراك هو الاحاطة اي لا تحيط به الابصار واللام للاستغراق فيكون رفعا للايجاب الكلي ورفعه سلب جزئي فلا ينافي وقوعها لبعض الاشخاص ولعلها حملت على الموجبة الكلية المعدولة المحمول اي كل بصر حكم عليه بعدم الابصار

كانت عندها مناما لم تنكره فان قيل فقد قال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فقد جعل ما رآه للقلب وهذا يدل على انها رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد اضاف الامر للبصر وقد قال اهل التفسير في قوله ما كذب الفؤاد ما رأى اي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما انكر قلبه ما رأته عينه • فصل واما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه جل وعز فاختلف السلف فيها فانكرته عايشة حدثنا ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه قال حدثني ابي وابو عبد الله بن عتاب الفقيه • قالا حدثنا القاضي يونس بن مغيث حدثنا ابو الفضل الصقلي حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده • قالا حدثنا عبد الله بن علي حدثنا محمد بن آدم حدثنا وكيع عن ابن ابي خالد عن عامر عن مسروق انه قال لعايشة يا ام المؤمنين هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار الآية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عايشة وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة انه انما رأى جبريل واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس انه رآه بعينه وروى عطاء عنه انه رآه بقلبه وعن ابي العالية عنه رآه بفؤاده مرتين وذكر ابن اسحق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه فقال نعم والاشهر عنه انه رأى ربه بعينيه روى ذلك عنه من طرق وقال ان الله اختص موسى بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى افتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة اخرى وقال الماوردي قيل ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى ابو الفتح الرازي وابو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحرث قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا قد رأى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه وروى شريك عن ابي ذر في تفسير الآية قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادي ولم اره بعيني وروى مالك بن يخامر عن معاذ عن النبي عليه السلام

قال رأيت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى الحديث وحكى عبد الرزاق أن الحسن
كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه وحكاه أبو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين
هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن إسحق أن مروان سأل أبا هريرة هل رأى محمد ربه فقال نعم
وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل أنه قال أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه رآه رآه حتى انقطع
نفسه يعني نفس أحمد وقال أبو عمر قال أحمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا
بالأبصار وقال سعيد بن جبير لا أقول رآه ولا لم يره وقد اختلف في تأويل الآية عن ابن عباس وعكرمة
والحسن وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود
رأى جبريل وحكى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أنه قال رآه وعن ابن عطاء في قوله ألم نشرح لك
صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام وقال أبو الحسن علي بن إسمعيل الأشعري
رضي الله عنه وجماعة من أصحابه أنه رأى الله ببصره وعيني رأسه وقال كل آية أوتيها نبي من الأنبياء
عليهم السلام فقد أوتي مثلها نبينا وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف بعض مشايخنا في هذا
وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز أن يكون قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه والحق الذي لا
امتراء فيه أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا
سؤال موسى عليه السلام لها ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه بل لم يسأل إلا جائزا غير
مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا من علمه الله فقال له الله لن تراني
أي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب له مثلا مما هو أقوى من بنية موسى وأثبت وهو
الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع دليل
قاطع على استحالتها ولا امتناعها إذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل
على منعها بقوله لا تدركه الأبصار لاختلاف التأويلات في الآية وإذ ليس يقتضي قول من قال
في الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة
وقد قيل لا تدركه أبصار الكفار وقيل لا تدركه الأبصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس
وقد قيل لا تدركه الأبصار وإنما يدركه المبصرون وكل هذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها
وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني وقوله تبت إليك لما قدمناه ولأنها ليست على العموم
ولأن من قال معناها لن تراني في الدنيا إنما هو تأويل وأيضا فليس فيه نص الامتناع
وإنما جاءت في حق موسى وحيث تتطرق التأويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع
إليه سبيل وقوله تبت إليك أي من سؤالي ما لم تقدره لي وقد قال أبو بكر الهذلي في
قوله لن تراني أي ليس لبشر أن يطيق أن ينظر إلي في الدنيا وأنه من نظر إلي مات

وقد رأيت

وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه أن رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف
تركيب أهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة عرضا للآفات والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية
فإذا كان في الآخرة ركبوا تركيبا آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية وأتم
أنوار أبصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد رأيت نحو هذا لمالك بن أنس
رحمه الله قال لم ير في الدنيا لأنه باق ولا يرى الباقي بالفاني فإذا كان في الآخرة
ورزقوا أبصارا باقية رئي الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه
دليل على الاستحالة إلا من حيث ضعف القدرة فإذا قوى الله تعالى من شاء من عباده
وأقدره على حمل أعباء الرؤية لم تمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى
ومحمد عليهما السلام ونفوذ إدراكهما بقوة إلهية منحاها لإدراك ما أدركاه و
رؤية ما رأياه والله أعلم وقد ذكر القاضي أبو بكر في أثناء أجوبته عن الآيتين
ما معناه أن موسى عليه السلام رأى الله فلذلك خر صعقا وأن الجبل رأى ربه
فصار دكا بإدراك خلقه الله له واستنبط ذلك والله أعلم من قوله ولكن
انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل
جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه
على هذا القول وقال جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا
بلا إفاقة وقوله هذا يدل على أن موسى رآه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل
أنه رآه وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا له إذ جعله دليلا على
الجواز ولا مرية في الجواز إذ ليس في الآيات نص في المنع وأما وجوبه لنبينا صلى الله عليه
وسلم والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع أيضا ولا نص إذ المعول فيه على آيتي
النجم والتنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن ولا أثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده لم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث أبي ذر في تفسير الآية وحديث معاذ محتمل
للتأويل وهو مضطرب الإسناد والمتن وحديث أبي ذر الآخر مختلف محتمل مشكل
فروي نور أنى أراه وحكى بعض شيوخنا أنه روي نوراني أراه وفي حديثه
الآخر سألته فقال رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة
الرؤية فإن كان الصحيح رأيت نورا فهو قد أخبر أنه لم ير الله وإنما رأى
نورا منعه وحجبه عن رؤية الله وإلى هذا يرجع قوله نوراني أراه أي كيف

أراه مع حجاب النور المعشي للبصر وهذا مثل ما في الحديث الآخر حجابه النور وفي الحديث
الآخر لم أره بعيني ولكن رأيته بقلبي مرتين وتلا ثم دنى فتدلى والله قادر على خلق الادراك
الذي في البصر في القلب أو كيف شاء لا اله غيره فان ورد حديث نص بين في الباب
اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله الموفق تع فصل
وأما ما ورد في هذه القصة من مناجاته لله وكلامه معه بقوله تع فاوحى الى عبده ما أوحى
الى ما تضمنته الأحاديث فأكثر المفسرين على أن الموحي الله الى جبريل وجبريل الى محمد الا
شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال أوحى الله اليه بلا واسطة ونحوه
عن الواسطي والى هذا ذهب بعض المتكلمين ان محمدا كلم ربه في الاسراء وحكي عن الاشعري
وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وانكره آخرون وذكر النقاش عن ابن عباس
في قصة الاسراء عنه عليه السلام في قوله دنى فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت الأصوات
عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن وفي حديث
انس في الاسراء نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله تع وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فقالوا هي ثلاثة اقسام
من وراء حجاب كتكليم موسى وبارسال الملائكة كحال جميع الانبياء واكثر احوال نبينا
صلى الله عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة
مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي دون واسطة وقد ذكر
ابو بكر البزار عن علي في حديث الاسراء ما هو اوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله
من الآية فذكر فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لي من وراء الحجاب
صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات الاذان مثل ذلك ويجيء
الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفي اول
فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد ومن اختصه من انبيائه جائز غير ممتنع عقلا
ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فان صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى كائن حق
مقطوع به نص ذلك في الكتاب واكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في
الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع
صريف الأقلام فكيف يستحيل في حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان من خص من شاء بما شاء
وجعل بعضهم فوق بعض درجات فصل وأما ما ورد في حديث الاسراء
وظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى

فأكثر المفسرين ان الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما السلام او مختص باحدهما
من الآخر او من السدرة المنتهى قال الرازي قال ابن عباس هو محمد دنى فتدلى من ربه وقيل
معنى دنى قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد اي قرب وحكى مكي والماوردي
عن ابن عباس هو الرب دنا من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى اليه اي امره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن
قال دنى من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فاراه ما شاء ان يريه من قدرته وعظمته
قال وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه
ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات فسمعت كلام ربي
وعن انس في الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنى الجبار رب العزة فتدلى
حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلوة
وذكر حديث الاسراء وعن محمد بن كعب هو محمد صلى الله عليه وسلم دنى محمد من ربه
فكان قاب قوسين وقال جعفر بن محمد ادناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين
وقال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود وقال ايضا انقطعت
الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد الى ما اودع قلبه من
المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب
قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله
او الى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر
الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه
وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته
ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة منه وتأنيس
وبسط واكرام ويتأول فيه ما يتأول في قوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا
على احد الوجوه نزول افضال واجمال وقبول واحسان قال الواسطي من
توهم انه بنفسه دنى جعل ثم مسافة بل كلما دنى بنفسه من الحق
تدلى بعدا يعني عن درك حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله قاب
قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عائدا الى الله تعالى لا الى جبريل على هذا
كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة و
الاشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة الرغبة
وقضاء المطالب واظهار التحفي وانافة المنزلة والمرتبة من الله تعالى

ويتأول فيه ما يتأول في قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن أتاني يمشي أتيته
هرولة اي قربه بالإجابة والقبول وإتيانه بالإحسان وتعجيل المأمول. فصل في ذكر تفضيله
في القيامة بخصوص الكرامة حدثنا القاضي أبو علي حدثنا أبو الفضل وأبو الحسين قالا حدثنا أبو يعلى
حدثنا السنجي حدثنا ابن محبوب حدثنا الترمذي حدثنا الحسين بن يزيد الكوفي حدثنا عبد السلام
ابن حرب عن ليث عن الربيع بن أنس عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا
اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا أيسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد آدم على
ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن أنس في لفظ هذا الحديث انا اول الناس خروجا
اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم
اذا أبلسوا لواء الكرم بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف علي الف خادم كأنهم
لؤلؤ مكنون وعن ابي هريرة واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من
الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة
وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه
الارض ولا فخر وعن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة واول من تنشق عنه القبر
واول شافع واول مشفع وعن ابن عباس انا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول
مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم
الاولين والآخرين ولا فخر وعن انس انا اول الناس يشفع في الجنة وانا اكثر الناس تبعا
وعن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيمة وتدرون لم ذلك يجمع الله
الاولين والآخرين وذكر حديث الشفاعة وعن ابي هريرة انه عليه السلام قال اطمع ان اكون اعظم
الانبياء اجرا يوم القيمة وفي حديث آخر اما ترضون ان يكون ابرهيم وعيسى فيكم يوم القيمة ثم قال
انهما في امتي يوم القيمة اما ابرهيم فيقول انت دعوتي وذريتي فاجعلني من امتك واما عيسى
فالانبياء اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى اخي ليس بيني وبينه نبي وانا اولى الناس به
قوله انا سيد الناس يوم القيمة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيمة ولكن اشار عليه السلام
لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون غيره اذ لجأ الناس اليه في ذلك فلم يجد سواه
والسيد هو الذي يلجأ الناس اليه في حوائجهم فكان حينئذ سيدا منفردا من بين
البشر لم يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار والملك له تعالى في الدنيا والآخرة لكن في الآخرة انقطعت دعوى المدعين
لذلك في الدنيا وكذلك لجأ الى محمد جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم

في الاخرى دون دعوتي وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة يوم القيمة
فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك وعن عبد الله
ابن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه ابيض
من الورق وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ ابدا وعن ابي
ذر نحوه قال طوله ما بين عمان الى ايلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان مثله
وقال احدهما من ذهب والآخر من ورق وفي رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة
وصنعاء وقال انس ايلة وصنعاء وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود وروى
الحوض ايضا انس وجابر وسمرة وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي
والمستورد وابو برزة الاسلمي وحذيفة ابن اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود
وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وابو بكر وعمر بن الخطاب وابن بريدة
وابو سعيد الخدري وعبد الله الصنابحي وابو هريرة والبراء وجندب وعائشة
واسماء ابنتا ابي بكر وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم رضي الله عنهم فصل في
تفضيله بالمحبة والخلة جاءت بذلك الآثار الصحيحة واختص صلى الله عليه وسلم على السنة
المسلمين بحبيب الله حدثنا ابو القسم بن ابرهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد حدثنا ابو الهيثم وحدثنا
حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه حدثنا القاضي ابو الوليد حدثنا عبد بن احمد حدثنا ابو الهيثم حدثنا
ابو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا ابو عامر حدثنا فليح حدثنا ابو النضر
عن بسر بن سعيد عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي
لاتخذت ابا بكر وفي حديث آخر وإن صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن مسعود
قال وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون
فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابراهيم خليلا وقال آخر ماذا باعجب
من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر
آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله
اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح
الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر
وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر

لواء الحمد

في الجنة

اعظم الانبياء اجرا

وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر
وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وفي حديث ابي هريرة من قول الله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم اني اتخذتك خليلا حبيبا فهو مكتوب في التورية انت حبيب الرحمن
قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه اختلف في تفسير الخلة واصل اشتقاقها فقيل
الخليل المنقطع الى الله الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل
المختص واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفاء وسمي ابرهيم خليل الله
لانه يوالي فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره وجعله اماما لمن بعده وقيل الخليل
اصله الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي به ابرهيم لانه قصر
حاجته على ربه وانقطع اليه بهمه ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبرئل وهو في المنجنيق
ليرمى في النار فقال ألك حاجة فقال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك
الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع وقد بين
ذلك تعالى في كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه
قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب ان لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا والخلة
اقوى من البنوة لان البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة فاذا تسمية ابرهيم
ومحمد عليهما السلام بالخلة اما بانقطاعهما الى الله ووقف حوائجهما عليه
والانقطاع عمن دونه والاضراب عن الوسائط والاسباب او لزيادة الاختصاص
منه تعالى لهما وخفي الطافه عندهما وما خالل بواطنهما من اسرار الهيته ومكنون
غيوبه ومعرفته او لاستصفائه لهما واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم
يخاللهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم
معنى قوله عليه السلام ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا لكن اخوة
الاسلام واختلف العلماء ارباب القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة
المحبة فجعلهما بعضهم سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا يكون الخليل الا
حبيبا لكنه خص ابرهيم بالخلة ومحمدا بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة ارفع
واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه المحبة
لفاطمة عليها السلام وابنيها واسامة وغيرهم واكثرهم جعل المحبة ارفع

من الخلة لان درجة الحبيب نبينا ارفع من درجة الخليل ابراهيم واصل المحبة الميل الى ما
يوافق المحب ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق فاما الخالق
جل جلاله فمنزه عن الاعراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه
وتهيئة اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه
حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته كنت سمعه
الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم
من هذا سوى التجرد لله والانقطاع الى الله والاعراض عن غير الله وصفاء القلب لله
واخلاص الحركات لله كما قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن برضاه
يرضى وبسخطه يسخط ولهذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله ۞ قد تخللت مسلك الروح مني
وبذا سمي الخليل خليلا ۞ فاذا ما نطقت كنت حديثي ۞ واذا ما سكت كنت الغليلا
فاذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا عليه السلام بما دلت عليه الآثار الصحيحة
المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الآية
وحكى اهل التفسير ان هذه الآية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا
كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الآية قل اطيعوا الله
والرسول فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه بقوله
فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين ۞ وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك عن
بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة اشاراته الى تفضيل
مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل
بالواسطة من قوله تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض والحبيب
يصل لحبيبه به من قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى ۞ وقيل الخليل الذي تكون
مغفرته في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي والحبيب الذي مغفرته
في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم الآية ۞ والخليل قال ولا تخزني
والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي ۞ فابتدئ بالبشارة قبل السؤال والخليل
قال في المحنة حسبي الله ۞ والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله ۞ والخليل
قال واجعل لي لسان صدق ۞ والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك ۞
اعطي بلا سؤال والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام
والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت

وبما ذكرناه تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال وكل
يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا فصل في تفضيله بالشفاعة والمقام
المحمود قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اخبرنا الشيخ ابو علي الغساني
الجياني فيما كتب الي بخطه حدثنا سراج بن عبد الله القاضي حدثنا ابو محمد الاصيلي حدثنا
ابو زيد وابو احمد قالا حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد بن اسمعيل قال حدثنا اسمعيل بن ابان
قال حدثنا ابو الاحوص عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول ان الناس يصيرون يوم القيمة
جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى محمد صلى
وعن ابي هريرة سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا فقال هي الشفاعة وروى كعب بن مالك عنه عليه السلم يحشر الناس يوم القيمة فاكون
انا وامتي على تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فاقول ما شاء الله ان اقول
فذلك المقام المحمود وعن ابن عمر وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى ياخذ
بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده وعن ابن مسعود عنه عليه السلم
انه قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون والآخرون
ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية هو المقام الذي اشفع لامتي فيه وعن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك
يوم ينزل الله تبارك وتعالى الحديث وعن ابي موسى عنه عليه السلم خيرت بين ان يدخل
نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها اعم اترونها للمتقين ولكنها
للمذنبين الخطائين وعن ابي هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة
فقال شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن ام
حبيبة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى امتي من بعدي
وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم فسالت الله ان
يؤتيني شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل وقال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد
حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم
نفس الا باذنه فينادى محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر
ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجا
ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال
فذلك المقام المحمود الذي ذكره الله وقال ابن عباس اذا دخل اهل النار النار واهل الجنة

الجنة فتبقى آخر زمرة من الجنة وآخر زمرة من النار فتقول زمرة النار لزمرة
الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسالون آدم
وغيره بعده في الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى ياتوا محمدا فيشفع لهم فذلك المقام المحمود
ونحوه عن ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد يعني الذي يبعثه الله فيه قال
نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر
حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين وعن انس نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذي
وعده وعن سلمان المقام المحمود هو الشفاعة في امته يوم القيمة وقال قتادة كان
اهل العلم يرون ان المقام المحمود شفاعته يوم القيامة وعلى ان المقام المحمود هو مقامه عليه السلم
للشفاعة مذاهب السلف من الصحابة والتابعين والمسلمين وبذلك جاءت مفسرة
في صحيح الاخبار عنه عليه السلم وجاءت مقالة في تفسيرها شاذة عن بعض السلف يجب ان لا تثبت
اذ لم يعضدها صحيح اثر ولا اسند بنظر ولو صحت لكان لها تاويل غير مستنكر
لكن ما فسره النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح الآثار يرده فلا يجب ان يلتفت اليه مع انه لم يات
في كتاب ولا سنة ولا اتفقت على المقال به امة وفي اطلاق ظاهره منكر من
القول وشنعة وفي رواية انس وغيرهما دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال
عليه السلام يجمع الله الاولين والآخرين يوم القيمة فيهتمون او قال فيلهمون فيقولون لو
استشفعنا الى ربنا ومن طريق عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن ابي هريرة وتدنو
الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون من يشفع
لكم فياتون آدم زاد بعضهم انت آدم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه
واسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك
حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم
يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي
نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فياتون نوحا فيقولون انت اول
الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن فيه الا ترى
ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله
مثله ولن يغضب بعده مثله نفسي نفسي قال في رواية انس ويذكر خطيئته

التي أصاب سؤاله ربه بغير علم وفي رواية ابي هريرة وقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي
اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابرهيم فانه خليل الله فيأتون ابرهيم فيقولون يا نبي الله وخليله
من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا
وذكر مثله ويذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى
كليم الله وفي رواية فانه عبد آتاه الله التورية وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون
موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي أصاب وقتله النفس نفسي نفسي ولكن
عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد فانه
عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فاقول انا لها فانطلق فاستأذن
على ربي فيؤذن لي فاذا رأيته وقعت ساجدا وفي رواية فاتي تحت العرش
فاخر ساجدا لربي وفي رواية فاقوم بين يديه فاحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن
يلهمنيها الله وفي رواية فيفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على
أحد قبلي قال في رواية ابي هريرة فيقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع
رأسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن
من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ولم يذكر في رواية
انس هذا الفصل وفي رواية قال مكانه ثم اخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك
وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه واقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في
قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي
فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فافعل
ثم ارجع وذكر نحو ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة
من خردل فافعل وذكر في المرة الرابعة فيقال لي ارفع رأسك وقل تسمع واشفع
تشفع وسل تعطه فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك لك
ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله
ومن رواية قتادة عنه قال فلا ادري في الثالثة او الرابعة فاقول يا رب ما بقي في
النار الا من حبسه القرآن اي وجب عليه الخلود وعن ابي بكر وعقبة بن عامر
وابي سعيد وحذيفة مثله قال فيأتون محمدا فيؤذن له وتأتي الامانة والرحم
فيقومان جنبتي الصراط وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة فيأتون محمدا
فيشفع فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق ثم كالريح والطير وشد الرجال

ونبيكم

ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر آخرهم
جوازا الحديث وفي رواية ابي هريرة فاكون اول من يجيز يومئذ وعن ابن عباس
عنه صلى الله عليه وسلم يوضع للانبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه
قائما بين يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك
فاقول يا رب عجل حسابهم فيدعا بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم
من يدخل الجنة بشفاعتي ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم
الى النار حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك
من نقمة ومن طريق زياد النميري عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال انا اول من تنفلق الارض عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر
ومعي لواء الحمد يوم القيمة وانا اول من يفتح له الجنة ولا فخر فاتي فآخذ بحلقة الجنة
فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى فاخر له ساجدا وذكر نحوه
ما تقدم ومن رواية انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيمة
لاكثر مما في الارض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الآثار ان
شفاعته عليه السلام ومقامه المحمود من اول الشفاعات الى آخرها من حين يجتمع
الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف
مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لازاحة الناس من الموقف ثم
يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة
وهذا الحديث اتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من امته الى الجنة
كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسب
ما تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس هذا لسواه
صلى الله عليه وسلم وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها
واختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة قال اهل العلم معناه دعوة
أعلم انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكم لكل نبي منهم من دعوة
مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند
الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤه يدعون
بها على يقين من الاجابة وقد قال محمد بن زياد وابو صالح عن ابي
هريرة في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في امته فاستجيب له

وأنا أريد أن أؤخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيمة وفي رواية أبي صالح لكل نبي دعوة
مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية أبي زرعة عن أبي هريرة وعن أنس مثل
رواية أبي زياد عن أبي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالأمة مضمونة
الإجابة وإلا فقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه سأل لأمته أشياء من أمور الدين والدنيا
أعطي بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤال
والرغبة جزاه الله أحسن ما جزى نبيا عن أمته صلى الله عليه وسلم فصل في تفضيله
في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة حدثنا القاضي أبو عبد الله
محمد بن عيسى التميمي والفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد بقراءتي عليهما قالا حدثنا أبو علي الغساني
حدثنا النمري حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا أبو بكر التمار حدثنا أبو داود حدثنا محمد بن سلمة حدثنا ابن
وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن أبي أيوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير
عن عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل
ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة
فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله لي
الوسيلة حلت عليه الشفاعة وفي حديث آخر عن أبي هريرة الوسيلة أعلى درجة في الجنة
وعن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه قباب
اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال الكوثر الذي أعطاكه الله قال ثم ضرب بيده إلى طينه
فاستخرج مسكا وعن عائشة وعبد الله بن عمرو مثله قال ومجراه على الدر والياقوت و
ماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج وفي رواية عنه فإذا هو يجري ولم يشق شقا عليه
حوض ترد عليه أمتي وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عباس أيضا
قال الكوثر الخير الذي أعطاه الله إياه وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة
من الخير الذي أعطاه الله وعن حذيفة فيما ذكر عليه السلام عن ربه وأعطاني
الكوثر نهر من الجنة يسيل في حوضي وعن ابن عباس في قوله تعالى ولسوف
يعطيك ربك فترضى قال ألف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه
ما يصلحهن وفي رواية أخرى وفيه ما ينبغي له من الأزواج والخدم
فصل فإن قلت إذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الأثر وإجماع
الأمة كونه أكرم البشر وأفضل الأنبياء فما معنى الأحاديث الواردة
بنهيه عن التفضيل كقوله فيما حدثناه الأسدي قال حدثنا السمرقندي

حدثنا الفارسي حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا ابن مثنى حدثنا محمد
ابن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة سمعت أبا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم
يعني ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى
وفي غير هذا الموطن عن أبي هريرة قال يعني رسول الله ما ينبغي لعبد الحديث وفي حديث
أبي هريرة في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من الأنصار
وقال تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لا تفضلوا بين الأنبياء وفي رواية لا تخيروني على موسى فذكر الحديث وفيه
ولا أقول إن أحدا أفضل من يونس بن متى وعن أبي هريرة من قال أنا خير من يونس
ابن متى فقد كذب وعن ابن مسعود لا يقولن أحدكم أنا خير من يونس بن متى
وفي حديث آخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية فقال ذاك إبرهيم فاعلم أن للعلماء في هذه الأحاديث
تأويلات أحدها أن نهيه عن التفضيل كان قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فنهى عن
التفضيل إذ يحتاج إلى توقيف وأن من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا أقول
إن أحدا أفضل منه لا يقتضي تفضيله هو وإنما هو في الظاهر كف عن التفضيل الوجه الثاني
أنه قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض
الوجه الثالث أن لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي إلى تنقص بعضهم أو الغض منه لا سيما
في جهة يونس عليه السلام إذ أخبر الله عنه بما أخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك
غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة إذ قال تعالى عنه إذ أبق إلى الفلك المشحون
إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده حطيطته بذلك
الوجه الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فإن الأنبياء فيها على حد
واحد إذ هي شيء واحد لا تتفاضل وإنما التفاضل في زيادة الأحوال والخصوص
والكرامات والرتب والألطاف وأما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وإنما التفاضل
بأمور أخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم أولو عزم من الرسل ومنهم
من رفع مكانا عليا ومنهم من أوتي الحكم صبيا وأوتي بعضهم الزبر وبعضهم
البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد
فضلنا بعض النبيين على بعض الآية وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
الآية قال بعض أهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك
بثلاثة أحوال أن تكون آياته ومعجزاته أبهر وأشهر أو تكون أمته أزكى

خ تحققت السمتان

واكثر او يكون في ذاته افضل واظهر وفضله في ذاته راجع الى ما خصه الله به من
كرامته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية او ما شاء الله به من الطافه وتحف
ولايته واختصاصه وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا
وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ النبي صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة
من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته او قدح في اصطفائه وحط
من رتبته ووهن في عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على امته وقد يتوجه
على هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجعا الى القائل نفسه اي
لا يظن احد وان بلغ من الذكاء والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير من يونس
لاجل ما حكى الله عنه فان درجة النبوة افضل واعلى وان تلك الاقدار لم تحططه
عنها حبة خردلة ولا ادنى وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا ان شاء الله
فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض فصل في اسمائه
عليه السلام وما تضمنته من فضيلته حدثنا ابو عمران موسى بن ابي تليد الفقيه قال حدثنا
ابو عمر الحافظ حدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا يحيى
حدثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر
الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وقد سماه الله في كتابه محمدا واحمد فمن
خصايصه تعالى له ان ضمن اسماءه ثناءه وطوى اثناء ذكره عظيم شكره فاما
اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم
اجل من حمد وافضل من حمد واكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين
ومعه لواء الحمد يوم القيمة ليتم له كمال الحمد ويتشهر في تلك العرصات بصفة الحمد
ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه الاولون والآخرون بشفاعته
لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال عليه السلام ما لم يعط غيره وسمى امته في كتب
انبيائه بالحمادين فحقيق ان يسمى محمدا واحمد ثم في هذين الاسمين من عجائب
خصائصه وبدائع آياته فن آخر هو ان الله تعالى حمى ان يسمى بهما
احد قبل زمانه اما احمد الذي اتى في الكتب وبشرت به الانبياء فمنع الله تعالى
بحكمته ان يسمى به احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف
القلب وشك وكذلك محمد ايضا لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان

شاع قبيل

شاع قبيل وجوده عليه السلام وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب
ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو والله اعلم حيث يجعل رسالاته وهم محمد بن احيحة
ابن الجلاح الاوسي ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد بن سفين بن مجاشع
ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم ويقال اول من سمي محمد بن سفين واليمن
يقول بل محمد بن اليحمد من الازد ثم حمى الله كل من تسمى به ان يدعي النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه
سبب يشكك احدا في امره حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما واما قوله
وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث ويكون محو الكفر اما من مكة وبلاد
العرب وما زوي له من الارض ووعد انه يبلغه ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى
الظهور والغلبة وقد ورد تفسيره في الحديث انه الذي محيت به سيئات من اتبعه وقوله
وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي اي على زماني وعهدي اي ليس بعدي نبي كما قال
وخاتم النبيين وسمي عاقبا لانه عقب غيره من الانبياء وقيل معنى على قدمي اي يحشر الناس
بمشاهدتي كما قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ومعنى قوله
لي خمسة اسماء قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة وعند اولي العلم من الامم السالفة
والله اعلم وقد روي عنه عليه السلام لي عشرة اسماء وذكر منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل
في بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي وفي يس يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر
ابن محمد وذكر غيره لي عشرة اسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الاول قال
وانا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم وانا المقفى قفيت النبيين
وانا قيم والقيم الجامع الكامل كذلك وجدته ولم اروه وارى ان صوابه قثم
بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو اشبه بالتفسير وقد وقع ايضا في كتب الانبياء
قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون
القيم بمعناه وروى النقاش عنه عليه السلام لي في القرآن سبعة اسماء محمد واحمد
ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله وفي حديث ابي موسى الاشعري انه
كان عليه السلام يسمي لنا نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفى والحاشر
ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروى نبي المرحمة والرحمة وكل صحيح ان شاء الله
ومعنى المقفى معنى العاقب واما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة
فقد قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما وصفه بانه يزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤوف رحيم

وقال القسطلاني في المواهب اللدنية بفتح الحاء المهملة وسكون الميم ... قال ابو عمرو سألت بعض من اسلم من اليهود عنه فقال معناه يحمي الحرم ويمنع من الحرام ويوطئ الحلال

وقد قال في صفة امته انها امة مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اى يرحم بعضهم بعضا فبعثه عليه السلام ربه تعالى رحمة لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما مستغفرا لهم وجعل امته مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله يحب من عباده الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء واما رواية نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة وروى حذيفة مثل حديث ابي موسى وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي في حديثه انه عليه السلام قال اتاني ملك فقال لي انت قثم اى مجتمع قال والقثوم الجامع للخير وهذا اسم هو في اهل بيته عليه السلام معلوم وقد جاءت من القابه عليه السلام وسماته في القرآن عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر والبشير والشاهد والحق المبين وخاتم النبيين والرؤف الرحيم والامين وقدم الصدق ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبي الامي وداعي الى الله في اوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها في كتب الله المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث رسوله واطلاق الامة جملة شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وابي القاسم والحبيب ورسول رب العالمين والشفيع المشفع والتقي والمصلح والطاهر والمهيمن والصادق والمصدوق والهادي وسيد ولد آدم وسيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللواء والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين ومن اسمائه في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس وروح الحق وهو معنى البارقليط في الانجيل وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل ومن اسمائه في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب طيب وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار قال ثعلب فالخاتم الذي ختم الانبياء والحاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه ايضا في التوراة احيد روى ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب اى السيف وقع ذلك مفسرا في الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه عليه السلام وهو الان

عند الخلفاء واما الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة العصا واراها والله اعلم العصا المذكورة في حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاي لاهل اليمن واما التاج فالمراد به العمامة ولم يكن حينئذ الا للعرب والعمائم تيجان العرب واوصافه والقابه صلى الله عليه وسلم وسماته في الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع ان شاء الله وكانت كنيته المشهورة ابا القاسم وروي عن انس انه لما ولد له ابراهيم جاءه جبريل فقال له السلام عليك يا ابا ابراهيم

فصل في تشريف الله تعالى له بما سماه به من اسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى

قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه ما احرى هذا الفصل بفصول الباب الاول لانخراطه في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح الله الصدر للهداية الى استنباطه ولا انار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه الا عند الخوض في الفصل الذي قبله فراينا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم ان الله تعالى خص كثيرا من انبيائه بكرامة خلعها عليهم من اسمائه كتسميته اسحق واسمعيل بعليم وحليم وابراهيم بحليم ونوحا بشكور وعيسى ويحيى ببر وموسى بكريم وقوي ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر واسمعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم وفضل نبينا محمدا عليه السلام بان حلاه منها في كتابه العزيز وعلى السنة انبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا جملة منها بعد اعمال الفكر واحضار الذكر اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتاليف فصلين وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلثين اسما ولعل الله كما الهم الى ما علمنا منها وحققه يتم النعمة بابانة ما لم يظهر لنا الان ويفتح غلقه فمن اسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده ويكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في زبر داود واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد وقد اشار الى نحو هذا حسان بقوله

وشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد •

ومن اسمائه تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه في كتابه بذلك فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين اى المبين امره والهيته بان وابان بمعنى وكذا بمعنى المبين لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى النبي بذلك في كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين • وقال وقل انى انا النذير المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره وهو بمعنى الاول والمبين البين امره ورسالته او المبين عن الله تعالى ما بعثه به كما قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم

النور في الاصل كيفية تدركها الباصرة اولاً ثم بها تدرك سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من القرين على الاجرام المحاذية لهما فلا يصح بهذا المعنى اطلاقه على الله تعالى حقيقة ولذا اوله القاضي بما ترى قال الغزالي في شرحه على الاسماء الحسنى النور هو الظاهر الذي به كل ظهور فان الظاهر في نفسه المظهر لغيره يسمى نورًا ومهما قوبل الوجود بالعدم كان الظهور لا محالة للوجود ولا ظلام اظلم من العدم فالبرئ من ظلمة العدم بل عن امكان العدم المخرج كل الاشياء من ظلمة العدم الى ظهور الوجود جدير بان يسمى نورًا والوجود نور فائض على الاشياء كلها من نور ذاته فهو نور السموات وكما انه لا ذرة من نور الشمس الا وهي دالة على وجود الشمس المنورة لها فلا ذرة من موجودات السموات والارض وما بينهما الا وهي بجواز وجودها دالة على وجوب وجود موجدها انتهى

النور ومعناه ذو النور اي خالقه او منور السموات والارض بالانوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورًا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل القرآن وقال فيه وسراجا منيرا سمي بذلك لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به ومن اسمائه تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة وسماه شهيدا وشاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الاول ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي في اسمائه تعالى الاكرم وسماه تعالى كريما بقوله انه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل وقال عليه السلام انا اكرم ولد آدم ومعاني الاسم صحيحة في حقه عليه السلام ومن اسمائه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشان الذي كل شيء دونه وقال في النبي صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم ووقع في اول سفر من التورية عن اسمعيل وسيلد عظيما لامة عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلي العظيم الشان وقيل المتكبر وسمي النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب داود بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك فان ناموسك وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم اما لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم او لقهره اعداءه او لعلو منزلته على البشر وعظيم خطره ونفى عنه في القرآن جبرية التكبر التي لا تليق به فقال وما انت عليهم بجبار ومن اسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال تعالى الرحمن فاسئل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلاء المامور بالسؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول الله تعالى فالنبي خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله تعالى من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن له في اعلامهم به ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اي ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الاسراء الطويل من رواية الربيع بن انس عن ابي العالية او غيره عن ابي هريرة وفيه من قول الله تعالى

وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب الرحمة على امته والفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله او الناصر للحق او المبتدئ بهداية الامة او المبتدأ المقدم في الانبياء والخاتم لهم كما قال عليه السلام كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث ومن اسمائه تعالى الشكور ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين ووصف بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم نوحا عليه السلام فقال انه كان عبدا شكورا وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم بذلك نفسه فقال افلا اكون عبدا شكورا اي معترفا بنعم ربي عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك لقوله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه بالعلم وخصه بمزية منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن اسمائه تعالى الاول والآخر ومعناهما السابق للاشياء قبل وجودها والباقي بعد فنائها وتحقيقه انه ليس له اول ولا آخر وقال عليه السلام كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث وفسر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنه قوله نحن الآخرون السابقون وقوله انا اول من تنشق الارض عنه واول من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع وهو خاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله تعالى بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل ومن اسمائه تعالى الصادق في الحديث المأثور وورد في الحديث ايضا اسمه عليه السلام بالصادق المصدوق ومن اسمائه تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر وقد قال الله تعالى انما وليكم الله ورسوله وقد قال عليه السلام انا ولي كل مؤمن وقال الله تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وقال عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه ومن اسمائه تعالى العفو ومعناه الصفوح وقد وصف الله تعالى بهذا نبيه في القرآن والتورية وامره بالعفو فقال خذ العفو وامر بالعرف وقال فاعف عنهم واصفح وقال جبريل وقد ساله عن قوله خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك وقال في التورية في الحديث المشهور في صفته عليه السلام ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء

الى صراط مستقيم واصل الهجيع من الميل وقيل من التقديم وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال تعالى وداعيا الى الله باذنه فالله مخصص بالمعنى الاول قال تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وبمعنى الدلالة يطلق على غيره تعالى ومن اسمائه تعالى المؤمن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المؤمن في حقه تعالى المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده المؤمنين ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده في الدنيا من ظلمه والمؤمنين في الآخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم في الدعاء آمين انه اسم من اسماء الله تعالى ومعناه معنى المؤمن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ والنبي عليه السلام امين ومهيمن ومؤمن وقد سماه الله امينا فقال مطاع ثم امين وكان عليه السلام يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا في قوله • ثم احتوى بيتك المهيمن • من خندف عليا تحتها النطق • قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتيبي والامام ابو القسم القشيري وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق وقال انا امنة لاصحابي فهذا بمعنى المؤمن ومن اسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقائص المطهر من سمات الحدث وسمي بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادي المقدس اي المطهر من الذنوب كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر والذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال ويزكيهم وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى مطهر من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب او الذي لا نظير له او المعز لغيره وقال الله تعالى ولله العزة ولرسوله اي الامتناع وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا اي مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم • فصل • قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وها انا اذكر نكتة اذيل بها هذا الفصل واختم بها هذا القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان يعتقد ان الله جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلى صفاته لا يشبه

شيئا من مخلوقاته ولا يشبهه بروان ما جاء مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق
فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق كما ان ذاته
لا يشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن
الاعراض والاغراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه وكفى في هذا
قوله تعالى ليس كمثله شيء ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد
اثبات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله
بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته
صفة الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة ان يكون لها
صفة حديثة كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق
والسنة والجماعة رضي الله عنهم وقد فسر الامام ابو القسم القشيري رحمه الله ليزيده بيانا
فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي
بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب انس او دفع نقص حصل
ولا بخواطر واغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه
وقال آخر من مشايخنا ما توهمتموه باوهامكم او ادركتموه بعقولكم فهو محدث
مثلكم وقال ابو المعالي الجويني من اطمأن الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه
ومن اطمأن الى النفي المحض فهو معطل وان قطع بموجود واعترف بالعجز عن درك
حقيقته فهو موحد أن تعلم ان قدرة الله تعالى في الاشياء بلا علاج وصنعه لها بلا امتزاج
وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك فالله بخلافه وهذا
كلام عجيب نفيس محقق والفصل الاخر تفسير لقوله تعالى ليس كمثله شيء والثاني
تفسير لقوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون والثالث تفسير لقوله انما قولنا لشيء
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله واياك على التوحيد والاثبات
والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته
الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص
والكرامات قال الفقيه القاضي ابو الفضل رضي الله عنه حسب المتامل ان يحقق ان
كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج الى نصب البراهين
عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل الطاعن اليها ونذكر شروط المعجز والتحدي
وحده وفساد قول من ابطل نسخ الشرائع ورده بل الفناه لاهل ملته الملبين لدعوته

المصدقين لنبوته ليكون تاكيدا في حجتهم له ونماة لاعمالهم وليزدادوا ايمانا
مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت في هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير اياته لتدل على عظيم
قدره عند ربه واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع او كاد
واضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة واذا تامل المتامل المنصف ما قدمناه
من جميل اثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله
وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى غير واحد في اسلامه
والايمان به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله بن سلام
قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت
وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال حدثنا
ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل ابن خيرون عن ابي يعلى البغدادي عن ابي علي السنجي
عن ابن محبوب عن الترمذي ثنا محمد بن بشار ثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر
وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي عن زرارة بن اوفى عن عبد الله بن سلام
الحديث وعن ابي رمثة التيمي اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما رايته
قلت هذا نبي الله وروى مسلم وغيره ان ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد علي كلماتك هؤلاء
فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال جامع بن شداد كان رجل منا
يقال له طارق فاخبر انه راى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه
قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار الى
المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة لثمن البعير
رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فاصبحنا فجاء رجل فقال انا رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكتالوا
حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندي ملك عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعوه الى الاسلام قال الجلندي والله لقد دلني على هذا النبي الامي انه لا يامر
بخير الا كان اول اخذ به ولا ينهى عن شيء الا كان اول تارك له وانه
يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود واشهد
انه نبي وقال نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا

مثل يضرب

نظم

مثل ضربه الله لنبيه عليه السلام يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يقل قرانا كما قال ابن رواحة لو لم يكن
فيه ايات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر وقد آن ان ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة
وبعده في معجزة القرآن وما فيه من برهان ودلالة فصل اعلم ان الله جل اسمه قادر
على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء
دون واسطة لو شاء كما حكى عن سنته في بعض الانبياء وذكره بعض اهل التفسير في قوله تعالى
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه
ويكون تلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع لهذا من
دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب
تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجزة مع التحدي من النبي قائم مقام قول الله صدق عبدي فاطيعوه
واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد
تتبعه وجده مستوفى في مصنفات ائمتنا رحمهم الله فالنبوة في لغة من همز ماخوذة من النبأ وهو الخبر
وقد لا يهمز على هذا التاويل تسهيلا والمعنى ان الله اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون
نبي منبأ فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا بما اطلعه الله عليه بمعنى فاعل و
يكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة
عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه مؤتلفان واما الرسول فهو المرسل ولم يات فعول
بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه من
التتابع ومنه قولهم جاء الناس ارسالا اذا تبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرير التبليغ او الزمت
الامة اتباعه واختلف العلماء هل النبي والرسول بمعنى ام بمعنيين فقيل هما سواء واصله
من الانباء وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي فقد اثبت لهما معا الارسال قال ولا يكون النبي الا
رسولا ولا الرسول الا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا
في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة
بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة للرسول وهو الامر
بالانذار والاعلام كما قلنا وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الاسمين
ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا و
المعنى وما ارسلنا من رسول الى امة او نبي ليس بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم
الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدا ومن لم يات به نبي غير رسول وان امر

بالابلاغ والانذار والصحيح هو الذي عليه الجم الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا واول الرسل آدم وآخرهم محمد عليهم السلام وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر اولهم آدم عليه السلام فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل واما الوحي فاصله الاسراع فلما كان النبي يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواع الالهامات وحيا تشبيها بالوحي الى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اوما ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحي الوحي اي السرعة وقيل اصل الوحي الستر والاخفاء ومنه سمي الالهام وحيا ومنه قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله تعالى واوحينا الى ام موسى اي القى في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي بما يلقيه في قلبه دون واسطة فصل اعلم ان تسميتنا ما جاءت به الانبياء معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل الله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القرآن على رأي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج الناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من بين الاصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله فيكون ذلك على يد النبي من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه ان يأتي بمثله تعجيز له واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم آية واظهرهم برهانا كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال اهل العلم واقصر السور انا اعطيناك الكوثر فكل آية او آيات منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل الينا متواترا كالقرآن فلا مرية ولا خلاف بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وان انكر هذا

معاينة

معاين جاحد فهو كانكاره وجود محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا وانما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال بعض ائمتنا ويجري هذا المجرى على الجملة انه قد جرى على يديه عليه السلام آيات وخوارق عادات ان لم يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر انه جرت على يديه عجائب وانما خلاف المعاند في كونها من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا ايضا من نبينا ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة وحلم احنف لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان كل خبر لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته والقسم الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والاخبار كنبع الماء من بين الاصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الاتيان بالمعجز كما قدمنا قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وانا اقول صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الآيات المأثورة عنه عليه السلام معلومة بالقطع اما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه واخبر عن وجوده ولا يعدل عن ظاهر الا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار من طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف اخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت الى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين بل نرغم بهذا انفه وننبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجم الغفير عن العدد الكثير من الصحابة ومنها ما رواها الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث بها من جملة الصحابة واخبارهم ان ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن احد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه ولا انكار عما ذكر عنهم انهم رأوه كما رآه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض اشياء رواها من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من

معجزاته لما بيناه وايضا فان امثال الاخبار التى لا اصل لها وبنيت على باطل لا بد مع
مرور الزمان وتداول الناس واهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها
كما نشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارية واعلام نبينا هذه
الواردة من طريق الآحاد لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة
طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف اصلها واجتهاد الملحد على اطفاء نورها
الا قوة وقبولا وللطاعن عليها الا حسرة وغليلا وكذلك اخباره عن الغيوب
وانباؤه بما يكون وكان معلوم من آياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء
عليه وقد قال به القاضي والامام ابو بكر وغيرهما رحمهم الله وما عندي اوجب قول
القائل ان هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد الا قلة مطالعته للاخبار و
روايته وشغله بغير ذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الحديث
والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد
ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر فان اكثر الناس يعلمون
بالخبر كون بغداد موجودة وانها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة وآحاد من الناس
لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة وتواتر
النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القرآن في الصلاة للمنفرد والامام واجزاء النية في
اول ليلة من رمضان عما سواه وان الشافعي يرى تجديد النية لكل ليلة والاقتصار في المسح
على بعض الرأس وان مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد وغيره وايجاب النية في الوضوء
واشتراط الولي في النكاح وان ابا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم
ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى اقوالهم لا يعلم هذا من مذاهبهم فضلا عمن سواه
وعند ذكر آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا ان شاء الله تعالى

فصل

في اعجاز القرآن اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز
كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها في اربعة وجوه اولها حسن تأليفه
والتئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب و
ذلك انهم كانوا ارباب هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة
والحكم بما لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت انسان
ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم
غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون

بديها في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون
ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك
بالسحر الحلال ويطوقون من اوصافهم اجمل من سمط اللآل فيخدعون الالباب
ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان
ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم
البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع
القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة
والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية
وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع
الناهج لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها
واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من ابوابها وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا في
الخطير والمهين وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا
في النظم والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت آياته وفصلت
كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر
ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه
وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه واعتدل مع ايجازه حسن نظمه
وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه وهم افسح ما كانوا في هذا الباب
مجالا واشهر في الخطابة رجالا واكثر في السجع والشعر سجالا واوسع في
الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها
يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤوس الملأ اجمعين
ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم
صادقين وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله
الى قوله ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن الآية وقل
فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وذلك ان المفتري اسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار
اقرب واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال وفلان يكتب كما
يريد وللاول على الثاني فضل وبينهما شأو بعيد فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم اشد التقريع

ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم
واباءهم ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون
عن مماثلته يخادعون انفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاغراء بالافتراء وقولهم ان هذا
الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين والمباهتة والرضى بالدنية
كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا
مثل هذا وقد قال لهم الله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم
كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم والا فلم يخف على اهل
الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين واتوا مذعنين
من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر
بالعدل والاحسان الاية قال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله
لمغدق وان اعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر وذكر ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا
يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه
خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي ان عمر بن الخطاب رضي
الله عنه كان يوما نائما في المسجد فاذا هو بقائم على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فاعلمه
انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين يقرأ آية
من كتابكم فتأملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل على عيسى ابن مريم من احوال الدنيا والآخرة
وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الاية وحكى الاصمعي انه سمع كلام
جارية فقال لها قاتلك الله ما افصحك فقالت او يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى
واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الاية فجمع في آية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين و
بشارتين فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من
القولين وكون القرآن من قبل النبي وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه عليه السلام متحديا به معلوم ضرورة
وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة
للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها
عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز بلاغته وانت اذا تأملت قوله تعالى ولكم في القصاص
حيوة وقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقوله ادفع
بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وقوله يا ارض ابلعي

ماءك ويا سماء اقلعي الاية وقوله تعالى فكلا اخذنا بذنبه الاية واشباهها من الاي بل
اكثر القرآن حققت ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن
تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت
الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص
الطوال واخبار القرون السوالف التي تضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب
ماء البيان آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة
يوسف على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل
واحدة تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها
ولا معاداة لمعادها

فصل الوجه الثاني من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب
المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل
كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دون
احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم
الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق فجاءه ابو جهل منكرا عليه قال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني والله
ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا وفي خبره الآخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب
ترد فاجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه
قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال وما هو بشاعر قالوا
فنقول ساحر قال لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول
ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا
الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر وانه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء وأخيه
والمرء وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس
فانزل الله في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا الايات وقال عتبة بن ربيعة
حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم اني لم اترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته
والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة
وقال النضر بن الحارث نحوه وفي حديث اسلام ابي ذر ووصف اخاه انيسا فقال
والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية انا
احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى ابي ذر بخبر النبي قلت فما يقول الناس
قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم

القرامطة هم قوم من المبتدعة الذين دعوتهم ادت الى كفرهم لقبوا بالقرامطة لان اولهم الذي دعا الناس الى مذهبهم رجل يقال له حمدان قرمط بالاخفض وقرمط قرية من قرى واسط ويسمون ايضا بالحرمية لاباحتهم المحرمات ونكاح المحارم وقد ظهروا في زمان العباسيين وكانوا يسمون الباطنية لقولهم ان للقرآن ظاهرا وباطنا والمراد منه باطنه لا ظاهره المعلوم من اللغة ونسبة الباطن الى الظاهر كنسبة اللب الى القشر وهم اكثر اعداء القرآن حتى انهم سرقوا الحجر الاسود واقتلعوه من محله واستتر عندهم مدة طويلة

ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم على لسان احد بعدي انه لشعر وانه لصادق وانهم
لكاذبون والاخبار في هذه صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز و
البلاغة بذاتها او الاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر
العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها
والى هذا ذهب غير واحد من ائمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز
في مجموع البلاغة والاسلوب واتى على ذلك بقول تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح
ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة وارهف خاطره و
لسانه ادب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف ائمة السنة في وجه عجزهم فاكثرهم
يقول انه مما جمع في قوة جزالته ونصاعة الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تاليفه واسلوبه لا يصح
ان يكون في مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنعة اقدار الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصا
وتسبيح الحصا وذهب الشيخ ابو الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله
عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه وعلى
الطريقين فعجز العرب عنه ثابت واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقدور البشر وتحديهم
بان ياتوا بمثله قاطع وهو ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس
من قدرة البشر لازم وهو ابهر آية واقمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا في ذلك بمقال بل صبروا
على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الانف واباءة الضيم
بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت من
قدرهم والشغل بها اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم ممن
له قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الانام وما منهم الا من جهد جهده واستنفد ما عنده
في اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا اتوا
بنطفة من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا
فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من اعجازه فصل الوجه الثالث من اعجازه
ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذي
اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وقوله وهم من
بعد غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره على الدين كله وقوله وعد
الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الآية وقوله
اذا جاء نصر الله والفتح الى آخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم

فارس في بضع

فارس في بضع سنين ودخل الناس في الاسلام افواجا فما مات عليه السلام وفي بلاد
العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف المؤمنين في الارض ومكن لهم فيها دينهم وملكهم
اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما قال عليه السلام زويت لي الارض فاريت مشارقها
ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة
فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمسمائة عام فما قدروا على اطفاء شيء من نوره
ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله تعالى سيهزم الجمع
ويولون الدبر وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الآية وقوله هو الذي ارسل رسوله
بالهدى الآية وقوله لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم الآية فكان كل ذلك وما فيه
من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله تعالى
يقولون في انفسهم ما لا يبدون لك الآية وقوله ومن الذين هادوا سماعون للكذب الآية
وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الى قوله في الدين وقد قال مبديا
ما قدره الله واعتقده المؤمنون يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين
انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله تعالى انا كفيناك
المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اصحابه بان الله كفاه اياهم
وكان المستهزئون نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا وقوله والله يعصمك
من الناس فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة صحيحة
فصل الوجه الرابع ما انباه به من اخبار القرون السالفة والامم البائدة
والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب
الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه وياتي به على نصه فيعترف
العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم امي لا يقرا
ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة لم يغب عنهم ولا جهل حاله احد منهم وقد كان اهل
الكتاب كثيرا ما يسالونه صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم
منه ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب
الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانباء وبدء الخلق و
ما في التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم
يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق له من خير

ومن شقي معاند حاسد ومع هذا لم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم وحرصهم
على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه السلام
وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامهم بمكتوم شرائعهم
ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل
على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله ذلك مثلهم
في التورية ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من امورهم التي نزل فيها القران فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه
من ذلك انه انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقاله واعترف بعناده وحسده اياه
كاهل نجران وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك بعض المباهتة وادعى ان ذلك
فيما حكاه مخالف لما في كتبهم دعي الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين
الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي على
فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر ان احدا منهم اظهر خلاف قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا ولا سقيما من صحفه
قال الله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب
ويعفوا عن كثير الايتان فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها
ولا مرية ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه آي وردت بتعجيز قوم في قضايا
واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود قل ان كانت لكم
الدار الاخرة عند الله خالصة الاية قال ابو اسحق الزجاج في هذه الاية اعظم حجة
واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا
فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه
يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه اذ لم يتمنه
احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته
قال ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله بذلك
نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك آية المباهلة
من هذا المعنى حيث وفد عليه اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل الله عليه آية المباهلة بقوله
فمن حاجك فيه الاية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم قال
لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله وان كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون
كما كان وهذه الاية ادخل في باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي

قبلها

٥٥

قلبي ان يطير
قال الخطابي كان انزعج عند سماع هذه الآية لفهمه معناها ومعرفته بما تضمنته ففهم الحجة واستدركها بلطيف طبعه وذلك من قوله تعالى ام خلقوا من غير شيء قيل معناه ليسوا اشد من خلق السموات والارض لانها خلقت من غير شيء وهم خلقوا من آدم وآدم من تراب وقيل المعنى اخلقوا لغير شيء اي هل خلقوا باطلا لا يؤمرون ولا ينهون وقيل المعنى اخلقوا من غير خالق وذلك باطل فلا بد لهم من خالق كذا

قبلها فصل ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم
عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره وهي على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم
نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال عليه السلام ان القران صعب مستصعب
على من كرهه وهو الحكم واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه
هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله وقال لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله ويدل على ان هذا شيء
خص به انه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني انه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل
له مم بكيت قال للشجى والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم من اسلم
لها لاول وهلة وامن به ومنهم من كفر فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
في المغرب يقرأ بالطور فلما بلغ هذه الاية ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الى قوله المصيطرون كاد قلبي ان يطير
وفي رواية وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي وعن عتبة بن ربيعة انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف
قومه فتلا عليهم حم فصلت الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة بيده على فم النبي صلى الله عليه وسلم وناشده
الرحم ان يكف وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى انتهى
الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه
فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت اذناي بمثله قط فما دريت ما اقول له وقد حكي
عن غير واحد ممن رام معارضته انه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك
ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل يا ارض ابلعي ماءك فرجع ومحا ما عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض
وما هو من كلام البشر وكان من افصح اهل وقته وكان يحيى بن حكم الغزال البليغ الاندلسي في زمنه فحكي انه رام
شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني خشية و
رقة حملتني على التوبة والانابة فصل ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه آية باقية لا يعدم
ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وسائر معجزات الانبياء انقضت بانقضاء اوقاتها
فلم يبق الا خبرها والقران العزيز الباهرة اياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة
عام وخمس وثلثين سنة لاول نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة والاعصار
كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان وائمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة
والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد فما منهم من اتى بشيء يؤثر في معارضته ولا الف كلمتين
في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح

بل المأثور عن كل من رام ذلك الفاوه في الجزبيره والنكوص على عقبيه فضل وقد عد جماعة من الائمة ومقلدي الامة في اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته تزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويونس بتلاوته في الازمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القران بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم يعهد العرب عامة ولا محمد قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها احد من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم ببراهين قوية وادلة بينة سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد ان ينصبوا ادلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقل يحييها الذي انشاها اول مرة ولو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا الى ما حواه من علوم السير وانباء الامم والمواعظ والحكم واخبار الدار الاخرة ومحاسن الاداب والشيم قال الله عز وجل ما فرطنا في الكتاب من شيء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل وقال عليه السلام ان الله انزل هذا القران امرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به اقسط ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشافي النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان فيه نبأ الاولين والاخرين وفي الحديث قال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم اني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب عليكم بالقران فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال تعالى ان هذا القران

يقص على بني

يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقال هذا بيان للناس وهدى للمتقين فجمع فيه مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه اضعاف ما في الكتب قبله التي الفاظها على الضعف منه مرات ومنها ما جمع فيه بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج بنظم القران وحسن وصفه وايجازه وبلاغته واثناء هذه البلاغة امره ونهيه ووعده ووعيده فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة ومنها ان جعله في حيز المنظوم اسهل على النفوس واوعى للقلوب واسمع في الاذان واحلى على الافهام فالناس اليه اميل والاهواء اليه اسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه قال الله ولقد يسرنا القران للذكر وسائر الامم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجم الغفير على مرور السنين عليهم والقران ميسر حفظه للغلمان في اقرب مدة ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا وحسن ائتلاف انواعها والتئام اقسامها وحسن التخلص من قصة الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة على امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتفريد وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت الفاظه فتامل اول ص وما جمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما اتى به والخبر عن اجماع ملائهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والاخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء بمثل مصابهم وتصبير النبي على اذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصص الانبياء كل هذا في اوجز كلام واحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز القران الى وجوه كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها اكثرها داخل في باب بلاغته فلا يجب ان يعد فنا منفردا في اعجازه الا في باب تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله لا اعجازه وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القران وعجائبه التي لا تنقضي والله اعلم

فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن اياته واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه حدثنا القاضي سراج بن عبد الله حدثنا الاصيلي حدثنا المروزي حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا مسدد

حدثنا يحيى عن شعبة وسفين عن الاعمش عن ابرهيم عن ابي معمر عن ابن مسعود قال انشق القمر على
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق الاعمش
بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود وقال حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر ورواه عنه مسروق انه
كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحركم
فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها فاسئلوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فاتوا
فسئلوهم فاخبروهم انهم رأوا مثل ذلك وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال ابو جهل
هذا سحر فابعثوا الى اهل الافاق حتى تنظروا أرأوا ذلك ام لا فاخبر اهل الافاق انهم رأوه
منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء اربعة
عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة
وعلي وجبير بن مطعم فقال علي من رواية ابي حذيفة الارحبي انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله
وعن انس سأل اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فاراهم انشقاق القمر حتى رأوا حرا
بينهما رواه عن انس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت
اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه
عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن
السلمي ومسلم بن ابي عمران الازدي واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة والآية مصرحة ولا يلتفت
الى اعتراض مخذول بانه لو كان هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا
عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم
لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل الارض فقد يطلع على قوم
قبل ان يطلع على آخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم من اقطار الارض او يحول بين
قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية
وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم وآية القمر كانت
ليلا والعادة من الناس بالليل الهدو والسكون وايجاف الابواب وقطع التصرف ولا يكاد
يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا
في البلاد واكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من انوار ونجوم
طوالع عظام تظهر في الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند احد منها وخرج الطحاوي في مشكل
الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه ورأسه

ان كان موسى سقى الاسباط من حجر
فان في الكف معنى ليس في الحجر

في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك
وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقفت
على الجبال والارض وذلك بالصهباء في خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات
وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء
لانه من علامات النبوة وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي في روايته عن ابن اسحق لما اسري
برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم
الاربعاء فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس فصل في نبع الماء من بين اصابعه
وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم. اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا روى حديث
نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود
حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه حدثنا القاضي عيسى بن سهل حدثنا ابو القسم حاتم
بن محمد حدثنا ابو عمر بن الفخار حدثنا ابو عيسى حدثنا يحيى حدثنا ملك عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس
بن ملك رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء
فلم يجدوه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضؤا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ
الناس حتى توضؤا من عند آخرهم ورواه ايضا عن انس قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه او
لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلثمائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه
ايضا حميد وثابت والحسن عن انس وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين
ونحوه عن ثابت عنه وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود ففي الصحيح
عنه من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فاتي بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين
اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر عطش الناس
يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها واقبل الناس
نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا في ركوتك فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في الركوة
فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا
مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروي مثله عن انس عن جابر وفيه انه كان بالحديبية
وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر

اصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

غزوة بواط قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه
لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب فأتي بها النبي فغمزه وتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة
الركب فأتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق
اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله قال فرأيت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة
واستدارت حتى امتلأت وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة
فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى وعن الشعبي اتي النبي في بعض اسفاره
باداوة ماء وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبها في ركوة ووضع اصبعه وسطها فجعل
يجيئون ويتوضؤون ثم يقومون قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا في
هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا اسرع
شيء الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل
فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير ولم ينكر احد من الناس عليهم ما
حدثوا به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له

فصل

ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته وابتعاثه بمسه ودعوته فيما رواه مالك في الموطأ
عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك
فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه
واعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث ابن اسحق فانخرق من الماء ما له حس
كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما هاهنا قد ملئ جنانا وفي
حديث البراء وسلمة بن الاكوع وحديثه اتم في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها
لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها
قال البراء واتي بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا
انفسهم وركابهم وفي غير هذين الروايتين في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية فاخرج
سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروي الناس حتى ضربوا بعطن وعن ابي قتادة
وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض اسفاره فدعا بالميضأة
فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فالله اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا وملئوا كل اناء
معهم فخيل الي انها كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروي مثله عمران بن حصين
وذكر الطبري حديث ابي قتادة على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم
خرج بهم ممدا لاهل مؤتة عندما بلغه قتل الامراء وذكر حديثا طويلا فيه معجزات

وآيات للنبي عليه السلام وفيه اعلامهم انهم يفقدون الماء في غد وذكر حديث الميضأة قال
القوم زهاء ثلثمائة وفي كتاب مسلم انه قال لابي قتادة احفظ علي ميضأتك فانه سيكون
لها نبأ وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين اصاب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
عطش في بعض اسفارهم فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما انهما يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير عليه
مزادتان الحديث فوجداها واتيا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في اناء من مزادتيها وقال فيه
ما شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وامر الناس فملئوا اسقيتهم حتى لم يدعوا
شيئا الا ملئوه قال عمران ويخيل الي انهما لم تزدادا الا امتلاء ثم امر فجمع للمرأة من الازواد حتى ملأ ثوبها
وقال اذهبي فانا لم نأخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن الاكوع قال
نبي الله صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة فافرغها في قدح فتوضأنا كلنا
ندغفقه دغفقة اربع عشرة مائة وفي حديث عمر في جيش العسرة وذكر ما اصابهم من العطش حتى ان
الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه
فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملئوا ما معهم من آنية ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن شعيب
ان ابا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي
صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب والحديث في هذا الباب كثير ومنه
الاجابة بدعاء الاستسقاء .

فصل ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه

حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله حدثنا العذري حدثنا الرازي حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفين حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا
سلمة بن شبيب حدثنا الحسن بن اعين حدثنا معقل عن ابي الزبير عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره
فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث ابي طلحة المشهور واطعامه صلى الله عليه وسلم
ثمانين او سبعين رجلا من اقراص شعير جاء بها انس تحت يده اي ابطه فامر بها ففتت وقال فيها
ما شاء الله ان يقول وحديث جابر في اطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق الف رجل من صاع شعير
وعناق قال جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان
عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك رواه عن
عن جابر سعيد بن ميناء وايمن وعن ثابت مثله عن رجل من الانصار وامرأته ولم يسمه قال
وجيء بمثل الكف فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها في الاناء ويقول ما شاء الله
فاكل منه من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلأ ممن قدم معه
عليه السلام لذلك وبقي بعدما شبعوا مثل ما كان في الاناء وحديث ابي ايوب انه

صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ادع ثلاثين من أشراف الأنصار فدعاهم فأكلوا حتى تركوه ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال
ادع سبعين فأكلوا حتى تركوا وما خرج منهم أحد حتى أسلم وبايع قال أبو أيوب فأكل من طعامي
مائة وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب أتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة
حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
ثلاثين ومائة وذكر في الحديث أنه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوي سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين
فأكلنا أجمعون وفضل في القصعتين فحملته على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة
الأنصاري عن أبيه ومثله لسلمة بن الأكوع وأبي هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا مخمصة أصابت
الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الأزواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام
وفوق ذلك وأعلاهم الذي أتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز
ثم دعا الناس بأوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء إلا ملؤوه وبقي منه وعن أبي هريرة أمرني النبي صلى الله عليه وسلم
أن أدعو له أهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا صحفة فأكلنا ما شئنا وفرغنا وهي
مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع وعن علي بن أبي طالب جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بني عبد المطلب وكانوا أربعين منهم قوم يأكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من
طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كأنه لم يشرب وقال
أنس إن النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب أمره أن يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت
حتى امتلأ البيت والحجرة وقدم إليهم تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس
ثلاث أصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور نحو مما كان وكان القوم أحدا
أو اثنين وسبعين وفي رواية أخرى في هذه القصة أو مثلها أن القوم كانوا زهاء
ثلاثمائة وأنهم أكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا أدري حين وضعت كانت أكثر أم حين
رفعت وفي حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن علي أن فاطمة طبخت قدرا لغدائهما
ووجهت عليا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما فأمرها فغرفت منها لجميع نسائه
صحفة صحفة ثم له عليه السلام ولعلي ثم لها ثم رفعت القدر وإنها لتفيض قالت فأكلنا
منها ما شاء الله وأمر عمر بن الخطاب أن يزود أربعمائة راكب من أحمس فقال يا رسول الله
ما هي إلا أصوع قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر
وبقي بحاله من رواية دكين الأحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن
الخبر بعينه إلا أنه قال أربعمائة راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر في دين أبيه

موته وقد كان بذل لغرماء أبيه أصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنين كفاف دينهم فجاءه
النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أمره بجدها وجعلها بيادر في أصولها فمشى فيها ودعا فأوفى منه جابر غرماء
أبيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما أعطاهم قال وكان الغرماء يهود فعجبوا
من ذلك وقال أبو هريرة أصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء
قلت نعم شيء من التمر في المزود قال فأتني به فأدخل يده صلى الله عليه وسلم فأخرج قبضة فبسطها
ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فأكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى أطعم الجيش كلهم
وشبعوا وقال خذ ما جئت به وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على أكثر مما جئت
به فأكلت منه وأطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر إلى أن قتل عثمان
فانتهب مني فذهب وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل
الله وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وأن التمر كان بضع عشرة تمرة
ومنه أيضا حديث أبي هريرة حين أصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح
قد أهدي إليه وأمره أن يدعو أهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت أحق أن أصيب
شربة أتقوى بها فدعوتهم وذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم له أن يسقيهم فجعلت أعطي الرجل فيشرب
حتى يروى ثم يأخذه الآخر حتى روي جميعهم قال فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت
أنا وأنت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما زال يقولها وأشرب حتى قلت لا والذي
بعثك بالحق ما أجد له مسلكا فأخذ القدح وحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفي حديث
خالد بن عبد العزى أنه أجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا
تبد عياله عظما عظما وأن النبي صلى الله عليه وسلم أكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو
خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فأكلوا وأفضلوا ذكره الدولابي ومن حديث
الأجري في إنكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بلالا بقصعة من أربعة
أمداد أو خمسة ويذبح جزور لوليمتها قال فأتيته بذلك فطعن في رأسها ثم أدخل الناس
رفقة رفقة يأكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وأمر بحملها إلى أزواجه
وقال كلن وأطعمن من غشيكن وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة في الصحيح
وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم أضعافهم
من التابعين ثم من لا يعد بعدهم وأكثرها في قصص مشهورة لا يمكن التحدث عنها
إلا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما أنكر منها **فصل في كلام الشجر وشهادتها**
له بالنبوة وإجابتها دعوته حدثنا أحمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما أجازنيه

عن أبي عمر الطلمنكي عن أبي بكر بن المهندس عن أبي القاسم البغوي حدثنا أحمد بن عمران الأخنسي حدثنا أبو حيان
التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه أعرابي
فقال يا أعرابي أين تريد قال إلى أهلي قال هل لك إلى خير قال وما هو قال تشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي
بشاطئ الوادي فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت أنه كما قال ثم رجعت
إلى مكانها وعن بريدة سأل أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الأرض
تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله
قال الأعرابي مرها فلترجع إلى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك الموضع فاستوت فقال الأعرابي ائذن
لي أسجد لك قال لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها قال فأذن لي
أقبل يديك ورجليك فأذن له وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فإذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادي علي بإذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش
الذي يصانع قائده وذكر أنه فعل بالأخرى مثل ذلك حتى إذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي
بإذن الله فالتأمتا وفي رواية أخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحقي بصاحبتك حتى أجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت أحضر
وجلست أحدث نفسي فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت
كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا
وروى أسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل يعني مكانا لحاجة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إن الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل أو حجارة قلت
أرى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركن أن تأتين لمخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رأيت
النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته
قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى عدن إلى مواضعهن
وقال يعلى بن سيابة كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من هذين
الحديثين وذكر فأمر وديتين فانضمتا وفي رواية أشاءتين وعن غيلان بن سلمة
الثقفي مثله في شجرتين وعن ابن مسعود عن النبي عليه السلام مثله في غزاة حنين وعن

يعلى بن مرة

وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة أيضا وذكر أشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أن طلحة
أو سمرة جاءت فأطافت به ثم رجعت إلى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها استأذنت أن
تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود آذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن
مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث أن الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي
يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل هذا الحديث الأول أو نحوه قال القاضي أبو الفضل
رضي الله عنه فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة وأسامة بن زيد و
أنس بن مالك وعلي بن أبي طالب وابن عباس وغيرهم قد اتفقوا على هذه القصة
نفسها أو معناها ورواها عنهم من التابعين أضعافهم فصارت في انتشارها
من القوة حيث هي وذكر ابن فورك أنه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف
ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت
على ساقين إلى وقتنا وهي هناك معروفة معظمة ومن ذلك حديث أنس أن جبريل عليه السلام
قال للنبي صلى الله عليه وسلم ورآه حزينا أتحب أن أريك آية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين
يديه قال مرها فلترجع فعادت إلى مكانها وعن علي نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل
قال اللهم أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله
وحزنه صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم لا له وذكر ابن إسحق
أن النبي صلى الله عليه وسلم أرى ركانة مثل هذه الآية في شجرة دعاها فأتت
حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن أنه عليه السلام
شكا إلى ربه من قومه وأنهم يخوفونه وسأله آية يعلم بها أن
لا مخافة عليه فأوحى الله إليه أن ائت وادي كذا فيه شجرة فادع
غصنا منها يأتك ففعل فجاء يخط الأرض خطا حتى انتصب
بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال
يا رب علمت أن لا مخافة علي ونحو منه عن عمر وقال فيه أرني آية لا أبالي
من كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم
قال لأعرابي أرأيت إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد
أني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى أتاه فقال ارجع فعاد إلى
مكانه وخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح فصل

في حنين الجذع وبعضد هذه الأخبار حديث أنين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر
والخبر به متواتر خرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم أبي بن كعب وجابر
ابن عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وأبو
سعيد الخدري وبريدة وأم سلمة والمطلب بن أبي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث
قال الترمذي وحديث أنس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل
فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر
سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية أنس حتى ارتج المسجد بخواره
وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا به وفي رواية المطلب وأبي حتى تصدع وانشق
حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا
بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيمة
تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر
كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد وإسحق عن أنس وفي بعض الروايات عن
سهل فدفنت تحت منبره أو جعلت في السقف وفي حديث أبي فكان إذا صلى النبي
صلى إليه فلما هدم المسجد أخذه أبي فكان عنده إلى أن أكلته الأرض وعاد
رفاتا وذكر الإسفرايني أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه إلى نفسه فجاءه يخرق الأرض
فالتزمه ثم أمره فعاد إلى مكانه وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم
إن شئت أردك إلى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل
خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله
من ثمرك ثم أصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة
فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء
فكان الحسن إذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم شوقا إليه لمكانه فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه
رواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبد الله بن حفص وأيمن وأبو
نضرة وابن المسيب وسعيد بن أبي كرب وكريب وأبو صالح
ورواه عن أنس بن مالك الحسن وثابت وإسحق بن أبي طلحة ورواه
عن ابن عمر نافع وأبو حية ورواه أبو نضرة وأبو الوداك عن أبي سعيد

وعمار بن

وعمار بن أبي عمار عن ابن عباس وأبو حازم وعباس بن سهل بن سعد
عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن أبيه
والطفيل بن أبي عن أبيه قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه فهذا حديث كما تراه
خرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم
إلى من لم نذكره وبمن دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب
والله المثبت على الصواب **فصل** ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا القاضي
أبو عبد الله ~~ابن المرابط حدثنا المهلب أبو القسم حدثنا~~ محمد بن عيسى التيمي حدثنا القاضي أبو عبد الله
ابن المرابط حدثنا المهلب أبو القسم حدثنا أبو الحسن القابسي حدثنا المروزي حدثنا الفربري
حدثنا البخاري حدثنا محمد بن المثنى حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا إسرائيل عن منصور
عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل
وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن
نسمع تسبيحه وقال أنس أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصا فسبحن في كف
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن ثم في
أيدينا فما سبحن وروى مثله أبو ذر وذكر أنهن سبحن في كف عمر وعثمان
وقال علي كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إلى بعض نواحيها فما استقبله
ولا جبل إلا قال له السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة عنه عليه السلام إني
لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل إنه الحجر الأسود وعن عائشة لما استقبلني
جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله
لم يكن صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له وفي حديث العباس إذ اشتمل عليه النبي وعلى
بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره إياهم بملاءته فأمنت أسكفة الباب
وحوائط البيت آمين آمين وعن جعفر بن محمد عن أبيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل بطبق
فيه رمان وعنب فأكل منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح وعن أنس صعد النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر
وعمر وعثمان أحدا فرجف بهم فقال اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان ومثله
عن أبي هريرة في حراء وزاد معه علي وطلحة والزبير وقال فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد
والخبر في حراء أيضا عن عثمان قال ومعه عشرة من أصحابه أنا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا
قال ونسيت الاثنين وفي حديث سعيد بن زيد أيضا مثله وذكر عشرة وزاد بنفسه
وقد روي أنه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فإني أخاف أن يقتلوك

على ظهري

عن ظهري فبعد نبي الله فقال جزاه الى رسول الله وروى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قرأ على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الجبار انا
الكبير المتعالي فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس كان حول البيت ستون
وثلثمائة صنم مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد
عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل الآية
فما اشار لوجه صنم الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله
في حديث ابن مسعود فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد
ومن ذلك قصته مع الراهب في ابتداء امره اذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج
الى احد فخرج وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد
العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش ما علمك فقال انه لم يبق شجر ولا حجر
الا خر ساجدا له ولا تسجد الا لنبي وذكر القصة ثم قال واقبل صلى الله عليه وسلم
وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة اليه

فصل في الآيات في ضروب الحيوانات • حدثنا سراج ابن عبد الملك ابو الحسين
الحافظ حدثنا ابي حدثنا القاضي يونس حدثنا ابو الفضل الثقفي حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت
عن ابيه وجده قالا حدثنا ابو العلاء احمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل حدثنا يونس بن عمرو حدثنا مجاهد عن عائشة
قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت
مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب وروي
عن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد
ضبا فقال ما هذا قالوا نبي الله فقال واللات والعزى لا آمنت بك او يؤمن
هذا الضب وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي عليه السلام يا ضب فاجابه
بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال من تعبد
قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته
وفي النار عقابه قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك
وخاب من كذبك فاسلم الاعرابي ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن ابي
سعيد الخدري بينا راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها فاخذها الراعي منه
فاقعى الذئب وقال للراعي الا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال الراعي العجب
من ذئب يتكلم بكلام الانس فقال الذئب الا اخبرك باعجب من ذلك

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يحدث الناس بانباء ما قد سبق فاتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم
فاخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث فيه قصة وفي بعضه طول وروى
حديث الذئب عن ابي هريرة وفي بعض الطرق عن ابي هريرة فقال الذئب انت اعجب واقفا
على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط نبيا اعظم منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة
واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال
الراعي من لي بغنمي قال الذئب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه
ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها
كذلك وذبح للذئب شاة منها وعن اهبان بن اوس وانه كان صاحب القصة والمحدث بها ومكلم الذئب
وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه كان صاحب القصة ايضا وسبب اسلامه بمثل حديث ابي سعيد وقد
روى ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية مع ذئب وجداه اخذ ظبيا
فدخل الظبي الحرم وانصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة
يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا
بمكة لتتركنها خلوفا وقد روي مثل هذا الخبر وانه جرى لابي جهل واصحابه وعن ابن عباس بن
مرداس لما تعجب من كلام ضمار صنمه وانشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم فاذا
طائر سقط فقال يا عباس اتعجب من ضمار ولا تعجب من نفسك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعو الى الاسلام وانت جالس فكان سبب اسلامه وعن جابر بن عبد الله عن رجل اتى
النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول
الله كيف بالغنم قال احصب وجوهها فان الله سيؤدي عنك امانتك ويردها الى اهلها
ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها وعن انس دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا للانصار
وابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفي الحائط غنم فسجدت له فقال ابو بكر نحن احق بالسجود
لك منها الحديث وعن ابي هريرة دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر مثله ومثله
في الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل
احد الحائط الا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره في الارض و
برك بين يديه فخطمه وقال ما بين السماء والارض شيء الا يعلم اني رسول الله الا عاصي الجن
والانس ومثله عن عبد الله بن ابي اوفى وفي خبر آخر في حديث الجمل ان النبي صلى الله عليه وسلم
سألهم عن شأنه فاخبروه انهم ارادوا ذبحه وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه شكى كثرة
العمل وقلة العلف وفي رواية انه شكى الي انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه في شاق العمل من

صغيرة فقالوا نعم وقد روي في قصة العضباء وكلامها للنبي صلى الله عليه وسلم وتعريفها له بنفسها
ومبادرة العشب إليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها ونداءهم لها إنك لمحمد وأنها لم تأكل ولم تشرب
بعد موته حتى ماتت ذكره الإسفرايني وروى ابن وهب أن حمام مكة أظلت النبي صلى الله عليه وسلم
يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروي عن أنس وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة أن النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة الغار أمر الله شجرة فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وأمر حمامتين فوقفتا بفم الغار
وفي حديث آخر وأن العنكبوت نسجت على بابه فلما أتى الطالبون له ورأوا ذلك قالوا لو كان
فيه أحد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قرب
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات خمس أو ست أو سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن إليه بأيتهن
يبدأ وعن أم سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني
هذا الأعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع قال وتفعلين
قالت نعم فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها فانتبه الأعرابي وقال يا رسول الله ألك حاجة
قال تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول أشهد أن لا إله إلا الله
وأنك رسول الله ومن هذا الباب ما روي عن تسخير الأسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي رواية أخرى عنه أن سفينة
تكسرت به فخرج إلى جزيرة فإذا الأسد فقلت أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني
بمنكبه حتى أقامني على الطريق وأخذ عليه السلام بأذن شاة لقوم من عبد القيس بين إصبعيه
ثم خلاها فصار لها ميسما وبقي ذلك الأثر فيها وفي نسلها بعد وما روي عن إبراهيم بن حماد بسنده
من كلام الحمار الذي أصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعفورا وأنه كان يوجهه إلى دور أصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم وأن النبي صلى الله عليه وسلم
لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم
لصاحبها أنه ما سرقها وأنها ملكه وفي العنز التي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره
وقد أصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلثمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأروى الجند ثم قال لرافع املكها وما أراك فربطها فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع
وغيره وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الذي جاء بها هو الذي ذهب بها وقال
لفرسه عليه السلام وقد قام إلى الصلاة في بعض أسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا
وجعله قبلته فما حرك عضوا حتى صلى صلى الله عليه وسلم ويلتحق بهذا ما رواه الواقدي أن النبي صلى الله عليه وسلم
لما وجه رسله للملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد فأصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذي

بعثه اليهم

بعثه إليهم والحديث في هذا الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك وما وقع في كتب الأئمة

فصل في إحياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة

حدثنا أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي أبو الوليد محمد بن رشد والقاضي
أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا وإذنا قالوا حدثنا أبو علي الحافظ قال حدثنا
أبو عمر الحافظ حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن يحيى حدثنا أحمد بن سعيد حدثنا ابن الأعرابي حدثنا وهب بن بقية
عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن يهودية أهدت للنبي صلى الله عليه وسلم
بخيبر شاة مصلية سمتها فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأكل القوم فقال ارفعوا أيديكم
فإنها أخبرتني أنها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت إن
كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وإن كنت ملكا أرحت الناس منك قال فأمر بها
فقتلت وقد روى هذا الحديث أنس وفيه قالت أردت قتلك فقال ما كان الله
ليسلطك على فقالوا ألا نقتلها قال لا وكذلك عن أبي هريرة من رواية غير وهب
قال فما عرض لها ورواه أيضا جابر بن عبد الله وفيه أخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها
وفي رواية الحسن أن فخذها تكلمني أنها مسمومة وفي رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن فقالت
إني مسمومة وكذلك ذكر الخبر ابن إسحق وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث الآخر
عن أنس أنه قال فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث
أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي مات فيه ما زالت أكلة
خيبر تعاودني فالآن أوان قطعت أبهري وحكى ابن إسحق إن كان المسلمون ليرون
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله تعالى به من النبوة وقال ابن سحنون
أجمع أهل الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات
في ذلك عن أبي هريرة وأنس وجابر وفي رواية ابن عباس أنه دفعها لأولياء بشر بن البراء فقتلوها وكذلك
اختلف في قتله للذي سحره قال الواقدي وعفوه عنه أثبت عندنا وروي عنه أنه قتله وروى الحديث البزار
عن أبي سعيد فذكر مثله إلا أنه قال في آخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله فأكلنا وذكرنا اسم الله
فلم يضر أحدا منا قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه وقد خرج حديث الشاة المسمومة أهل الصحيح وخرجه الأئمة
وهو حديث مشهور واختلف أئمة أهل النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى
في الشاة الميتة أو الحجر أو الشجر وحروف وأصوات يحدثها الله فيها ويسمعها منها دون تغيير أشكالها
ونقلها عن هيئتها وهو مذهب الشيخ أبي الحسن والقاضي أبي بكر رحمهما الله وآخرون ذهبوا إلى إيجاد
الحياة بها أولا ثم الكلام بعده وحكي هذا أيضا عن شيخنا أبي الحسن وكل محتمل والله أعلم

اذا لم تجعل الحيوة شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحيوة بمجردها فاما النفس اذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحيوة لها اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي خلافا للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق في احالته وجود الكلام اللفظي والحروف والاصوات الا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات والتزم ذلك في الحصى والجذع والذراع وقال ان الله تعالى خلق فيها حياة وخرق لها فما ولسانا والة امكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به اكد من التهمم بنقل تسبيحه او حنينه ولم ينقل احد من اهل السير والرواية شيئا من ذلك فدل على سقوط دعواه مع انه لا ضرورة اليه في النظر والموفق الله وروى وكيع رفعه عن فهد بن عطية ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من انا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي عن معرض ابن معيقيب رايت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه وفيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع وعن الحسن اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر انه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق معه الى الوادي فناداها باسمها يا فلانة اجيبي باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما قالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما وعن انس ان شابا من الانصار توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة فما برحنا ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروي عن عبد الله بن عبيد الله الانصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير ان زيد بن خارجة خر ميتا في بعض ازقة المدينة فرفع وسجي اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا انصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي خاتم النبيين كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان

فصل في ابراء المرضى وذوي العاهات

اخبرنا ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجازنيه وقرأته على غيره قال حدثنا ابو اسحق الحبال قال حدثنا ابو محمد النحاس

ابن الورد

ثنا ابن الورد عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن اسحق ثنا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقضية احد بطولها قال وقالوا وقال سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني النبل ويقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت واصيبت يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت احسن عينيه وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن قتادة ورواها ابو سعيد الخدري عن قتادة وبصق على اثر سهم في وجه ابي قتادة في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح وروى النسائي عن عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف لي عن بصري فقال له فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك ان تكشف عن بصري اللهم شفعه في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروي ان ابن ملاعب الاسنة اصابه استسقاء فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى ان قد هزئ به فاتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال فويك ان اباه ابيضت عيناه وكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فابصر فرأيته يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين ورمي كلثوم ابن الحصين يوم احد في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرأ وتفل على شجة عبد الله ابن انيس فلم تمد وتفل في عيني علي يوم خيبر وكان رمدا فاصبح بارئا ونفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرئت وفي رجل زيد بن معاذ حين اصابها السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرئت وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق اذ انكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن ابي طالب فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه او عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت رواه ابن وهب ومن روايته ايضا ان خبيب بن يساف اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح واتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فاتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياه وامرها بسقيه ومسه به فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس وعن ابن عباس جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفي وانكفأت القدر على ذراع محمد بن

الخاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرئ لحينه وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة
تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها
ولم يبق لها أثر وسألته جارية طعاما وهو يأكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء
فقالت إنما أريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسأل شيئا فيمنعه فلما استقر في
جوفها ألقي عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها

فصل في

إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم وهذا باب واسع جدا وإجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم
لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث حذيفة كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولده وولد ولده حدثنا أبو محمد العتابي
بقراءتي عليه حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن القابسي حدثنا أبو زيد المروزي حدثنا
محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا عبد الله بن أبي الأسود حدثنا حرمي حدثنا شعبة عن
قتادة عن أنس قال قالت أمي يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له قال اللهم أكثر ماله و
ولده وبارك له فيما آتيته ومن رواية عكرمة قال أنس فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد
ولدي ليتعادون اليوم على نحو المائة وفي رواية وما أعلم أحدا أصاب من رخاء العيش ما أصبت
ولقد دفنت بيدي هاتين مائة لا أقول سقطا ولا ولد ولد ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة
قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت أن أصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب
من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الأيدي وأخذت كل زوجة ثمانين ألفا وكن أربعا وقيل
مائة ألف وقيل بل صولحت إحداهن لأنه طلقها في مرضه على نيف وثمانين ألفا وأوصى بخمسين
ألفا بعد صلاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة أعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة
بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها وأحلاسها
ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد ولسعد بن أبي وقاص أن يجيب الله دعوته فما
دعا على أحد إلا استجيب له ودعا بعز الإسلام بعمر أو بأبي جهل فاستجيب لعمر قال ابن
مسعود ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر وأصاب الناس في بعض مغازيه عطش فسأله
الدعاء فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم أقلعت ودعا في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا
إليه المطر فدعا فصحوا وقال لأبي قتادة أفلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره
فمات وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة وقال للنابغة لا يفضض الله
فاك فما سقطت له سن وفي رواية فكان أحسن الناس ثغرا إذا سقطت له
سن نبتت له أخرى وعاش عشرين ومائة سنة وقيل أكثر من هذا ودعا لابن

وقال للنابغة

اسمه قيس بن عبد الله مأخوذ من نبغ في الشعر إذا قاله وأجاد فيه الشعر سمي بذلك
لأنه قال الشعر في الجاهلية ثم تركه ثلاثين سنة لم ينبغ فيها والتاء للمبالغة قال يعلى بن الأشدق

عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فسمي بعد الحبر وترجمان القرآن
ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا إلا ربح فيه ودعا
للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من المال ودعا بمثله لعروة بن أبي الجعد فقال فلقد
كنت أقوم بالكناسة فما أرجع حتى أربح أربعين ألفا وقال البخاري في حديثه فكان
لو اشترى التراب ربح فيه وروي مثل هذا لغرقدة أيضا وندت له ناقة فدعا فجاءه بها إعصار
ريح حتى ردها عليه ودعا لأم أبي هريرة فأسلمت ودعا لعلي أن يكفى الحر والقر فكان
يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد ودعا لفاطمة
ابنته ألا يجيعها الله قالت فما جعت بعد وسأله الطفيل بن عمرو آية لقومه فقال اللهم
نور له فسطع له نور بين عينيه فقال يا رب أخاف أن يقولوا مثلة فتحول إلى طرف
سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعا على مضر فأقحطوا حتى استعطفته
قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى حين مزق كتابه أن يمزق ملكه فلم يبق له باقية
ولا بقيت لفارس رياسة في أقطار الدنيا ودعا على صبي قطع عليه الصلاة أن
يقطع الله أثره فأقعد وقال لرجل رآه يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا أستطيع فقال
لا استطعت فلم يرفعها إلى فيه وقال لعتبة بن أبي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
فأكله الأسد وقال لامرأة أكلك الأسد فأكلها وحديثه المشهور من رواية
عبد الله بن مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد
مع الفرث والدم وسماهم قال فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر ودعا على الحكم بن أبي
العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ رآه فقال كذلك كن
فلم يزل يختلج إلى أن مات ودعا على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الأرض ثم ووري
فلفظته مرات فألقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة الصد جانب الوادي وجحده
رجل بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم فرد الفرس بعد النبي على
الرجل وقال اللهم إن كان كاذبا فلا تبارك له فيها فأصبحت شاصية برجلها أي رافعة
وهذا الباب أكثر من أن يحاط به .

فصل في كراماته وبركاته

وانقلاب الأعيان له فيما لمسه أو باشره . أخبرنا أحمد بن محمد حدثنا أبو ذر الهروي وحدثنا
القاضي أبو علي سماعا والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا أخبرنا أبو الوليد
القاضي حدثنا أبو ذر حدثنا أبو محمد وأبو إسحاق وأبو الهيثم حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا
يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك أن أهل المدينة فزعوا مرة فركب

رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يعطف او به قطاف وقال غيره يبطا فلما
رجع قال وجدنا فرسك بحرا فكان بعد لا يجارى ونحن جمل جابر وكان قد اعيا فنشط كان
ما يملك زمامه وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الا شجعي خفقها بمخفقة معه وبرك عليها
فلم يملك رأسها نشاطا وباع من بطنها باثني عشر الفا وركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة
فرده هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد
بها قتالا الا رزق النصر وفي الصحيح عن اسماء بنت ابي بكر انها اخرجت جبة طيالسة وقالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها وحدثنا القاضي
ابو علي عن شيخه ابي القسم ابن المأمون قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم
فكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها واخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان
ليكسره على ركبته فصاح الناس به فاخذته فيها الأكلة فقطعها ومات قبل الحول
وسكب من فضل وضوءه في بئر قبا فما نزفت بعد وبزق في بئر كانت في دار انس
فلم يكن بالمدينة اعذب منها ومر على ماء فسأل عنه فقيل اسمه بيسان وماؤه ملح فقال
بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب واتى بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار اطيب من المسك واعطى
الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان لام مالك عكة
تهدي للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فامرها النبي صلى الله عليه وسلم الا تعصرها ثم دفعها اليها
فاذا هي مملوة سمنا فياتيها بنوها يسئلونها الادم وليس عندهم شيء فتعمد اليها فتجد
فيها سمنا فكانت تقيم ادمها حتى عصرتها وكان يتفل في افواه الصبيان المراضيع فيجزيهم ريقه
الى الليل ومن ذلك بركة يده فيما لمسه وغرسه لسلمان حين كاتب مواليه على ثلثمائة وديّة
يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى اربعين اوقية من ذهب فقام عليه السلام وغرسها له بيده
الا واحدة غرسها غيره فاخذت كلها الا تلك الواحدة فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم وردها
فاخذت وفي كتاب البزار فاطعم النخل من عامه الا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد ان ادارها على لسانه
فوزن منها لمواليه اربعين اوقية وبقي عنده مثل ما اعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل
سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شرب اولها وشربت آخرها فما برحت
اجد شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت وبردها اذا ظمئت واعطى قتادة ابن النعمان
وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضيء لك من بين
يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه

الشيطان

قلنسوة لباس معروف يجمع على قلانس وقلاسي والتصغير قلينسة وقليسية

جبة طيالسة الاضافة من قبيل باب الساج والطيالسة جمع طيلسان وهو لباس مدور اسود

جهجاه حين جم الخوارج على قتل عثمان

الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج
ومن ذلك دفعه لعكاشة جذل حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد
في يده سيفا صارما طويل القامة ابيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به
المواقف الى ان استشهد في قتال اهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفع
لعبد الله بن جحش يوم احد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا ومنه
بركته في درور الشياه الحوائل باللبن الكثير كقصة شاة ام معبد واعنز معوية بن
ثور وشاة انس وغنم حليمة مرضعته وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها
فحل وشاة المقداد ومن ذلك تزويده اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم
الصلاة نزلوا فحلوه فاذا به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن سلمة ومسح على رأس
عمير بن سعد وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب وروي مثل هذه القصص عن
غير واحد منهم السائب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب
نسائه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيديه على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه
عائذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على رأس قيس
ابن زيد الجذامي ودعا له فهلك ابن مائة سنة ورأسه ابيض وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم
وما مرت يده عليه من شعره اسود فكان يدعى الاغر وروي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني
ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ووضع
يده على رأس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة
قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ونضح في وجه زينب
ابنة ام سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امرأة من الجمال ما بها ومسح على رأس صبي به عاهة
فبرئ واستوى شعره وروي مثله في خبر المطلب بن ابي وداعة وعلى غير واحد من الصبيان المرضى
والمجانين فبرؤا ~~وعن طاوس لم يوت النبي صلى الله عليه وسلم~~ واتاه رجل به ادرة فامره ان ينضحها
بماء من عس مج فيه ففعل فبرأ وعن طاوس لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم باحد به مس فصك في
صدره الا ذهب المس الجنون ومج في دلو من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك واخذ قبضة
من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون
القذى عن اعينهم وشكا اليه ابو هريرة النسيان فامره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم امره
بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد وما يروى عنه في هذا كثير وضرب صدر جرير بن عبد الله
ودعا له وكان ذكر انه لا يثبت على الخيل فصار من افرس العرب واثبتهم ومسح رأس

عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميما ودعا له بالبركة ففرع الرجال
طولا وتماما **فصل** ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون والاحاديث
في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع
الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب
حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري اجازة وقراءة على غيره قال ابو بكر حدثنا ابو علي
التستري حدثنا ابو عمر الهاشمي حدثنا اللؤلؤي حدثنا ابو داود حدثنا عثمن بن ابي شيبة حدثنا جرير
عن الاعمش عن ابي وائل عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك
شيئا يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه
اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يعرف الرجل وجه الرجل اذا غاب
عنه ثم اذا راه عرفه ثم قال حذيفة ما ادري انسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلث مائة فصاعدا الا قد سماه
لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر
جناحيه في السماء الا ذكرنا منه علما وقد خرج اهل الصحيح والائمة ما اعلم به اصحابه
صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن
والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن المراة من الحيرة الى مكة لا تخاف
الا الله وان المدينة ستغزى وتفتح خيبر على يدي علي في غد يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا
ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن
والاختلاف والاهواء وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلث وسبعين فرقة الناجية
منها واحدة وانها ستكون لهم انماط ويغدو احدهم في حلة ويروح في اخرى وتوضع
بين يديه صحفة وترفع اخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال آخر الحديث وانتم
اليوم خير منكم يومئذ وانتم اذا مشوا المطيطاء وخدمتهم بنات فارس والروم رد
الله باسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك والروم وذهاب كسرى
وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وقيصر حتى لا قيصر بعده وذكر
ان الروم ذات قرون الى آخر الدهر وبذهاب الامثل فالامثل من الناس
وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج وقال ويل للعرب
من شر قد اقترب وانه زويت له الارض فاري مشارقها ومغاربها وسيبلغ
ملك امته ما زوي له منها فكذلك كانت امتدت في المشارق والمغارب

ما بين ارض الهند اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه امة
من الامم ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك وقوله لا يزال اهل الغرب ظاهرين
على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني انهم العرب لانهم المختصون بالسقي بالغرب وهي
الدلو وغيره يذهب الى انهم اهل المغرب وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي
حديث آخر عن رواية ابي امامة لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم
حتى يأتيهم امر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس واخبر بملك بني
امية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ بني امية مال الله دولا وخروج ولد العباس بالرايات
السود وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم
وقتل علي وان اشقاها الذي يخضب هذه من هذه اي لحيته من رأسه وانه قسيم النار
يدخل اولياؤه الجنة واعداؤه النار فكان ممن عاداه الخوارج والناصبة والطائفة
ممن ينسب اليه من الروافض كفروه وقال يقتل عثمان وهو يقرأ المصحف وان الله
عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم
الله وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة الزبير لعلي وبنباح كلاب الحوأب على بعض
ازواجه وانه يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعد ما كادت فنبحت على عائشة عند خروجها
الى البصرة وان عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله اصحاب معاوية وقال لعبد الله بن الزبير
ويل للناس منك وويل لك من الناس وقال في قزمان وقد ابلى مع المسلمين انه من
اهل النار فقتل نفسه وقال في جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة
آخركم موتا في النار فكان بعضهم يسأل عن بعض فكان سمرة آخرهم موتا هرم وخرف
فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال في حنظلة الغسيل سلوا زوجته عنه فاني رأيت الملائكة
تغسله فسألوها فقالت انه خرج جنبا واعجله الحال عن الغسل قال ابو سعيد ووجدنا
رأسه يقطر ماء وقال الخلافة في قريش ولن يزال هذا الامر في قريش ما اقاموا الدين
وقال يكون في ثقيف كذاب ومبير فرأوهما الحجاج والمختار وبان مسيلمة يعقره الله و
ان فاطمة اول اهله لحوقا به وانذر بالردة وبان الخلافة بعده ثلثون سنة ثم تكون ملكا
فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي وقال ان هذا الامر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون
رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروتا وفسادا في الامة واخبر
بشان اويس القرني وبامراء يؤخرون الصلاة عن وقتها وسيكون في امته ثلثون
كذابا فيهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله وقال يوشك

أن يكثر فيكم العجم يأكلون فيئكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس
بعصاه رجل من قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي
بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون
وقال لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه وقال هلاك أمتي على يدي أغيلمة من قريش قال
أبو هريرة لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان وأخبر بظهور القدرية والرافضة وسب آخر هذه
الأمة أولها وقلة الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل أمرهم يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وأنهم
سيلقون بعده أثرة وأخبر بشأن الخوارج وصفتهم والمخدج الذي فيهم وأن سيماهم التحليق
وترى رعاء الغنم رؤس الناس والعراة الحفاة يتبارون في البنيان وأن تلد الأمة
ربتها وأن قريشا والأحزاب لا يغزونه أبدا وأنه هو يغزوهم وأخبر بالموتان الذي
يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى البصرة وأنهم يغزون في البحر كالملوك على الأسرة
وأن الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس وهاجت ريح في غزاته
فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا إلى المدينة وجدوا ذلك وقال لقوم من جلسائه
ضرس أحدكم في النار أعظم من أحد قال أبو هريرة فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت أنا ورجل
فقتل مرتدا يوم اليمامة وأعلم بالذي غل خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي
غل الشملة وحيث هي وناقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشأن كتاب
حاطب إلى أهل مكة وبقضية عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم
فلما جاء عمير إلى النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله وأطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمر
والسر أسلم وأخبر بالمال الذي تركه عمه العباس عند أم الفضل بعد أن كتمه فقال
ما علمه غيري وغيرها فأسلم وأعلم بأنه سيقتل أبي بن خلف وفي عتبة بن أبي لهب
أنه يأكله كلب الله فأكله السبع وعن مصارع أهل بدر فكان كما قال
وقال في الحسن إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين
ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون
وأخبر بقتل أهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر أو أزيد
وبموت النجاشي يوم مات وهو بأرضه وأخبر فيروز إذ ورد عليه
رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز
القصة أسلم وأخبر أبا ذر بتطريده كما كان ووجده في المسجد
نائما فقال له كيف بك إذا أخرجت منه قال أسكن

المسجد الحرام

المسجد الحرام قال فإذا أخرجت منه الحديث وبعيشه وحده وموته وحده وأخبر أن أسرع
أزواجه به لحوقا أطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة وأخبر بقتل الحسين
بالطف وأخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه وقال في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه
إلى الجنة فقطعت يده في الجهاد وقال في الذين كانوا معه على حراء اثبت فإنما عليك نبي وصديق
وشهيد فقتل عمر وعلي وعثمان وطلحة والزبير وطعن سعد وقال لسراقة كيف بك إذا لبست
سواري كسرى فلما أتي بهما عمر ألبسهما إياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة
وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة تجبى إليها خزائن الأرض يخسف
بها يعني بغداد وقال سيكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الأمة من فرعون
لقومه وقال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة وقال لعمر في سهيل بن عمرو
عسى أن يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام أبي بكر يوم بلغهم موت النبي
صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم وقال لخالد حين وجهه
لأكيدر إنك تجده يصيد البقر فوجدت هذه الأمور كلها في حياته وبعد موته كما قال
عليه السلام إلى ما أخبر به جلساءه من أسرارهم وبواطنهم واطلع عليه من أسرار المنافقين
وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى إن كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله
لو لم يكن عنده من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء وإعلامه بصفة السحر الذي سحره لبيد
ابن الأعصم وكونه في مشط ومشاقة في جف طلع نخلة ذكر وأنه ألقي في بئر ذروان
فكان كما قال ووجد على تلك الصفة وإعلامه قريشا بأكل الأرضة ما في صحيفتهم التي
تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وأنها أبقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال و
وصفه لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الإسراء ونعته إياه نعت من عرفه
وإعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه وإنذارهم بوقت وصولها فكان كله كما قال إلى
ما أخبر به من الحوادث التي تكون ولم تأت بعد منها ما ظهرت مقدماتها كقوله عمران
بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح قسطنطينية
ومن أشراط الساعة وآيات حلولها وذكر النشر والحشر وأخبار الأبرار
والفجار والجنة والنار وعرصات القيامة وبحسب هذا الفصل أن يكون ديوانا
مفردا يشتمل على أجزاء وحده وفيما أشرنا إليه من نكت الأحاديث التي
ذكرناها كفاية وأكثرها في الصحيح وعند الأئمة. فصل في عصمة
الله تعالى له من الناس وكفايته من آذاه قال الله تعالى والله يعصمك من

الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وقال تعالى أليس الله بكاف
عبده قيل بكاف محمدا أعداءه المشركين وقيل غير هذا وقال إنا كفيناك المستهزئين
وقال وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية أخبرنا القاضي الشهيد أبو علي الصدفي
قراءتي عليه والفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري قالا حدثنا أبو الحسين
الصيرفي قال حدثنا أبو يعلى البغدادي حدثنا أبو علي السنجي حدثنا أبو العباس المروزي حدثنا أبو عيسى
الحافظ حدثنا عبد بن حميد حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا الحرث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله
ابن شقيق عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية
والله يعصمك من الناس فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال
يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان
إذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة يقيل تحتها فأتاه أعرابي فاخترط سيفه ثم قال
من يمنعك مني فقال الله فرعدت يد الأعرابي وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى
سال دماغه فنزلت الآية وقد رويت هذه القصة في الصحيح وأن غورث بن الحرث صاحب
هذه القصة وأن النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع إلى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس
وقد حكيت مثل هذه الحكاية أنها جرت له يوم بدر وقد انفرد من أصحابه لقضاء
حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله وقد روي أنه وقع له مثلها
في غزوة غطفان بذي أمر مع رجل اسمه دعثور بن الحرث وأن الرجل أسلم فلما رجع
إلى قومه الذين أغروه وكان سيدهم وأشجعهم قالوا له أين ما كنت تقول وقد أمكنك
فقال إني نظرت إلى رجل أبيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط السيف
فعرفت أنه ملك وأسلمت قيل وفيه نزلت يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم
إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم الآية وفي رواية الخطابي
أن غورث بن الحرث المحاربي أراد أن يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به إلا وهو قائم
على رأسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه من زلخة
زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده والزلخة وجع الظهر وقيل في قصته غير هذا وذكر
فيه نزلت يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم الآية وقيل
كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الآية استلقى ثم قال
من شاء فليخذلني وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاه
وهي جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنما يطؤها كثيبا أهيل وذكر ابن

إسحق عنها

إسحق عنها لما بلغها نزول تبت يدا أبي لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم
أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه أبو بكر وفي يدها فهر من حجارة
فلما وقفت عليهما لم تر إلا أبا بكر وأخذ الله ببصرها عن نبيه عليه السلام فقالت يا أبا بكر أين
صاحبك فقد بلغني أنه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه وعن الحكم بن أبي
العاص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا أنه بقي بتهامة
أحد فوقعنا مغشيا علينا فما أفقنا حتى قضى صلاته ورجع إلى أهله ثم تواعدنا ليلة أخرى فجئنا
حتى إذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه وعن عمر تواعدت أنا وأبو جهم بن
حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فسمعنا له فافتتح وقرأ الحاقة ما الحاقة إلى
فهل ترى لهم من باقية فضرب أبو جهم على عضد عمر وقال انج وفرا هاربين فكان من مقدمات
إسلام عمر ومنه العبرة المشهورة والكفاية التامة عندما أخافته قريش وأجمعت
على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤوسهم وقد ضرب الله على أبصارهم وذر التراب
على رؤوسهم وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيأ الله له من الآيات ومن العنكبوت
الذي نسج عليه حتى قال أمية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما أربكم فيه وعليه من نسج
العنكبوت ما أرى أنه قبل أن يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان
فيه أحد لما كانت هناك الحمام وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت
قريش فيه وفي أبي بكر الجعائل فأنذر به فركب فرسه واتبعه حتى إذا قرب منه دعا عليه النبي
صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها واستقسم بالأزلام فخرج له ما يكره ثم ركب
ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يلتفت وقال للنبي
أتينا فقال لا تحزن إن الله معنا فساخت ثانية إلى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت و
لقوائمها مثل الدخان فناداهم بالأمان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم أمانا كتبه ابن فهيرة
وقيل أبو بكر وأخبرهم بالأخبار وأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يترك أحدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس
كفيتم ما ههنا وقيل بل قال لهما أراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي
صلى الله عليه وسلم وفي خبر آخر أن راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب
على قلبه فما يدري ما يصنع وأنسي ما خرج له حتى رجع إلى موضعه وجاء فيما ذكر ابن إسحق وغيره
أبو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه وحلف لئن رآه ليدمغنه فلزقت
بيده ويبست يداه إلى عنقه وأقبل يرجع القهقرى إلى خلفه ثم سأله أن يدعو له ففعل فانطلقت
يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك فسألوه عن شأنه فذكر أنه عرض لي دونه

وحلف لئن رآه ليدمغنه

نحل ما رأيت مثله قط فهم بي أن يأكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك جبريل لو دنا لأخذه وذكر السمرقندي
ان رجلا من بني المغيرة اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله تعالى بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم
وسمع قوله فرجع الى اصحابه ولم يرهم حتى نادوه وذكران في هاتين القصتين نزلت انا جعلنا
في اعناقهم اغلالا الايتين ومن ذلك ما ذكره ابن اسحق في قصته اذ خرج الى بني قريظة في اصحابه
فجلس الى جدار بعض اطامهم فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحى فقام النبي صلى الله عليه وسلم
فانصرف الى المدينة واعلمهم بقصتهم وقد قيل ان قوله يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم
اذ هم قوم في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي انه خرج الى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين
الذين قتل عمرو بن امية فقال له حيي بن اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك
ما سألتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وتوامر حيي معهم على قتله فاعلم
جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد حاجته حتى دخل المدينة وذكر اهل التفسير
ومعنى الحديث عن ابي هريرة ان ابا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا يصلي ليطأن رقبته
فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه
متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق مملوء نارا كدت اهوي فيه و
ابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملأت الارض فقال عليه السلام تلك الملائكة
لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل على النبي صلى الله عليه وسلم كلا ان الانسان ليطغى
الى آخر السورة ويروى ان شيبة بن عثمان الحجبي ادركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل اباه
وعمه فقال اليوم ادرك ثاري من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه
ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع الي شواظ من نار اسرع من البرق فوليت
هاربا واحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو ابغض
الخلق الي فما رفعها الا وهو احب الخلق الي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت امامه اضرب
بسيفي واقيه بنفسي ولو لقيت ابي تلك الساعة لاوقعت به دونه وعن فضالة
بن عمير اردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت
منه قال افضالة انت قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء
فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما
خلق الله شيئا احب الي منه ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد بن قيس حين
وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له انا اشغل عنك وجه محمد فاضربه
انت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك

بيني وبينه

بيني وبينه افاضربك ومن عصمته له تعالى ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به وعينوه
لقريش واخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه امره
ومن ذلك نصره بالرعب مسيرة شهر كما قال عليه السلام **فصل ومن معجزاته الباهرة**
ما جمعه الله له من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا
والدين ومعرفته بامور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح امته
وما كان في الامم قبله وقصص الانبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن
آدم الى زمنه وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد انبائهم وايام الله فيهم و
صفات اعيانهم واختلاف آرائهم والمعرفة بمددهم واعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة
كل امة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم واعلامهم باسرارها
ومخبآت علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه الى الاحتواء على لغات العرب وغريب
الفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها والحفظ لايامها وامثالها وحكمها ومعاني
اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة والحكم البينة
لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه
ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الآداب وكل شيء مستحسن
مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر
من الجاهلية به اذا سمع ما يدعو اليه صوبه واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه ثم ما
احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان به انفسهم واعراضهم واموالهم من
المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار آجلا الى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون
المعارف كالطب والعبارة والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلوم مما
اتخذ اهل هذه المعارف كلامه عليه السلام فيها قدوة واصولا في علمهم كقوله عليه السلام الرؤيا
لاول عابر وهي على رجل طائر وقوله الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا مما يحدث به
الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله عليه السلام اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا
المؤمن تكذب وقوله اصل كل داء البردة وما روي عنه في حديث ابي هريرة من قوله
المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة وان كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه
وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطني وقوله عليه السلام خير ما تداويتم به السعوط و
اللدود والحجامة والمشي وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين وفي
العود الهندي سبعة اشفية وقوله ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن الى قوله فان

كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وقوله وقد سئل عن سبأ أرجل هو أو امرأة أو أرض فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب إلى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله حمير رأس العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والأزد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها وقوله إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وقوله في الحوض زواياه سواء وقوله في حديث الذكر وإن الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون على اللسان وألف وخمسمائة في الميزان وقوله وهو بموضع نعم الموضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله لعيينة أو الأقرع أنا أفرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم على أذنك فإنه أذكر للممل هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه أوتي علم كل شيء حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس وقوله في الحديث الآخر الذي يروى عن معاوية أنه كان يكتب بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال له ألق الدواة وحرف القلم وأقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وإن لم تصح الرواية أنه عليه السلام كتب فلا يبعد أن يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة وأما علمه عليه السلام بلغات العرب وحفظه معاني أشعارها فأمر مشهور قد نبهنا على بعضه أول الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات الأمم كقوله في الحديث سنه سنه وهي حسنة بالحبشية وكقوله ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله في حديث أبي هريرة أشكنب درد أي وجع البطن بالفارسية مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه إلا من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة أهلها عمره وهو رجل كما قال الله تعالى أمي لم يكتب ولم يقرأ ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الأمور ولا عرف هو قبل بشيء منها قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الآية إنما كانت غاية معارف العرب النسب وأخبار أوائلها والشعر والبيان وإنما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة أهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل إلى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه إلا قولهم أساطير الأولين وإنما يعلمه بشر فرد الله عليهم قولهم بقوله لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين

ثم ما قالوه

ثم ما قالوه مكابرة العيان فإن الذي نسبوا تعليمه إليه إما سلمان أو العبد الرومي وسلمان إنما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القرآن وظهور ما لا يعد من الآيات وأما الرومي فكان أسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما أعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة ما أتى به والإتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تأليفه ونظمه فكيف بأعجمي ألكن نعم وقد كان سلمان أو بلعام الرومي أو يعيش أو جبر أو يسار على اختلافهم في اسمه بين أظهرهم يكلمونهم مدى أعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء به محمد عليه السلام وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده أن يجلس إلى هذا فيأخذ عنه أيضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من أخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته إلى بلاد أهل الكتاب فيقال إنه استمد منهم بل لم يزل بين أظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة أبنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم إلا في سفرة أو سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقه عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف إلى حبر أو قس أو منجم أو كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجيء ما أتى به في معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل شبهة ومجليا لكل أمر

فصل ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم وكراماته وباهر آياته أنباؤه مع الملائكة والجن وإمداد الله له بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من أصحابه لهم قال الله تعالى وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه الآية وقال إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا وقال تعالى إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف وقال وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية حدثنا سفيان بن العاصي الفقيه بسماعي عليه حدثنا أبو الليث السمرقندي قال حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا أبو أحمد الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا شعبة عن سليمان الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح والخبر في محادثته مع جبريل وإسرافيل وغيرهما من الملائكة وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الإسراء مشهور وقد رآهم بحضرته جماعة من أصحابه في مواطن مختلفة فرأى أصحابه جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأله عن الإسلام والإيمان ورأى ابن عباس وأسامة وغيرهما عنده جبريل في صورة دحية ورأى سعد على يمينه ويساره جبريل وميكائيل

في صورة رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها يوم
بدر وبعضهم رأى تطاير الرؤوس من الكفار ولا يرون الضارب ورأى أبو سفيان
ابن الحرث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض ما يقوم لها شيء وقد كانت الملائكة
تصافح عمران ابن الحصين وأرى النبي صلى الله عليه وسلم حمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه
ورأى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد أن
مصعب بن عمير لما قتل يوم أحد أخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول له تقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم أنه ملك وقد ذكر غير واحد
من المصنفين عن عمر بن الخطاب أنه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل
شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال نغمة الجن من أنت قال أنا هامة
ابن الهيم بن لاقيس بن إبليس فذكر أنه لقي نوحا ومن بعده في حديث طويل وأن النبي صلى الله عليه وسلم
علمه سورا من القرآن وذكر الواقدي قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له
ناشرة شعرها عريانة فجزلها بسيفه وأعلم النبي عليه السلام فقال له تلك العزى وقال عليه السلام
إن شيطانا تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن
أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخي
سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي الآية فرده الله خاسئا
وهذا باب واسع **فصل** ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته ما ترادفت به الأخبار
عن الرهبان والأحبار وعلماء أهل الكتب من صفته وصفة أمته واسمه وعلاماته وذكر
الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد من ذلك في أشعار الموحدين المتقدمين من شعر
تبع والأوس بن حارثة وسفيان بن مجاشع وقس بن ساعدة وكعب بن لؤي وما ذكر
عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف به من أمره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل
وعثكلان الحميري وعلماء يهود وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره
وما ألفي من ذلك في التوراة والإنجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقلوه
عنها ثقات من أسلم منهم مثل ابن سلام وبني سعية وابن يامين ومخيريق وكعب وأشباههم
ممن أسلم من علماء يهود وبحيرا ونسطور وصاحب بصرى ونصارى الحبشة وضغاطر
وأسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشي وأساقف نجران وغيرهم ممن أسلم
من علماء النصارى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصارى و
رئيساهم ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن أخطب

واخوه

وأخوه وكعب بن أسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة على
البقاء على الشقاء والأخبار في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع أسماع يهود والنصارى بما ذكر أنه في
كتبهم من صفته وصفة أصحابه واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك
وكتمانه وليهم ألسنتهم ببيان أمره ودعوتهم المباهلة على الكاذب فما منهم إلا من نفر عن معارضته
وإبداء ما ألزمهم من كتبهم إظهاره ولو وجدوا خلاف قوله لكان إظهاره أهون عليهم من بذل
النفوس والأموال وتخريب الديار ونبذ القتال وقد قال لهم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها
إن كنتم صادقين إلى ما أنذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب
وخنافر وأفعى نجران وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعدى بنت كريز وفاطمة
ابنة النعمان ومن لا يعد كثرة إلى ما ظهر على ألسنة الأصنام من نبوته وحلول وقت رسالته
وسمع من هواتف الجان ومن ذبائح النصب وأجواف الصور وما وجد من اسم النبي صلى الله
عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط القديم ما أكثره مشهور
وإسلام من أسلم بسبب ذلك معلوم مذكور **فصل** ومن ذلك ما ظهر من الآيات
عند مولده وما حكته أمه ومن حضره من العجائب وكونه رافعا رأسه عندما وضعته
شاخصا ببصره إلى السماء وما رأته من النور الذي خرج معه عند ولادته وما رأته
إذ ذاك أم عثمان ابن أبي العاص من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما
تنظر إلا النور وقول الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف لما سقط عليه السلام على يدي و
استهل يقول رحمك الله وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى قصور الروم
وما تعرفته حليمة وزوجها ظئراه من بركته ودرور لبنها له ولبن شارفها و
خصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته وما جرى من العجائب ليلة مولده من ارتجاج
إيوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها ألف عام
لم تخمد وأنه كان إذا أكل مع عمه أبي طالب وآله وهو صغير شبعوا ورووا
فإذا غاب فأكلوا في غيبته لم يشبعوا وكان سائر ولد أبي طالب يصبحون شعثا
ويصبح صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا قالت أم أيمن حاضنته ما رأيته
عليه السلام شكا جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك حراسة السماء بالشهب
وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع وما نشأ عليه من بغض الأصنام والعفة
عن أمور الجاهلية وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى في التستر في الخبر المشهور عند
بناء الكعبة إذ أخذ إزاره ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط إلى الأرض حتى رد إزاره

ليجعله على عاتقه

عليه فقال له عمه ما بالك قال إني نهيت عن التعري ومن ذلك إظلال الله له بالغمام
في سفره وفي رواية أن خديجة ونساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك
لميسرة فأخبرها أنه رأى ذلك منذ خرج معه في سفره وقد روي أن حليمة رأت غمامة
تظله وهو عندها وروي ذلك عن أخيه من الرضاعة ومن ذلك أنه نزل في بعض أسفاره
قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها وأينعت هي فأشرقت وتدلت عليه أغصانها
بمحضر من رآه وميل فيء الشجرة إليه في الخبر الآخر حتى أظلته وما ذكر من أنه كان لا ظل لشخصه في شمس
ولا قمر لأنه كان نورا وأن الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك
تحبيب الخلوة إليه حتى أوحي إليه ثم إعلامه بموته ودنو أجله وأن قبره في المدينة وفي
بيته وأن بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل
عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده ما رويناه
في بعضها واستئذان ملك الموت عليه ولم يستأذن على غيره قبله ونداؤهم الذي
سمعوه أن لا تنزعوا عنه القميص عند غسله وما روي من تعزية الخضر والملائكة أهل
بيته عند موته إلى ما ظهر على أصحابه من كراماته وبركته في حياته وموته كاستسقاء
عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته

فصل

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه
قد أتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته
مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا و
اقتصرنا من الأحاديث الطوال على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الأحاديث
وغريبها على ما صح واشتهر إلا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الأئمة وحذفنا
الأسانيد في جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصي أن يكون
ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا أظهر من سائر معجزات الرسل
بوجهين أحدهما كثرتها وأنه لم يؤت نبي معجزة إلا وعند نبينا عليه السلام مثلها
أو ما هو أبلغ منها وقد نبه بعض الناس على ذلك فإن أردته فتأمل فصول هذا الباب
ومعجزات من تقدم من الأنبياء تقف على ذلك إن شاء الله وأما كونها كثيرة
فهذا القرآن وكله معجز وأقل ما يقع الإعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين
سورة إنا أعطيناك الكوثر أو آية في قدرها وذهب بعضهم إلى أن كل آية
منه كيف كانت معجزة وزاد آخرون أن كل جملة منتظمة منه معجزة وإن كانت
من كلمة أو كلمتين والحق ما ذكرناه أولا لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله فهو أقل

ما تقدم

ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه وإذا كان هذا ففي القرآن
من الكلمات نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة على عدد بعضهم وعدد كلمات
إنا أعطيناك الكوثر عشر كلمات فتجزأ القرآن على نسبة عدد إنا أعطيناك
الكوثر أزيد من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم إعجازه كما تقدم
بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان
فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه إعجاز أخر من الإخبار بعلوم الغيب
فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن أشياء من الغيب كل خبر
منها بنفسه معجز فتتضاعف العدة كرة أخرى ثم وجوه الإعجاز الأخر التي ذكرناها
توجب التضعيف هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر
براهينه ثم الأحاديث الواردة والأخبار الصادرة عنه عليه السلام في هذه الأبواب
وعما دل عليه أمره مما أشرنا إلى جمله يبلغ نحوا من هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته
صلى الله عليه وسلم فإن معجزات الرسل كانت بقدر همم أهل زمانهم وبحسب الفن
الذي سما فيه قرنه فلما كان زمان موسى غاية علم السحر بعث إليهم موسى بمعجزة
تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم
وأبطل سحرهم وكذلك زمن عيسى أغنى ما كان الطب وأوفر ما كان أهله فجاءهم
أمر لا يقدرون عليه وأتاهم ما لم يحتسبوه من إحياء الميت وإبراء الأكمه والأبرص
دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الأنبياء ثم إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم
وجملة معارف العرب وعلومها أربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة فأنزل عليه
القرآن الخارق لهذه الأربعة فصول من الفصاحة والإيجاز والبلاغة الخارجة عن نمط
كلامهم ومن النظم الغريب والأسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم إلى
طريقه ولا علموا في أساليب الأوزان منهجه ومن الأخبار عن الكوائن والحوادث
والأسرار والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك
وصدقه وإن كان أعدى العدو فأبطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا
ثم اجتثها من أصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الأخبار عن القرون
السالفة وأنباء الأنبياء والأمم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ
لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه
المعجزة الجامعة لهذه الوجوه إلى الفصول الأخر التي ذكرناها في معجزات القرآن

ثابتة الى يوم القيمة بينة الحجة لكل امة تاتى لا يخفى وجوه ذلك على من نظر
فيه وتامل وجوه اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا زمن
الا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان و
ليس الخبر كالعيان والمشاهدة في اليقين والنفس اشد طمانينة الى عين اليقين
منها الى علم اليقين وان كان كل عندها حقا وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم
وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا لا تبيد ولا تنقطع واياته تتجدد ولهذا اشار صلى الله عليه وسلم
بقوله فيما اخبرنى القاضى الشهيد ابو على حدثنا القاضى ابو الوليد حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو
اسحق وابو الهيثم قالوا حدثنا الفربرى حدثنا البخارى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا
الليث عن سعيد عن ابيه عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من الانبياء نبى الا اعطى
من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذى اوتيت وحيا اوحاه الله الى
فارجوا انى اكثرهم تابعا يوم القيمة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح
ان شاء الله وذهب غير واحد من العلماء فى تاويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا
عليه السلام الى معنى ثالث من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخيل فيه
ولا التحيل عليه والتشبيه فان غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها باشياء
طمعوا فى التخييل بها على الضعفاء كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما
يخيله الساحر او يتحيل فيه والقران كلام ليس للحيلة ولا للسحر فى التخييل فيه عمل فكان
من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب ان يكون شاعرا
او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتاويل الاول اخلص وارضى وفى هذا التاويل
الثانى ما يغمض الجفن عليه ويغضى ووجه رابع على مذهب من قال بالصرفة وان المعارضة
كانت فى مقدور البشر فصرفوا عنها او على احد مذهبى اهل السنة من ان الاتيان بمثله
من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لان
الله لم يقدرهم ولا يقدرهم عليها وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك
العرب الاتيان بما فى مقدورهم او ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء
والجلاء والسباء والاذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع
والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد ابين اية للعجز عن الاتيان بمثله والنكول
عن معارضته وانهم منعوا عن شىء هو من جنس مقدورهم والى هذا ذهب الامام
ابو المعالى الجوينى وغيره قال وهذا عندنا ابلغ فى خرق العادة بالافعال

البديعة فى انفسها كقلب العصا حية ونحوها فانه قد يسبق الى بال الناظر بدارا ان ذلك
من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة فى ذلك الفن وفضل علم الى ان يرد ذلك صحيح النظر
واما التحدى للخلائق المئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق
بعد توفر الدواعى على المعارضة ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبى ايتى ان
يمنع الله القيام عن الناس مع قدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فكان ذلك وعجزهم الله
عن القيام لكان ذلك من ابهر اية واظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب عن بعض
العلماء وجه ظهور اية على سائر ايات الانبياء حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة افهام
العرب وذكاء البابها ووفور عقولها وانهم ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك
بحسب ادراكهم وغيرهم من القبط وبنى اسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل
بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم وجوز
عليهم السامرى ذلك فى العجل بعد ايمانهم وعبدوا المسيح مع اجماعهم على صلبه
وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءهم من الايات الظاهرة البينة للابصار
بقدر غلظ افهامهم مما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله
جهرة ولن نصبر على المن والسلوى واستبدلوا الذى هو ادنى بالذى هو خير والعرب
على جاهليتها اكثرها يعترف بالصانع وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله زلفى
ومنهم من امن بالله ووحده من قبل الرسول بدليل عقله وصفاء لبه ولما جاءهم
الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة
معجزته فامنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا كلها فى صحبته
وهجروا ديارهم واموالهم وقتلوا اباءهم وابناءهم فى نصرته
واتى فيمعنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج
اليه وحقق لكنا قد قدمنا من بيان معجزة نبينا
صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغنى عن ركوب
بطون هذه المسالك وظهورها
وبالله استعين وهو حسبى ونعم الوكيل
وصلى الله على سيدنا محمد واله
وصحبه اجمعين

ناحية بنيسابور

القسم الثاني فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه السلام

قال الفقيه القاضي أبو الفضل رضي الله عنه وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في أربعة أبواب على
ما ذكرناه أول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته
وتوقيره وبره وحكم الصلاة عليه والتسليم وزيارة قبره الباب الأول في فرض الإيمان
به ووجوب طاعته واتباع سنته إذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الإيمان
به وتصديقه فيما أتى به قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا وقال
إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وقال فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الآية فالإيمان
بالنبي عليه السلام واجب متعين لا يتم إيمان إلا به ولا يصح إسلام إلا معه قال الله تعالى ومن لم يؤمن
بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا حدثنا أبو محمد الخشني الفقيه بقراءتي عليه
ثنا الإمام أبو علي الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابن عمرويه ثنا ابن سفيان ثنا أبو الحسين ثنا أمية بن بسطام
ثنا يزيد بن زريع ثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما
جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله قال
القاضي أبو الفضل رضي الله عنه والإيمان به عليه السلام هو تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه
في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله
فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الإيمان به والتصديق
له كما ورد في هذا الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر أمرت أن أقاتل الناس
حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقد زاده وضوحا في حديث
جبريل إذ قال أخبرني عن الإسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم أن تشهد أن لا إله إلا الله
وأن محمدا رسول الله وذكر أركان الإسلام ثم سأله عن الإيمان فقال أن تؤمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر أن الإيمان به عليه السلام محتاج إلى العقد
بالجنان والإسلام به مضطر إلى النطق باللسان وهذه الحال المحمودة التامة وأما الحال
المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى
إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله
يشهد إن المنافقين لكاذبون أي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم
وهم لا يعتقدونه فلما لم يصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم أن يقولوا بألسنتهم ما
ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الإيمان ولم يكن لهم في الآخرة حكمه إذ لم يكن

معهم ولحقوا بالكافرين في الدرك الأسفل من النار وبقي عليهم حكم الإسلام
بإظهار شهادة اللسان في أحكام الدنيا المتعلقة بالأئمة وحكام المسلمين الذين أحكامهم
على الظواهر بما أظهروه من علامات الإسلام إذ لم يجعل للبشر سبيل إلى السرائر ولا أمروا
بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك فقال
هلا شققت عن قلبه والفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل الشهادة
من الإسلام والتصديق من الإيمان وبقيت حالتان أخريان بين هذين أحدهما
أن يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت للشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم
من تمام الإيمان القول والشهادة به ورآه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله
عليه السلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فلم يذكر
سوى ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا
هو الصحيح في هذا الوجه. الثانية أن يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم
ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه أيضا
فقيل هو مؤمن لأنه مصدق والشهادة من جملة الأعمال فهو عاص بتركها غير مخلد
وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة إذ الشهادة إنشاء عقد والتزام إيمان
وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة إلا بها وهذا هو الصحيح وهذا نبذ
يفضي إلى متسع من الكلام في الإسلام والإيمان وأبوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان
وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وإنما يرجع إلى ما زاد عليه من عمل
أو قد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد
ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض التأليف
وفيما ذكرنا غنية فيما قصدنا. فصل. وأما وجوب طاعته فإذا وجب
الإيمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لأن ذلك مما أتى به قال الله تعالى
يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله وقال قل أطيعوا الله والرسول وقال
وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال وإن تطيعوه تهتدوا وقال
من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال وما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا وقال ومن يطع الله والرسول فأولئك الآية
وقال وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله فجعل تعالى طاعة
رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب وأوعد

على مخالفته بسوء العقاب واوجب امتثال امره واجتناب نهيه قال المفسرون
والائمة طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا وما ارسل الله
من رسول الا فرض طاعته على من ارسله اليه وقالوا من يطع الرسول في سنته
يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرايع الاسلام فقال وما آتاكم
الرسول فخذوه قال السمرقندي اطيعوا الله في فرائضه والرسول في سننه
وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله بالشهادة
له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه ثنا
حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن علي بن خلف ثنا محمد بن احمد ثنا محمد بن يوسف ثنا البخاري
ثنا عبدان اخبرنا عبد الله ثنا يونس عن الزهري اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع
ابا هريرة يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن
عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى اميري
فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله امر بطاعته فطاعته امتثال
لما امر الله به وطاعة له وحكى الله عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب
وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فتمنوا
طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال عليه السلام اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه
واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم وفي حديث ابي هريرة عنه عليه السلام
كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة
ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث الآخر الصحيح عنه عليه السلام مثلي ومثل ما بعثني
الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم اني رايت الجيش بعيني واني
انا النذير العريان فالنجا فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على
مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم
واجتاحهم فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب
ما جئت به من الحق وفي الحديث الآخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل
فيها مادبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة ومن
لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة فالدار الجنة والداعي
محمد صلى الله عليه وسلم فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى
محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس فصل واما وجوب اتباعه

النذير العريان
رجل من خثعم حمل عليه رجل يوم ذي الخلصة فقطع يده ويد امراته فانصرف الى قومه فحذرهم فضرب به المثل في تحقيق الخبر

معنى فرق بين الناس اي فارق بين المؤمنين والكافرين فمن آمن به فهو مؤمن ومن كفر به فهو كافر

وامتثال

وامتثال سنته والاقتداء بهديه فقد قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال فآمنوا بالله ورسوله النبي
الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون • وقال
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الى قوله تسليما
اي ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم اذا انقاد وقال تعالى لقد كان لكم
في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر الآية قال محمد
ابن علي الترمذي الاسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك
مخالفته في قول وفعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب
للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب
قال بمتابعة السنة فامرهم الله تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه لان الله
ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم
الى صراط مستقيم ووعدهم محبته في الآية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه وآثروه
على اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم
بحكمه وترك الاعتراض عليه وروي عن الحسن ان قوما قالوا يا رسول الله انا
نحب الله فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية وروي ان
الآية نزلت في كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه
ونحن اشد حبا لله فانزل الله الآية وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله
ان تقصدوا طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله والرسول
طاعته لهما ورضاه بما امرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته
ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال القائل

• تعصي الاله وانت تظهر حبه • هذا لعمري في القياس بديع •
• لو كان حبك صادقا لاطعته • ان المحب لمن يحب مطيع •

ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له وارادته
الجميل له وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه قال القشيري فاذا كان بمعنى الرحمة
والارادة والمدح كان من صفات الذات وسياتي بعد في ذكر محبة
العبد غير هذا بحول الله تعالى حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه قال ثنا ابو الاصبغ
عيسى بن سهل وثنا ابو الحسن يونس بن مغيث الفقيه بقراءتي عليه قالا حدثنا حاتم

فقتل بعد قتال لاربع ليال مضت من ربيع الاول
على راس ستين وعشرين شهرا من الهجرة

منيع

اي المحبة من العبد مدحه تعالى ومحبة الله مدح الله تعالى
له على مدحه تعالى لكن الظاهر ما بعده
ان العصمة المستلزمة للمحبة الله تعالى
فقط فتامره

ابن محمد قال حدثنا ابو حفص الجهني ثنا ابو بكر الاجري ثنا ابرهيم بن موسى الجوزي ثنا داود بن رشيد ثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وفي حديث ابي رافع عنه عليه السلام لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي حديث عائشة رض صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله تعالى ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية وروي عنه عليه السلام انه قال القران صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القران ومن تهاون بالقران وحديثي خسر الدنيا والاخرة امرت امتي ان ياخذوا بقولي ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقران قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه الاية وقال عليه السلام من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلثة فما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة وعن الحسن ابن ابي الحسن قال قال عليه السلام عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال عليه السلام ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك بسنتي عند فساد امتي له اجر مائة شهيد وقال عليه السلام ان بني اسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وان امتي تفترق على ثلث وسبعين كلها في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي انا عليه اليوم واصحابي وعن انس قال عليه السلام من احيا سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي وعن عمرو بن عوف المزني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحرث من احيا سنة من سنتي قد اميتت بعدي فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من

اجورهم

اجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل اثم من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيئا

فصل واما ما ورد عن السلف من اتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته فحدثنا الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن الفقيه سماعا عليه قال حدثنا ابو عمر الحافظ قال ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن اصبغ ووهب بن مسرة قالا ثنا محمد بن وضاح ثنا يحيى بن يحيى ثنا ملك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن اسيد انه سال عبد الله ابن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القران ولا نجد صلاة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله بعث الينا محمدا ولا نعلم شيئا فانما نفعل كما رايناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في راي من خالفها من اقتدى بها مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا وقال الحسن بن ابي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب تعلموا السنة والفرائض واللحن اي اللغة وقال ان ناسا يجادلونكم يعني بالقران فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله وفي خبره حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال اصنع كما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع وعن علي رضي الله عنه حين قرن فقال له عثمان ترى اني انهى الناس عنه وتفعله قال لم اكن ادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول احد من الناس وعنه الا اني لست بنبي ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت وكان ابن مسعود يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة وقال ابن عمر صلاة السفر ركعتان من خالف السنة كفر وقال ابي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك اذ اصابتها ريح شديدة فتحاتت عنها ورقها الا حط الله عنه خطاياه كما

تحات عن الشجرة ورقها فان اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة
وانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا واقتصادا ان يكون على منهاج الانبياء
وسنتهم وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه هل يأخذهم
بالظنة او يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم بالبينة
وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن عطاء في قوله تعالى
فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول اي الى كتاب الله وسنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال الشافعي ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اتباعها
وقال عمر رضي الله عنه ونظر الى الحجر الاسود انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا اني
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله ورأى عبد الله
ابن عمر يدير ناقته في مكان فسئل عنه فقال لا ادري الا اني رأيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فعله ففعلته وقال ابو عثمان الحيري من امر السنة على نفسه
قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل
التستري اصول مذهبنا ثلثة الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق والافعال
والاكل من الحلال واخلاص النية في جميع الاعمال وجاء في تفسير قوله تعالى والعمل
الصالح يرفعه انه الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي ان احمد بن حنبل
قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ولم اتجرد فرأيت تلك الليلة قائلا لي يا احمد
ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما يقتدى بك قلت من انت
قال جبريل فصل ومخالفة امره وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان
والعذاب قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او
يصيبهم عذاب اليم وقال ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير
سبيل المؤمنين نوله ما تولى الآية حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر وعبد الرحمن
ابن عتاب بقراءتي عليهما قالا ح ابو القسم حاتم ابن محمد ح ابو الحسن القابسي ح ابو الحسن
ابن مسرور الدباغ ح احمد ابن ابي سليمان ح سحنون بن سعيد ح ابن القسم ح مالك عن العلاء
ابن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر
الحديث في صفة امته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فاناديهم
الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول فسحقا فسحقا فسحقا

فليذادن من الذود وهو المنع وهو على صيغة المفعول

وروى انس

وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي فليس مني وقال من احدث
في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد وروى ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا الفين احدكم متكئا على اريكته يأتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول
لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد في حديث المقدام الا وان ما حرم رسول الله صلى
الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال عليه السلام وجيء بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا او قال ضلالا
ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك
الكتاب يتلى عليهم الآية وقال عليه السلام هلك المتنطعون وقال ابو بكر الصديق
لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى ان تركت
شيئا من امره ان ازيغ الباب الثاني في لزوم محبته قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم و
ابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها الآية فكفى بهذا حضا
وتنبيها ودلالة وحجة على الزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها
عليه السلام اذ قرع الله تعالى من كان ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله واوعدهم
بقوله تعالى فتربصوا حتى يأتي الله بامره ثم فسقهم بتمام الآية واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده
الله حدثنا ابو علي الغساني الحافظ فيما اجازنيه وهو مما قرأته على غير واحد قال حدثنا سراج
ابن عبد الله القاضي ح ابو محمد الاصيلي ح المروزي ح ابو عبد الله محمد بن يوسف ح محمد بن اسمعيل
ح يعقوب بن ابراهيم ح ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يؤمن احدكم حتى اكون اليه احب من ولده ووالده والناس اجمعين وعن ابي هريرة
نحوه وعن انس عنه عليه السلام ثلث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب
اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف
في النار وعن عمر بن الخطاب انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من كل شيء
الا نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من
نفسه فقال عمر والذي انزل عليك القرآن لانت احب الي من نفسي التي بين
جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر قال سهل من لم ير ولاية الرسول عليه
في جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه عليه السلام لا يذوق حلاوة سنته لان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث

فصل في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه ح ابو القسم
حاتم بن محمد ح ابو الحسن علي بن خلف ح ابو زيد المروزي ح محمد بن يوسف ح محمد ابن

قال في النهاية المتنطعون المغالون في الكلام المتكلمون بأقصى حلوقهم

ولاية الرسول عليه السلام

اسمعيل ح عبدان ح ابي ح شعبة عن عمرو ابن مرة عن سالم ابن ابي الجعد عن انس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من كبير صلوة ولا صوم ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت وعن صفوان بن قدامة هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك ابايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله اني احبك قال المرء مع من احب وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وابو موسى وانس وعن ابي ذر بمعناه وعن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين فقال من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة وروى ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجيء فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فدعا به فقراها عليه وفي حديث آخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك قال بابي انت وامي اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الاية وفي حديث انس من احبني كان معي في الجنة

فصل فيما روي عن السلف والائمة من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم

حدثنا القاضي الشهيد ح العذري ح الرازي ح الجلودي ح ابن سفيان ح مسلم ح قتيبة ح يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشد امتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو رآني باهله وماله ومثله عن ابي ذر وتقدم حديث عمر وقول النبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو ابن العاص ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد ياوي الى فراش الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل ربي قبضي اليك حتى يغلبه النوم وروي عن ابي بكر انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام ابي طالب كان اقر لعيني ونحوه عن عمر بن الخطاب قاله للعباس ان تسلم احب الي من ان يسلم الخطاب لان ذلك

آ من الصحابة والتابعين

آ من اتباع التابعين ومن بعدهم

آ يعني من الاشعري الغسانية

آ ابن الحجاج صاحب الصحيح

التابعي

آ انتسب اليهم كما ينتسب الرجل الى اصله وفصيلته اي قبيلته وعشيرته

يعني ابو بكر بالعم المجبور من آبي بكر

من اسلامه يعني اباه ابا قحافة وذلك ان اسلام ابي طالب كان اقر لعينيك منه

احب الى رسول الله

احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن اسحق ان امراة من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت ارونيه حتى انظر اليه فلما راته قالت كل مصيبة بعدك جلل وسئل علي بن ابي طالب رض كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا وآبائنا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظما وعن زيد بن اسلم خرج عمر رض ليلة يحرس فراى مصباحا في بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول على محمد صلاة الابرار صلى عليه الطيبون الاخيار قد كنت قواما بكاء بالاسحار يا ليت شعري والمنايا اطوار هل تجمعني وحبيبي الدار تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول وروي ان عبد الله ابن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر احب الناس اليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت ولما احتضر بلال نادت امراته واحزناه فقال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه وروي ان امراة قالت لعايشة رض اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان ابن حرب انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمدا عندنا الآن مكانك تضرب عنقه وانك في اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت من الناس احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا وعن ابن عباس كانت المراة اذا اتت النبي صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بارض عن ارض وما خرجت الا حب الله ورسوله ووقف ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له فقال كنت والله ما علمت صواما قواما تحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

فصل في علامات محبته عليه السلام

اعلم ان من احب شيئا آثره وآثر موافقته والا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه واولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه والتادب بادابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وايثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم

فما رآته ٣ جلل لفظ مشترك بين ضدين العظيم والحقير والمراد هنا الحقير

قال المؤلف رحمه الله

ولو كان بهم خصاصة واتخاط العباد في رضى الله حسبما الهمه ابو علي الحافظ ح
ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل ابن خيرون قالا ح ابو يعلى البغدادي ح ابو علي
السنجي ح لهم بن محبوب ح ابو عيسى ح مسلم ابن حاتم ح محمد بن عبد الله الانصاري عن ابيه
علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال انس ابن مالك قال قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال لي
يا بني وذلك من سنتي ومن احيا سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة فمن
اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ولرسوله ومن خالفها في بعض هذه الامور فهو ناقص
المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله عليه السلام للذي حد في الخمر فلعنه بعضهم وقال
ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن علامات
محبة النبي صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره فمن احب شيئا اكثر من ذكره ومنها كثرة شوقه
الى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث الاشعريين عند قدومهم المدينة
انهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الاحبة محمدا وصحبه وتقدم قول بلال وما
ذكرناه من قصة خالد بن معدان ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه
له وتوقيره عند ذكره واظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه قال اسحق
بن التجيبي كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يذكرونه عندهم الا خشعوا واقشعرت جلودهم
وبكوا وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة وشوقا اليه ومنهم
من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها محبته لمن احب النبي ومن هو بسببه من آل بيته
وصحابته من الانصار والمهاجرين وعداوة من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم
فمن احب شيئا احب من يحب وقد قال عليه السلام في الحسن والحسين اللهم اني
احبهما فاحبهما وفي رواية في الحسن فاحب من يحبه وقال من احبهما فقد احبني
ومن احبني فقد احب الله ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله
وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم
فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله
يوشك ان يأخذه وقال في فاطمة انها بضعة مني يغضبني ما اغضبها وقال لعائشة
في اسامة بن زيد احبيه فاني احبه وقال آية الايمان حب الانصار وآية النفاق
بغضهم وفي حديث ابن عمر من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي
ابغضهم فبالحقيقة من احب شيئا احب كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف

حتى في

حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال انس حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم
يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت احب الدباء من يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله
ابن عباس وابن جعفر اتوا سلمى وسألوها ان تصنع لهم طعاما مما كان يحب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة اذ رأى
النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من ابغض الله ورسوله ومعاداة من
عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل امر يخالف شريعته قال الله
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وهؤلاء اصحابه
عليه السلام قد قتلوا احباءهم وقاتلوا اباءهم وابناءهم في مرضاته وقال له عبد الله بن عبد الله
ابن ابي لو شئت لاتيتك برأسه يعني اباه ومنها ان يحب القرآن الذي اتى به عليه السلام
وهدى به واهتدى وتخلق به حتى قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن
وحبه للقرآن تلاوته والعمل به وتفهمه ويحب سنته ويقف عند حدودها قال سهل
ابن عبد الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي
صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب
الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر منها
الا زادا وبلغة الى الآخرة وقال ابن مسعود لا يسأل احد عن نفسه الا القرآن
فان كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله ومن علامة حبه للنبي صلى الله
عليه وسلم شفقته على امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار
عنهم كما كان عليه السلام بالمؤمنين رؤوفا رحيما ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا
وايثار الفقر واتصافه به وقد قال عليه السلام لابي سعيد الخدري ان الفقر
الى من يحبني منكم اسرع من السيل من اعلى الوادي او الجبل الى اسفله
وفي حديث عبد الله بن مغفل قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله
اني احبك فقال انظر ما تقول قال والله اني احبك ثلث مرات قال ان كنت
تحبني فاعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد بمعناه

فصل في معنى

المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها اختلف الناس في تفسير محبة الله
ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع
بالحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف احوال فقال سفيان المحبة
اتباع الرسول عليه السلام كأنه التفت الى قول الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله

وقال بعضهم محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته
وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال آخر ايثار المحبوب وقال بعضهم المحبة
الشوق الى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب لمراد الرب يحب ما احب ويكره ما
كره وقال آخر المحبة ميل القلب الى موافق له واكثر العبارات المتقدمة اشارات الى
ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان وتكون موافقته اما
لاستلذاذه بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة و
اشباهها مما كل طبع سليم مائل اليها لموافقتها له او لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله و
قلبه معاني باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء واهل المعروف والمأثور عنهم السير
الجميلة والافعال الحسنة فان طبع الانسان مائل الى الشغف بامثال هؤلاء حتى
يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من امة في آخرين ما يؤدي الى الجلاء عن الاوطان
وهتك الحرم واخترام النفوس او يكون حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه
عليه فقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها فاذا تقرر هذا نظرت هذه الاسباب
كلها في حقه عليه السلام فعلمت انه عليه السلام جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة
اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر
من الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة واما احسانه وانعامه على امته فكذلك قد مر
منه في اوصاف الله تعالى له من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته
عليهم واستنقاذهم به من النار وانه بالمؤمنين رءوف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه ويتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم
الى صراط مستقيم فاي احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الى جميع المؤمنين
واي افضال اعم منفعة واكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم
الى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم
الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم
والنعيم السرمد فقد استبان لك انه عليه السلام مستوجب للمحبة الحقيقية
شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار وعادة وجبلة بما ذكرناه آنفا لافاضته
الاحسان وعمومه الاجمال فاذا كان الانسان يحب من منحه في دنياه
مرة او مرتين معروفا او استنقذه من هلكة او مضرة مدة التأذي بها قليل
منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم

اولى بالحب

اولى بالحب واذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته او حاكم لما يؤثر من قوام طريقته
او قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب
الكمال احق بالحب واولى بالميل وقد قال علي رضي الله عنه في صفته عليه السلام
من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا عن بعض الصحابة انه كان لا يصرف
بصره عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم **فصل في وجوب مناصحته صلى الله عليه وسلم**
قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على
المحسنين من سبيل والله غفور رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا
كانوا مخلصين مسلمين في السر والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد بقراءتي
عليه حدثنا حسين بن محمد حدثنا يوسف بن عبد الله حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر التمار حدثنا ابو داود
حدثنا احمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا سهيل بن ابي صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة
قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم قال ائمتنا
رحمهم الله النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الامام
ابو سليمان البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن
ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت
العسل اذا خلصته من شمعه وقال ابو بكر ابن ابي اسحق الخفاف النصح فعل
الشيء الذي به الصلاح والملاءمة مأخوذ من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به الثوب
وقال ابو اسحق الزجاج نحوه فنصيحة الله صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله
وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد عن مساخطه والاخلاص في عبادته
والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم
له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تأويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة
لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه قاله ابو سليمان
وقال ابو بكر مؤازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا واحياء سنته بالطلب
والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة وقال ابو ابراهيم
اسحق التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به و
الاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة الى الله والى كتابه
والى رسوله واليها والى العمل بها وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب

اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر الاجري وغيره والنصح له تقتضي
نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة
من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس والاموال دونه كما قال الله تعالى رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه الاية وقال وينصرون الله ورسوله الاية واما نصيحة المسلمين له بعد
وفاته فالتزام التوقير والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في
شريعته ومحبة آل بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه و
التحذير منه والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره وادابه والصبر
على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها
كما قدمناه وحكى الامام ابو القاسم القشيري ان عمرو ابن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير
الثوار المعروف بالصفار رئي في النوم فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي فقيل بماذا
فقال صعدت في ذروة جبل يوما فاشرفت على جنودي فاعجبني كثرتهم فتمنيت
اني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي
واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه
على احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور المسلمين وترك
الخروج عليهم وتضريب الناس وافساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين ارشادهم
الى مصالحهم ومعونتهم في امر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير
جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم

الباب الثالث في تعظيم امره ووجوب توقيره وبره

قال الله تعالى
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله و
توقروه وقال يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله الاية
و يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الثلاث آيات
وقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فاوجب تعالى تعزيره
وتوقيره والزم اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد
تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه وقال الطبري يعينونه ونهى
عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس
وغيره وهو اختيار ثعلب قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا
قال فانصتوا له واستمعوا ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه

يعزوان

فيه وان يفتاتوا بشيء من ذلك من قتال او غيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به
الى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري ثم وعظهم
وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع عليم قال الماوردي اتقوه يعني
في التقديم وقال السلمي اتقوا الله في اهمال حقه وتضييع حرمته انه سميع لقولكم
عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم
لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه قال ابو محمد مكي اي
لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض
ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ان ينادى به يا رسول الله يا نبي
الله وهذا كقوله في الاية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
على احد التاويلين قال غيره لا تخاطبوه الا مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى بحبط اعمالهم
ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الاية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم
اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم
بان اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الاية الاولى في محاورة كانت بين ابي بكر وعمر بين
يدي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما وقيل نزلت
في ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في اذنيه
صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الاية اقام في منزله وخشي ان يكون حبط عمله
ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت ان اكون هلكت نهانا الله
ان نجهر بالقول واني امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت اما ترضى ان
تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي ان ابا بكر
لما نزلت هذه الاية قال والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها الا كاخي السرار
وان عمر كان اذا حدثه حدثه كاخي السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد هذه الاية حتى يستفهمه فانزل الله فيهم ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول
الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم وقيل نزلت
ان الذين ينادونك من وراء الحجرات في غير بني تميم نادوه باسمه وروى صفوان
ابن عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري
ايا محمد ايا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فانك قد نهيت عن رفع
الصوت وقال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين

هي لغة كانت في الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لانّ
معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها انهم لا يرعونه الا برعايتهم له بل حقه
ان يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود تعرّض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهي
المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظة وقيل غير هذا

فصل في عادة الصحابة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم

وتوقيره واجلاله حدثنا القاضي ابو علي الصدفي وابو بحر الاسدي بسماعي عليهما في آخرين
قالوا ح احمد بن عمر ح احمد بن الحسين ح محمد بن عيسى ح ابرهيم بن سفيان ح مسلم ح محمد بن مثنى
وابو معن الرقاشي وابو اسحق بن منصور قالوا ح الضحاك بن مخلد ح حيوة بن شريح ح
يزيد بن ابي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو
قال وما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل في عيني منه
وما كنت اطيق ان املأ عيني منه اجلالا له ولو سئلت ان اصفه ما اطقت لاني
لم اكن املأ عيني منه وروى الترمذي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يخرج على اصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع
احد منهم اليه بصره الا ابو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما
ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما وروى اسامة بن شريك اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه حوله كانما على رؤوسهم الطير وفي حديث صفته اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على
رؤوسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم اصحابه له ما رأى وانه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه
وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا
بها وجوههم واجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا امره واذا
تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال يا معشر
قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما رأيت ملكا في قوم
قط مثل محمد في اصحابه وفي رواية ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم محمدا اصحابه
وقد رأيت قوما لا يسلمونه ابدا وعن انس لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
والحلاق يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل ومن هذا لما اذنت
قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم اليهم في القضية
ابى وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث طلحة

ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا
يهابونه ويوقرونه فسأله فاعرض عنه اذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا ممن قضى نحبه وفي حديث قيلة فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء
ارعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث المغيرة كان اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب لقد كنت اريد ان اسأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الامر فاؤخره سنين من هيبته **فصل** واعلم ان حرمة النبي صلى الله
عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند
ذكره عليه السلام وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله
وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته قال ابو ابرهيم التجيبي واجب على كل مؤمن
متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته واجلاله
بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما ادبنا الله به قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وائمتنا الماضين رضي الله عنهم حدثنا
القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري وابو القسم احمد بن بقي الحاكم وغير واحد
فيما اجازونيه قالوا اخبرنا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث قال ح ابو الحسن علي بن فهر ح
ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج ح ابو الحسن عبد الله بن المنتاب ح يعقوب بن اسحق بن ابي اسرائيل ح ابو حميد
قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير
المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي الآية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم الآية وذم قوما
فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان
لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه السلام
الى الله يوم القيمة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى ولو انهم
اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول الآية وقال مالك
وقد سئل عن ايوب السختياني ما حدثتكم عن احد الا وايوب افضل منه
قال وحج حجتين فكنت ارمقه ولا اسمع منه غير انه كان اذا ذكر النبي صلى
الله عليه وسلم يتغير لونه ويحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك
فقال لو رأيتم ما رأيت لما انكرتم علي ما ترون لقد كنت ارى محمد بن المنكدر

وكان سيد القراء لا نكاد نسئله عن حديث ابدا الا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت ارى
جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما رايته
يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا فما كنت
اراه الا على ثلث خصال اما مصليا واما صامتا واما يقرا القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه
وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن
ابن القسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه كانه نزف منه الدم وقد جف
لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنت اتي عامر بن عبد الله بن
الزبير فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع ولقد
رايت الزهري وكان من اهنا الناس واقربهم فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
فكانه ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت اتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين
فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه
وروي عن قتادة انه كان اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل ولما
كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى
يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا
سواء وكان عبد الرحمن ابن مهدي اذا قرئ حديث النبي صلى الله عليه وسلم امرهم
بالسكوت وقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ويتاول انه يجب له
من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله

فصل

في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث النبي صلى الله عليه وسلم وسنته حدثنا
الحسين بن محمد الحافظ ح ابو الفضل ابن خيرون ح احمد بن سنان القطان ح
يزيد بن هرون ح المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى
ابن مسعود سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث
يوما فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رايت العرق
يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله او فوق ذا او ما دون ذا او ما قريب
من ذا وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت اوداجه
حدثنا ابرهيم بن عبد الله بن قريم الانصاري قاضي المدينة مر مالك بن انس على ابي حازم
وهو يحدث فجازه وقال اني لم اجد موضعا اجلس فيه فكرهت ان اخذ حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانا قائم وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فسأله عن حديث

وهو مضطجع

وهو مضطجع وروي عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب كان مالك بن انس
لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له
وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس
اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث قال
مصعب فسئل عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطرف كان
اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون
الحديث او المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل
مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه
رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود
حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غيره ولم يكن يجلس على تلك
المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن ابي اويس
فقيل لمالك في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث
به الا على طهارة متمكنا قال وكان يكره ان يحدث في الطريق او وهو قائم او مستعجل
وقال احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ضرار بن مرة كانوا
يكرهون ان يحدثوا على غير وضوء وكان الاعمش اذا حدث على غير وضوء تيمم وكان
قتادة لا يحدث الا على طهارة ولا يقرا حديث النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء
وقال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة
وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من
المجلس وتفرق الناس قلت له يا ابا عبد الله لقد رايت منك عجبا قال نعم انما
صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك
الى العقيق فسألته عن حديث فانتهرني وقال لي كنت في عيني اجل من ان تسئل عن
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي
عن حديث وهو قائم فامر بحبسه فقيل له انه قاض فقال القاضي احق من ادب
وذكر ان هشام بن الغازي سأل مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين
سوطا ثم اشفق عليه فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا و
زادني حديثا وقال عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران

فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت انك لم تتعن فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع صح

وكان قتادة يستحب ان يقرأ احاديث النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم صح

فصل ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بر آله وذريته وامهات المؤمنين
ازواجه صلى الله عليه وسلم وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم قال الله تعالى انما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآية وقال تعالى وازواجه امهاتهم
اخبرنا الشيخ ابو محمد بن احمد العدل من كتابه وكتبت من اصله ح ابو الحسن المقرئ
الفرغاني حدثتني ام القسم بنت الشيخ ابي بكر الخفاف حدثني ابي ح حاتم هو ابن عقيل ح
يحيى هو ابن اسمعيل ح يحيى هو الحماني ح وكيع عن ابيه عن سعيد عن يزيد
ابن حيان عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله و
اهل بيتي ثلثا قلنا لزيد من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس
وقال عليه السلام اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي
اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال عليه السلام معرفة آل محمد امان من العذاب
قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم واذا عرفهم
بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن ابي سلمة لما نزلت انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآية وذلك في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا
وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن ابي وقاص لما نزلت آية المباهلة دعا النبي
صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء اهلي بيتي
وقال النبي صلى الله عليه وسلم في علي من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد
من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وقال للعباس
والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله
ومن آذى عمي فقد آذاني وانما عم الرجل صنو ابيه وقال للعباس اغد علي
يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته وقال هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي
فاسترهم من النار كستري اياهم فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت
آمين آمين وكان يأخذ اسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم اني احبهما فاحبهما
وقال ابو بكر ارقبوا محمدا في اهل بيته وقال ايضا والذي نفسي بيده لقرابة
رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي من قرابتي وقال صلى الله عليه وسلم
احب الله من احب حسنا وقال من احبني واحب هذين واشار الى حسن و
حسين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة وقال

صلى الله عليه وسلم من اهان قريشا اهانه الله وقال قدموا قريشا ولا تقدموها وقال
عليه السلام لام سلمة لا تؤذيني في عائشة وعن عقبة بن الحرث رأيت ابا بكر
وجعل الحسن على عنقه وهو يقول بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي
يضحك وروي عن عبد الله بن حسن بن حسن اتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة
فقال لي اذا كانت لك حاجة فارسل الي او اكتب فاني استحيي من الله ان يراك
على بابي وعن الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة امه ثم قربت له بغلة ليركبها
فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
هكذا نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل
بيت نبينا ورأى ابن عمر محمد بن اسامة ابن عمر رأسه ونقر بيده الارض
وقال لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه وقال الاوزاعي دخلت بنت اسامة
ابن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك
بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل يديها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى
اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها ولما فرض عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه لابنه عبد الله في ثلثة آلاف وخمسمائة قال عبد الله لابيه لم فضلته
فوالله ما سبقني الى مشهد فقال له لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
منك فآثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي وبلغ معاوية ان كابس
ابن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره
وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروي ان مالكا رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمن ونال منه ما نال وحمل مغشيا
عليه دخل عليه الناس فافاق فقال اشهدكم اني جعلت ضاربي في حل فسئل
بعد ذلك فقال خفت ان اموت فالقى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيي منه ان
يدخل بعض آله النار بسببي وقيل ان المنصور اقاده من جعفر فقال له اعوذ بالله والله
ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ابو بكر بن عياش لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان اخر من السماء الى الارض احب الي من ان
اقدمه عليهما وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
فسجد فقيل له اتسجد هذه الساعة فقال اليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما يزوران ام ايمن مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ويقولان كان النبي
صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت امه حليمة السعدية على النبي صلى الله عليه وسلم بسط لها
رداءه وقضى حاجتها فلما توفي صلى الله عليه وسلم وفدت على ابي بكر وعمر فصنعا بها مثل ذلك

اذا رأيتم آية فاسجدوا واي آية اعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم **فصل**
ومن توقيره وبره عليه السلام توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم
وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة
من عاداهم والاضراب عن اخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة و
المبتدعين القادحة في احد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل من مثل ذلك فيما كان بينهم
من الفتن احسن التأويلات ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد
منهم بسوء ولا يغمص عليه امر بل يذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت
عما وراء ذلك كما قال عليه السلام واذا ذكر اصحابي فامسكوا قال الله تعالى محمد رسول الله
والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الى آخر السورة وقال والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار الآية وقال لقد رضي الله عن المؤمنين اذ
يبايعونك تحت الشجرة وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية حدثنا القاضي
ابو علي ح ابو الحسين وابو الفضل ح ابو يعلى ح ابو علي السنجي ح محمد بن محبوب ح الترمذي
ح الحسن بن الصباح ح سفين بن عيينة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي
ابن حراش عن حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي
ابي بكر وعمر وقال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال
الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم
فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله
يوشك ان يأخذه وقال لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا
ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال اذا ذكر اصحابي فامسكوا
وقال في حديث جابر ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين
والمرسلين واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابي
وفي اصحابي كلهم خير وقال من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد
ابغضني وقال مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له
في فيء المسلمين حق ونزع بآية الحشر والذين جاؤوا من بعدهم الآية وقال
من غاظه اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار

وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب اصحاب محمد
عليه السلام قال ايوب السختياني من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد
اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الله ومن احب عليا فقد اخذ
بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب محمد فقد برئ من النفاق ومن
انتقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح واخاف ان لا
يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم ويكون قلبه لهم سليما وفي حديث خالد بن سعيد ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس اني
راض عن عمر وعلي وعن عثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف
فاعرفوا لهم ذلك ايها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس
احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها
مظلمة لا توهب في القيامة غدا وقال رجل للمعافى بن عمران اين عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب
وقال لا يقاس باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه
على وحي الله واتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض
عثمان فابغضه الله وقال عليه السلام في الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من
محسنهم وقال احفظوني في اصحابي واصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه الله في
الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك ان يأخذه وعنه عليه السلام
من حفظني في اصحابي كنت له حافظا يوم القيمة وقال من حفظني في اصحابي ورد
علي الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني الا من بعيد قال مالك
رحمه الله هذا النبي صلى الله عليه وسلم مؤدب الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين
يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر كالمودع لهم وبذلك امره الله و
امر النبي صلى الله عليه وسلم بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم وروي عن كعب
ليس احد من اصحاب محمد الا له شفاعة يوم القيمة وطلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع
له يوم القيمة قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم
من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره **فصل** ومن اعظامه واكباره اعظام
جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده
وما لمسه عليه السلام او عرف به وروي عن صفية بنت نجدة قالت كان لابي محذورة
قصة في مقدم رأسه اذا قعد وارسلها اصابت الارض فقيل له الا تحلقها

ابن عمر

وقال عليه السلام

فقال لم اكن بالذي اخلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وكانت في قلنسوة
خالد بن الوليد شعرات من شعره عليه السلام فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها
شدة انكر عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها
بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره صلى الله عليه وسلم لئلا اسلب بركتها وتقع في ايدي
المشركين ورؤي ابن عمر واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه
ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب في المدينة دابة وكان يقول استحي من الله تعالى ان اطا
تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة وروي انه وهب للشافعي كراعا كثيرا كان عنده
فقال له الشافعي امسك منها دابة فاجاب بمثل هذا الجواب وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي عن احمد
ابن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة انه قال ما مسست القوس بيدي الا على طهارة منذ
بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ القوس بيده وقد افتى مالك فيمن قال تربة المدينة ردية
يضرب ثلثين درة وامر بحبسه وكان له قدر وقال ما احوجه الى ضرب عنقه تربة دفن فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة وفي الصحيح انه قال عليه السلام في المدينة من احدث
فيها حدثا او اوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرف
ولا عدل وحكي ان جهجاها الغفاري اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه
وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته الاكلة في ركبته فقطعها
ومات قبل الحول وقال عليه السلام من حلف على منبري كاذبا فليتبوأ مقعده من النار
وحدثت ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل و
مشى باكيا منشدا . ولما راينا رسم من لم يدع لنا . فؤادا لعرفان الرسوم ولا
. نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة . لمن بان عنه ان نلم به ركبا .
وحكي عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم انشا
يقول متمثلا . رفع الحجاب لنا فلاح لناظر . قمر تقطع دونه الاوهام .
. واذا المطي بنا بلغن محمدا . فظهورهن على الرجال حرام .
. قربننا من خير من وطئ الثرى . فلها علينا حرمة وذمام .
وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الابق
ياتي الى بيت مولاه راكبا لو قدرت ان امشي على راسي ما مشيت على قدمي
قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وجدير لمواطن عمرت بالوحي و
التنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح

وضجت عرصاتها

وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر
عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر مدارس آيات ومساجد وصلوات
ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين
ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة
واين فاض عبابها ومواطن طويت الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى ترابها
ان تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدراتها
. يا دار خير المرسلين ومن به . هدي الانام وخص بالآيات . .
. عندي لاجلك لوعة وصبابة . . وتشوق متوقد الجمرات .
وعلى عهد ان ملات محاجري . . من تلكم الجدرات والعرصات .
. لاعفرن مصون شيبي بينها . من كثرة التقبيل والرشفات .
لولا العوادي والاعادي زرتها . ابدا ولو سحبا على الوجنات .
. لكن ساهدي من حفيل تحيتي . لقطين تلك الدار والحجرات .
ازكى من المسك المفتق نفحة . تغشاه بالآصال والبكرات .
. وتخصه بزواكي الصلوات . ونوامي التسليم والبركات .

الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم

وفرض ذلك وفضيلته . قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية
قال ابن عباس معناه ان الله وملائكته يباركون على النبي وقيل ان الله يترحم على النبي
وملائكته يدعون له قال المبرد واصل الصلاة الترحم فهي من الله رحمة ومن
الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله وقد ورد في الحديث صفة صلاة
الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال
بكر القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي صلى الله عليه وسلم رحمة
وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال ابو العالية صلاة الله
ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث
تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل انهما بمعنيين
واما التسليم الذي امر الله تعالى به عباده فقال القاضي ابو بكر بن بكير
نزلت هذه الاية على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره

وفي معنى السلام عليه ثلاثة وجوه احدها السلامة لك ومعك وتكون
السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني اي السلام على حفظك
ورعايتك متول له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله تعالى الثالث
ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى
يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا
تسليما. **فصل** اعلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة
غير محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلاة عليه وحمل الائمة والعلماء له على
الوجوب واجمعوا عليه وحكى ابو جعفر الطبري ان محمل الاية عنده على الندب
وادعى فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج
والماثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه
من سنن الاسلام وشعار اهله قال القاضي ابو الحسن بن القصار المشهور
عن اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة على الانسان وفرض عليه ان ياتي بها مرة من
دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي ابو بكر بن بكير افترض الله على خلقه
ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان
يكثر المرء منها ولا يغفل عنها وقال القاضي ابو محمد بن نصر الصلاة على النبي صلى
الله عليه وسلم واجبة في الجملة قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب
مالك واصحابه وغيرهم من اهل العلم الى ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
فرض بالجملة بعقد الايمان لا يتعين في الصلاة وان من صلى عليه مرة واحدة
من عمره سقط الفرض عنه الذي امر الله به ورسوله عليه السلام وهو في الصلاة
قالوا واما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة واما في الصلاة فحكى الامامان
ابو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتاخرين
من علماء الامة على ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد
غير واجبة وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على النبي صلى الله
عليه وسلم من بعد التشهد الاخير وقبل السلام فصلاته فاسدة
وان صلى عليه قبل ذلك لم تجزه ولا سلف له في هذا القول ولا سنة
يتبعها وقد بالغ في انكار هذه المسألة عليه لمخالفته فيها من تقدمه
جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد

وقال ابو بكر

ونهوا المغني علام [illegible] اللهم سلم على محمد [illegible] كذا

وقال اصحاب الشافعي الفرض منها [illegible] فرض في الخطبة الاولى والثانية [illegible] عند الشافعي كذا

وقال ابو بكر بن المنذر يستحب ان لا يصلي احد صلاة الا صلى فيها على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فان ترك ذلك تارك فصلاته مجزية عنه في مذهب مالك واهل المدينة
وسفيان الثوري واهل الكوفة من اصحاب الراي وغيرهم وهو قول جمل اهل العلم
وحكي عن مالك وسفيان انها في التشهد الاخير مستحبة وان تاركها في التشهد
مسيء وشذ الشافعي فاوجب على تاركها في الصلاة الاعادة واوجب اسحق
الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن محمد بن المواز ان
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة قال ابو محمد بن زيد ليست من فرائض الصلاة
وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب ان محمد
ابن المواز يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي وحكى ابو يعلى العبدي
المالكي عن المذهب فيها ثلاثة اقوال في الصلاة الوجوب والسنة والندب وقد
خالف الخطابي من اصحاب الشافعي وغيره في هذه المسألة قال الخطابي وليست
بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل
على انها ليست من فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه
وقد شنع الناس عليه هذه المسألة جدا وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره
الشافعي وهو الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
وكذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كابي هريرة وابن عباس وجابر وابن
عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير لم يذكروا فيه صلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد
كما يعلمنا السورة من القران ونحوه عن ابي سعيد وقال ابن عمر كان ابو بكر
يعلمنا التشهد على المنبر كما يعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه ايضا
على المنبر عمر بن الخطاب وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل علي قال ابن القصار
معناه كاملة او لمن لم يصل علي مرة في عمره وفي حديث ابي جعفر عن ابن مسعود عن النبي
صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه قال
الدارقطني الصواب انه من قول ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم اصل
فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها لا تتم
فصل في المواطن التي تستحب فيها الصلاة والسلام
على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك التشهد في الصلاة كما قدمناه وذلك

جل سهو

قيل هذا سهو من المصنف لان الشافعي اختار تشهد ابن عباس الذي فيه الصلوة عليه عليه السلام

في القاموس الكتاب [illegible] الكاتبون وقول الجوهري [illegible]

وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث

وراويه عن ابي جعفر جابر الجعفي وهو ضعيف [illegible] في التشهد الصلاة

بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا القاضي ابو علي رحمه الله بقراءتي عليه قال ثنا الامام ابو القسم
البلخي ثنا الفارسي عن ابي القسم الخزاعي عن ابي الهيثم عن ابي عيسى الحافظ قال ثنا
محمود بن غيلان ثنا عبد الله بن يزيد المقرئ ثنا حيوة بن شريح حدثني ابو هانئ الخولاني
ان عمرو بن مالك الجنبي اخبره انه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه
ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد ما شاء ويروى من غير هذا السند
بتمجيد الله وهو اصح وعن عمر بن الخطاب قال الدعاء والصلاة معلق بين السماء
والارض ولا يصعد الى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي عن
النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد وروي ان الدعاء محجوب حتى يصلي
الداعي على محمد النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليسأل فانه اجدر ان ينجح وعن جابر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع
متاعه فان احتاج الى شراب شربه او الوضوء توضأ والا اهراقه ولكن اجعلوني في اول
الدعاء واوسطه وآخره وقال ابن عطاء للدعاء اركان واجنحة واسباب واوقات
فان وافق اركانه قوي وان وافق اجنحته طار في السماء وان وافق مواقيته
فاز وان وافق اسبابه انجح فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة
والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق
ومواقيته الاسحار واسبابه الصلاة على محمد عليه السلام وفي الحديث الدعاء
بين الصلاتين علي لا يرد وفي حديث آخر كل دعاء محجوب دون السماء
فاذا جاءت الصلاة علي صعد الدعاء الى السماء وفي دعاء ابن عباس الذي
رواه عنه حنش فقال في آخره واستجب دعائي ثم تبدأ بالصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم ان تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك افضل ما صليت على احد من خلقك
اجمعين آمين ومن مواطن الصلاة عليه عند ذكره وسماع اسمه او كتابه او عند
الاذان وقد قال عليه السلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وكره ابن حبيب
ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون الصلاة عليه عند التعجب
وقال لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب قال اصبغ عن ابن
القسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس فقال فلا يقل فيهما بعد

وعن عائشة رض عن النبي صلى الله عليه وسلم صح

وعن ابن مسعود اذا اراد احدكم ان يسأل الله شيئا فليبدأ بحمده والثناء عليه بما هو اهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم صح

اي القرآن ... بكتب فيه اخبار ...

ذكر الله

ذكر الله محمد رسول الله ولولا بعد ذكر الله صلى الله على محمد لم يكن لتسمية له
مع الله وقال اشهب قال ولا ينبغي ان يجعل الصلاة على النبي عليه السلام
فيه استنانا وروى النسائي عن اوس بن اوس عن النبي عليه السلام الامر بالاكثار
من الصلاة عليه يوم الجمعة ومن مواطن الصلاة والسلام دخول المسجد
قال ابو اسحق بن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه
وسلم وعلى آله ويترحم عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم عليه تسليما
ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج يقول مثل ذلك ويجعل
موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا
على انفسكم قال ان لم يكن في البيت احد فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته
قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد فقل السلام
على رسول الله واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
وعن علقمة اذا دخلت المسجد اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله
وملائكته على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل واذا خرج ولم يذكر الصلاة واحتج
ابن شعبان لما ذكر بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام
والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث آخر القسم والاختلاف في الفاظه ومن
مواطن الصلاة عليه ايضا الصلاة على الجنائز وذكر عن ابي امامة انها من السنة
ومن مواطن الصلاة التي مضى عليها عمل الامة ولم ينكرها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
وآله في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول واحدث
عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض ومنهم من يختم به ايضا الكتب
وقال عليه السلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام
اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلاة
حدثنا ابو القسم خلف بن ابراهيم المقرئ قال حدثتني كريمة بنت محمد قالت ثنا
ابو الهيثم ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابو نعيم ثنا الاعمش عن شقيق بن سلمة
عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم
فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة

دينار

اي الصلاة عليه عليه السلام وصحبه بعد البسملة

اي المكاتبات والمراسلات والكتب التي تكتب

الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل
عبد صالح في السماء والارض هذا احد مواطن التسليم عليه وسنته اول التشهد وقد
روى مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم
واستحب مالك في المبسوط ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام قال محمد بن مسلمة اراد
ما جاء عن عايشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب
اهل العلم ان ينوي الانسان عند سلامه على كل عبد صالح في السماء والارض من
الملائكة وبني آدم والجن وقال مالك في المجموعة واحب للماموم اذا سلم امامه
ان يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام عليكم ● **فصل في كيفية الصلاة على النبي والتسليم**
حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه بقراتي عليه ح القاضي ابو الاصبغ ح ابو عبد الله
ابن عتاب ح ابو بكر بن واقد وغيره ح ابو عيسى ح عبيد الله ح يحيى ح مالك عن عبد الله
ابن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد الساعدي
انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته
كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ابرهيم
انك حميد مجيد وفي رواية مالك عن ابي مسعود الانصاري قال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى اله كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد كما باركت على ابرهيم
في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما علمتم وفي رواية كعب بن عجرة
اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد وال محمد
كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وعن عقبة بن عمرو في حديثه
اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى ال محمد وفي رواية ابي سعيد الخدري اللهم
صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه وحدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي
سماعا عليه وابو علي الحسن بن طريف النحوي بقراتي عليه قالا حدثنا ابو عبد الله
ابن سعدون الفقيه قال ح ابو بكر المطوعي قال ح ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر بن
ابي دارم الحافظ عن علي بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور
عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه عن ابيه الحسين عن ابيه
علي ابن ابي طالب رضي الله عنهم قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال عدهن

حين السلام

الزرقي نسبة الى بني زريق بطن من الانصار

تسلم يعني في التحيات وهو السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته

وفي البخاري قال ابو سعيد الخدري قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم

المطوعي بالضم وفتح الطاء المشددة وكسر الواو ... الى المطوعة وهم الذين ارصدوا انفسهم للجهاد

وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا انزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد
وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال
محمد كما باركت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى ال
محمد كما ترحمت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى ال
محمد كما تحننت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد وعن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل
اللهم صل على محمد النبي وازواجه امهات المومنين وذريته واهل بيته كما صليت
على ابرهيم انك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري سالت النبي
صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا علي واجتهدوا في الدعاء
ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم انك حميد
مجيد وعن سلامة الكندي كان علي رضي الله عنه يعلمنا الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وباري المسموكات اجعل شرائف
صلواتك ونوامي بركاتك ورافة تحننك على محمد عبدك ورسولك
الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات
الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا
لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس
الاء الله تصل باهله اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم
موضحات الاعلام ونايرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك المامون وخازن
علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة
اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنات له
غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم
اعل على بناء الناس بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره
واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل
وخطة فصل وبرهان عظيم وعنه ايضا في الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم ان الله وملائكته الاية لبيك اللهم ربي وسعديك
صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وما سبح لك من شيء يا رب العالمين

اللهم وسلم على محمد وعلى ال محمد كما سلمت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد

اهل نصب على الاختصاص

داحي الدرجات وباري المسموكات

تحننك الاضافة بيانية

فاضطلع افتعال من الضلاعة وهي القوة

قابس القابس ...

مستوفزا

المعلول المكرر ... العلل الشرب ... والنهل الشرب اولا

اجزه

على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين
الشاهد البشير الداعي اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام وعن عبد الله
ابن مسعود اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين
وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة
اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والآخرون اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصري
يقول من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم
صل على محمد وعلى آله واصحابه واولاده وازواجه وذريته واهل بيته
واصهاره وانصاره واشياعه ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم
الراحمين وعن طاوس عن ابن عباس انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة
محمد الكبرى وارفع درجته العليا وآته سؤله في الآخرة والاولى كما آتيت
ابرهيم وموسى وعن وهيب بن الورد انه كان يقول في دعائه
اللهم اعط محمدا افضل ما سالك لنفسه واعط محمدا افضل ما سالك
له احد من خلقك واعط محمدا افضل ما انت مسؤول له الى يوم القيمة
وعن ابن مسعود انه كان يقول اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم
فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه
وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين
وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد
الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون
والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم
وآل ابرهيم اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد
وما يؤثر في تطويل الصلاة وتكثير الثناء على آل البيت ومحبيهم
كثير وقوله والسلام كما قد علمتم هو ما علمهم في التشهد
من قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وفي تشهد السلام
على نبي الله السلام على انبياء الله ورسله السلام على رسول الله
السلام على محمد ابن عبد الله السلام علينا وعلى المؤمنين

وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد

والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته
واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
جاء في هذا الحديث عن علي الدعاء بالغفران للنبي وفي حديث الصلاة عليه
ايضا قبل الدعاء له بالرحمة ولم يات في غيره من الاحاديث المرفوعة المعروفة
وقد ذهب ابو عمر بن عبد البر وغيره الى انه لا يدعى للنبي بالرحمة وانما
يدعى له بالصلاة والبركة التي تختص به ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة
وقد ذكر ابو محمد بن ابي زيد في الصلاة على النبي اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما
ترحمت على ابرهيم وآل ابرهيم ولم يات في حديث صحيح وحجته قوله في السلام
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وان الصلاة عندهم من الله
بمعنى الرحمة فصل في فضيلة الصلاة على النبي عليه السلام
والتسليم عليه والدعاء له حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه القابوسي بن
مغيث ثنا ابو بكر بن معاوية ثنا النسائي انا سويد بن نصر انا عبد الله عن حيوة ابن شريح
قال اخبرني كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع يحدث انه سمع عبد الله
ابن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن
فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فانه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم
سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا ينبغي الا لعبد من عباد الله وارجو
ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وروى انس
ابن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشر
صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب
له عشر حسنات وعن انس عنه عليه السلام ان جبريل ناداني فقال من صلى
عليك صلاة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات ومن رواية
عبد الرحمن بن عوف عنه عليه السلام قال لقيت جبريل فقال لي ابشرك
ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه
من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان وعبد الله ابن ابي طلحة
وعن زيد بن الحباب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد
وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود

اي القرب من الله والمنزلة عنده وفي هذا الحديث انها درجة في الجنة نسخة

والاصح عند الذهبي انه تابعي وحديثه مرسل

قيل انه زيد بن الحباب ليس من الصحابة ولا من التابعين ولعل المصنف اسقط سائر الرواة في البين

ان اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم على صلاة وعن ابى هريرة عنه عليه السلام
من صلى على في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب
وعن عامر بن ربيعة قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من صلى على
صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى على فليقلل من ذلك او ليكثر وعن ابي
ابن كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام
فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت
بما فيه فقال ابى بن كعب يا رسول الله انى اكثر الصلاة عليك فكم اجعل
لك من صلاتى قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير
قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شئت
وان زدت فهو خير قال يا رسول الله فاجعل صلاتى كلها لك قال اذا
تكفى ويغفر ذنبك وعن ابى طلحة دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فرايت من بشره
وطلاقته ما لم اره قط فسالته فقال وما يمنعنى وقد خرج جبرئيل انفا
فاتانى ببشارة من ربى ان الله تعالى بعثنى اليك ابشرك انه ليس احد
من امتك يصلى عليك الا صلى الله عليه وملائكته بها عشرا
وعن جابر بن عبد الله قال قال النبى صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء
اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة
والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له الشفاعة وعن
سعد ابن ابى وقاص من قال حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا
وبالاسلام دينا غفر له وروى ابن وهب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من سلم
على عشرا فكانما اعتق رقبة وفى بعض الآثار ليردن على اقوام ما اعرفهم الا
بكثرة صلاتهم على وفى آخر ان انجاكم يوم القيمة من اهوالها ومواطنها
اكثركم على صلاة وعن ابى بكر رضى الله عنه الصلاة على النبى صلى الله عليه
وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه افضل من عتق الرقاب

فصل فى ذم من لم يصل على النبى عليه السلام واثمه

حدثنا القاضى الشهيد ابو على رحمه الله ثنا ابو الفضل ابن خيرون وابو الحسن الصيرفى قالا ثنا
ابو يعلى البغدادى ثنا ابو على السنجى ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى ثنا محمد بن ابراهيم الدورقى

حدثنا يحيى

[right margin:] قيل الصلوة هنا بمعنى الدعاء والمعنى ان لى زمانا ادعو فيه لنفسى فكم اجعل لك من ذلك الزمان للصلوة عليك
[right margin:] والدرجة الرفيعة

حدثنا ربعى بن ابرهيم عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد بن ابى سعيد
عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت
عنده فلم يصل على ورغم انف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل
ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه
الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وفى حديث آخر ان
النبى صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين ثم صعد فقال
آمين ثم صعد فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك فقال عليه السلام
ان جبرئيل صلى الله عليه وسلم اتانى فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم
يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين
وقال فيمن ادرك رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن ادرك
ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه
عنه عليه السلام ان البخيل الذى ذكرت عنده فلم يصل
على وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من ذكرت عنده فلم يصل على اخطئ به طريق الجنة وعن
على ابن ابى طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان البخيل
كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على وعن ابى هريرة قال ابو القاسم
صلى الله عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا الله
ويصلوا على النبى صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة ان
شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن ابى هريرة رض من نسى الصلاة على
نسى طريق الجنة وعن قتادة عنه عليه السلام من الجفاء ان
اذكر عند الرجل فلا يصلى على وعن جابر عنه عليه السلام قال
ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا عنه على غير صلاة على النبى صلى الله عليه
وسلم الا تفرقوا عن انتن من ريح الجيفة وعن ابى سعيد عن النبى
صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبى
صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة
لما يرون من الثواب وحكى ابو عيسى الترمذى عن بعض اهل
العلم قال اذا صلى الرجل على النبى صلى الله عليه وسلم مرة فى المجلس

[left margin:] ان شئت مثل ما قاله فيمن لم يصل عليه عليه السلام
[left margin:] اخطئ على صيغة المجهول اى اوقعه الله تعالى فى الخطاء عن طريق الجنة حيث لم يهتد اليه
[left margin:] ترة بكسر التاء الفوقانية والراء المهملة التبغيض

أجزأ عنه ما كان في ذلك المجلس **فصل في تخصيصه عليه السلام**
بتبليغ صلاة من صلى عليه أو سلم من الأنام حدثنا القاضي أبو عبد الله التميمي
ح الحسين بن محمد ح أبو عمر الحافظ ح ابن عبد المؤمن ح ابن داسة ح أبو داود ح
ابن عوف ح المقرئ ح حيوة عن أبي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط
عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد يسلم علي إلا رد
الله علي روحي حتى أرد عليه السلام وذكر أبو بكر ابن أبي شيبة عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن
صلى علي نائيا بلغته وعن ابن مسعود إن لله ملائكة سياحين في الأرض
يبلغوني عن أمتي السلام ونحوه عن أبي هريرة وعن ابن عمر أكثروا من السلام
على نبيكم كل جمعة فإنه يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية فإن أحدا
لا يصلي علي إلا عرضت صلاته علي حين يفرغ منها وعن الحسن عنه عليه السلام
حيث ما كنتم فصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس ليس أحد من أمة
محمد صلى الله عليه وسلم يسلم عليه ويصلي عليه إلا بلغه وذكر بعضهم أن العبد
إذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي إذا دخلت
المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا
بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم فإن صلاتكم
معروضة علي وعن سليمان بن سحيم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت
يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم
قال نعم وأرد عليهم وعن ابن شهاب قال بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال أكثروا علي من الصلاة في الليلة الزهراء واليوم الأزهر
فإنهما يؤديان عنكم وإن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء
وما من مسلم يصلي علي إلا حملها ملك حتى يؤديها إلي ويسميه حتى إنه ليقول
إن فلانا يقول كذا وكذا **فصل في الاختلاف في الصلاة**
على غير النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الأنبياء عليهم السلام قال
الفقيه القاضي أبو الفضل رضي الله عنه عامة أهل العلم متفقون على جواز الصلاة
على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس أنه لا تجوز الصلاة على غير
النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه لا تنبغي الصلاة على أحد إلا النبيين

وقال سفيان

وقال سفيان يكره أن يصلى إلا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي
مذهب مالك أنه لا يجوز أن يصلى على أحد من الأنبياء سوى محمد صلى الله عليه
وسلم وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال مالك في المبسوط ليحيى ابن
إسحق أكره الصلاة على غير الأنبياء ولا ينبغي لنا أن نتعدى ما أمرنا به قال
يحيى بن يحيى لست آخذ بقوله ولا بأس بالصلاة على الأنبياء كلهم وعلى غيرهم
واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة
عليه وفيه وعلى أزواجه وعلى أهله وقد وجدت معلقا عن أبي عمران الفاسي
روي عن ابن عباس كراهة الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم قال وبه
نقول ولم يكن تستعمل فيما مضى وقد روى عبد الرزاق عن أبي هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على أنبياء الله ورسله فإن الله بعثهم
كما بعثني قالوا والأسانيد عن ابن عباس لينة والصلاة في لسان
العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الإطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح
أو إجماع وقد قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته الآية
وقال خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الآية وقال
أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل
على آل أبي أوفى وكان إذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان
وفي حديث الصلاة اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته وفي آخر وعلى
آل محمد قيل أتباعه وقيل أمته وقيل آل بيته وقيل آل الرجل ولده وقيل
قومه وقيل أهله الذين حرمت عليهم الصدقة وفي رواية أنس سئل النبي
صلى الله عليه وسلم من آل محمد فقال كل تقي ويجيء على مذهب الحسن أن
المراد بآل محمد محمد نفسه فإنه كان يقول في صلاته اللهم اجعل صلواتك
وبركاتك على آل أحمد يريد نفسه لأنه كان لا يخل بالفرض ويأتي بالنفل
لأن الفرض الذي أمر الله به هو الصلاة على محمد نفسه وهذا مثل قوله عليه السلام
لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد من مزامير داود وفي حديث أبي حميد
الساعدي في الصلاة اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته وفي حديث
ابن عمر أنه كان يصلي على النبي عليه السلام وعلى أبي بكر وعمر وروى
ابن وهب عن أنس بن مالك كنا ندعو لأصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل

منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل ويصومون بالنهار
قال الفقيه القاضي ابو الفضل رضي الله عنه والذي ذهب اليه المحققون واميل اليه
ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله وروي عن ابن عباس واختاره غير واحد
من الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبياء عند ذكرهم بل هو شيء
يختص به الانبياء توقيرا لهم وتعزيزا كما يختص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس
والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم
وسائر الانبياء بالصلاة والتسليم ولا يشارك فيه سواهم كما امر الله تعالى به
بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الائمة وغيرهم بالغفران
والرضى كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان وقال الذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم وايضا فهو امر لم يكن
معروفا في الصدر الاول كما قال ابو عمران وانما احدثه الرافضة والمتشيعة
في بعض الائمة فشاركوهم عند الذكر بالصلاة وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك وايضا فان التشبه باهل البدع منهي عنه فيجب مخالفتهم فيما التزموه
من ذلك وذكر الصلاة على الآل والازواج مع النبي صلى الله عليه وسلم
بحكم التبع والاضافة اليه لا على التخصيص وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم
على من صلى عليه مجرى الدعاء والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم والتوقير قالوا
وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
فكذلك يجب ان يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض وهذا
اختيار الامام ابي المظفر الاسفرائيني من شيوخنا

فصل في حكم زيارة قبره عليه السلام

زيارة قبره عليه السلام وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو وزيارة
قبره عليه السلام سنة من المسلمين مجتمع عليها وفضيلة مرغب فيها روي
عن ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي وعن انس
ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا
كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيمة وفي حديث آخر من زارني بعد
موتي فكانما زارني في حياتي وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم
وقد اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله عليه السلام
لعن الله زوارات القبور وهذا يرده قوله عليه السلام نهيتكم عن زيارة

القبور

عن عائشة رضي الله عنها انها قالت
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ما عمل ابن آدم من عمل
يوم النحر احب الى الله تعالى
من هراقة الدم
صدق رسول الله فيما قال
وصدق حبيب الله الملك المتعال

القبور فزوروها وقوله من زار قبري فقد اطلق اسم الزيارة وقيل ذلك لما قيل
ان الزائر افضل من المزور وهذا ايضا ليس بشيء اذ ليس كل زائر بهذه الصفة
وليس عموما وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ
في حقه والاولى عندي ان منعه وكراهة مالك له لاضافته الى قبر النبي وانه
لو قال زرنا النبي لم يكرهه لقوله عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد
اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد فحمى اضافة هذا اللفظ
الى القبر والتشبه بفعل اولئك قطعا للذريعة وحسما للباب والله اعلم
وقال ابو عمران انما كره مالك ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي
عليه السلام لاستعمال الناس ذلك بعضهم لبعض ورتبوية النبي مع الناس بهذا
اللفظ واحب ان يخص بان يقال سلمنا على النبي عليه السلام وايضا فان الزيارة مباحة
بين الناس وواجب شد المطي الى قبره عليه السلام يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب
وتاكيد قال اسحق بن ابرهيم الفقيه ومما لم يزل من شان من حج المرور بالمدينة
والقصد الى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية
روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود الذي
كان يستند اليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه وعن عمره وقصده من
الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله وقال ابن ابي فديك سمعت
بعض من ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فتلا هذه الآية ان الله وملائكته يصلون على النبي ثم قال صلى
الله عليه وسلم يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك
يا فلان ولم يسقط له حاجة وعن يزيد بن ابي سعيد المهري قدمت على عمر
ابن عبد العزيز فلما ودعته قال لي اليك حاجة اذا اتيت المدينة
سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاقرئه مني السلام قال غيره وكان
يبرد اليه البريد من الشام قال بعضهم رايت انس بن مالك اتى قبر النبي
صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم انصرف قال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي
صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم
ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله

قال ابو عمر انما كره ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي
صلى الله عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بينهم بعضهم لبعض وكره
تسوية النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ واحب ان يخص
بان يقال سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم وايضا فان الزيارة
مباحة بين الناس وواجب شد المطي الى قبره عليه السلام
يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتاكيد نسخه

عليه وسلم يدعوا ولكن يسلم ويمضي قال ابن ابي مليكة من احب ان يقوم وجاه
النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه وقال
نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رأيته مائة مرة او اكثر يجيء الى القبر فيقول السلام
على النبي السلام على ابي بكر السلام على عمر ثم ينصرف ورؤي واضعا يده على
مقعد النبي عليه السلام من المنبر ثم وضعها على وجهه وعن ابن قسيط كان
اصحاب النبي اذا خلا المسجد جسوا رمانة المنبر التي تلي القبر بميامنهم ثم استقبلوا
القبلة يدعون وفي الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الليثي انه كان يقف على قبر
النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي على النبي وعلى ابي بكر وعمر وعند ابن القسم والقعنبي
ويدعو لابي بكر وعمر قال القاضي ابو الوليد الباجي وعندي انه يدعو للنبي عليه
السلام بلفظ الصلاة ولابي بكر وعمر كما في حديث ابن عمر من الخلاف وقال
ابن حبيب واذا دخل مسجد الرسول فقل بسم الله وسلام على رسول الله السلام علينا
من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك
وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة وهي ما بين القبر
والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيهما وتسأله تمام
ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت ركعتاك في غير الروضة اجزأتاك
وفي الروضة افضل وقد قال عليه السلام ما بين قبري ومنبري روضة من
رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا
متوقرا فتصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على ابي بكر وعمر وتدعو
لهما واكثر من الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار
ولا تدع ان تأتي مسجد قبا وقبور الشهداء قال مالك في كتاب محمد ويسلم
على النبي اذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك قال محمد واذا خرج
جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن
وهب عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا
دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي
وافتح لي ابواب فضلك وفي رواية اخرى فليسلم مكان فليصل فيه
ويقول اذا خرج اللهم اني اسألك من فضلك وفي اخرى اللهم احفظني
من الشيطان وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون اذا دخلوا

المسجد

قال مالك في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر

الترعة الباب والترعة ايضا الروضة والترعة العتبة

اي فيما بين دخوله وخروجه وهو وقت اقامته بالمدينة

رحمتك واذا خرجت فصل على النبي وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح ابواب

المسجد صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله بسم الله
دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل
ذلك وعن فاطمة ايضا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد
قال صلى الله عليه وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله
وسمى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر مثله وفي رواية بسم الله
والسلام على رسول الله وعن غيرها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي ابواب رحمتك ويسر لي ابواب رزقك وعن
ابي هريرة اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم
افتح لي وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من اهل المدينة الوقوف
بالقبر وانما ذلك للغرباء وقال فيه ايضا لا بأس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان
يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر فقيل له فان
ناسا من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر
وربما وقفوا في الجمعة او في الايام المرة والمرتين او اكثر عند القبر فيسلمون ويدعون
ساعة فقال لم يبلغني هذا عن احد من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح
آخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا
يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر او اراده قال ابن القسم ورأيت اهل المدينة
اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا قال وذلك رأيي قال الباجي ففرق بين
اهل المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا لذلك واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها
من اجل القبر والتسليم وقال عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب
الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن
كتاب احمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف
عنده طويلا وفي العتبية يبدأ بالركوع قبل السلام في مسجد النبي عليه السلام
واحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق
واما في الفريضة فالتقدم الى الصفوف والتنفل فيه للغرباء احب الي
من التنفل في البيوت. فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله
عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه من فضله وفضل الصلاة فيه وفي
مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة قال الله

المسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي مسجد هو قال مسجدي هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك ابن أنس وغيرهم وعن ابن عباس أنه مسجد قبا حدثنا هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه قال ح الحسين بن محمد الحافظ ح أبو عمر النمري ح أبو محمد بن عبد المؤمن ح أبو بكر بن داسة ح أبو داود ح مسدد ح سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى وقد تقدمت الآثار في الصلاة والسلام على النبي عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل المسجد قال أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال مالك رحمه الله سمع عمر بن الخطاب صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن أنت قال رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين لأدبتك إن مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لأحد أن يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من الأذى وأن ينزه عما يكره قال القاضي رضي الله عنه حكى ذلك كله القاضي إسمعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون أن حكم سائر المساجد هذا الحكم قال القاضي إسمعيل قال محمد يعني ابن مسلمة ويكره في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت قد كره رفع الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات إلا المسجد الحرام ومسجدنا وقال أبو هريرة عنه عليه السلام صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام قال الفقيه القاضي أبو الفضل رضي الله عنه اختلف الناس في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب مالك في رواية أشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة أصحابه إلى أن معنى الحديث أن الصلاة في مسجد الرسول أفضل من الصلاة في سائر المساجد بألف صلاة إلا المسجد الحرام فإن الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلاة فيه بدون الألف واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه فتأتي فضيلة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم على غيره بألف وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب ومالك وأكثر

المدنيين

المدنيين وذهب أهل مكة والكوفة إلى تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن حبيب وابن وهب من أصحاب مالك وحكاه الباجي عن الشافعي وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره وأن الصلاة في المسجد الحرام أفضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث أبي هريرة وفيه وصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة وروى قتادة مثله فتأتي فضل الصلاة في المسجد الحرام على هذا على الصلاة في سائر المساجد بمائة ألف ولا خلاف أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض قال القاضي أبو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي إلى أن هذا التفضيل إنما هو في صلاة الفرض وذهب مطرف من أصحابنا إلى أن ذلك في النافلة أيضا وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وقال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله عن أبي هريرة وأبي سعيد وزاد ومنبري على حوضي وفي حديث آخر ومنبري على ترعة من ترع الجنة قال الطبري فيه معنيان أحدهما أن المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع أنه روي ما بين حجرتي ومنبري والثاني أن البيت هنا القبر وهو قول زيد بن أسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري قال الطبري وإذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينها خلاف لأن قبره في حجرته وهو بيته صلى الله عليه وسلم وقوله ومنبري على حوضي قيل يحتمل أنه منبره بعينه الذي كان في الدنيا وهو أظهر والثاني أن يكون له هناك منبر والثالث أن قصد منبره والحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجي وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين أحدهما أنه موجب لذلك وأن الدعاء والصلاة فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف والثاني أن تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها قاله الداودي وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد

النمري
هو حافظ المغرب ابن عبد البر صاحب الاستيعاب والتمهيد

ثقيف
قبيلة من هوازن وثقيف في الأصل اسم ... فأطلق على أب القبيلة

أي لو كنت من مكة أو المدينة لأعزرتك

تخصص
في ... ليس رفع الصوت ... المساجد لا ينبغي أن يرفع الصوت في المساجد كلها

إلا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيمة وقال فيمن تحمل عن المدينة والمدينة
خير لهم لو كانوا يعلمون وقال إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها
وقال لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها إلا أبدلها الله خيرا منه وروى
عنه صلى الله عليه وسلم من مات في أحد الحرمين حاجا أو معتمرا بعثه
الله يوم القيمة لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق آخر بعث من الآمنين
يوم القيمة وعن ابن عمر من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني
أشفع لمن يموت بها وقال تعالى إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة
مباركا إلى قوله آمنا وقال بعض المفسرين آمنا من النار وقيل
كان يأمن من الطلب من أحدث حدثا ولجأ إليه في الجاهلية وهذا مثل
قوله وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا على قول بعضهم وحكي أن قوما
أتوا سعدون الخولاني بالمنستير فأعلموه أن كتامة قتلوا رجلا وأضرموا عليه
النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي أبيض البدن فقال لعله حج ثلث حجج
قالوا نعم قال حدثت أن من حج حجة أدى فرضه ومن حج ثانية داين ربه
ومن حج ثلث حجج حرم الله شعره وبشره على النار ولما نظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما أعظمك وأعظم
حرمتك وفي الحديث عنه عليه السلام ما من أحد يدعو الله عند الركن
الأسود إلا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب وعنه عليه السلام
من صلى خلف المقام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيمة
من الآمنين قال الفقيه القاضي أبو الفضل رضي الله عنه قرأت
على الفقيه القاضي الحافظ أبي علي رحمه الله حدثنا أبو العباس العذري
قال ثنا أبو أسامة محمد بن أحمد الهروي ثنا الحسن بن رشيق سمعت أبا الحسن
محمد بن الحسن بن راشد سمعت أبا بكر محمد بن إدريس سمعت الحميدي
قال سمعت سفيان ابن عيينة قال سمعت عمرو ابن دينار قال سمعت ابن
عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعى
أحد بشيء في هذا الملتزم إلا استجيب له قال ابن عباس وأنا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم مذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلا استجيب لي قال عمرو بن دينار وأنا فما دعوت الله بشيء مذ سمعت

هذا

هذا من ابن عباس إلا استجيب لي وقال سفيان وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا
الملتزم مذ سمعت هذا من عمرو إلا استجيب لي قال الحميدي وأنا فما دعوت الله بشيء
في هذا الملتزم مذ سمعت هذا من سفيان إلا استجيب لي وقال أبو الحسن محمد ابن
الحسن وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم مذ سمعت هذا من محمد ابن
إدريس إلا استجيب لي قال أبو أسامة وما أذكر الحسن ابن رشيق قال فيه
شيئا وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم مذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق إلا
استجيب لي من أمر الدنيا وأنا أرجو أن يستجاب لي من أمر الآخرة قال العذري وأنا
فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم مذ سمعت هذا من أبي أسامة إلا استجيب لي
قال أبو علي وأنا قد دعوت الله فيه بأشياء كثيرة استجيب لي بعضها وأرجو
من سعة فضله أن يستجيب لي بقيتها قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه ذكرنا
نبذا من هذه النكتة في هذا الفصل وإن لم يكن من الباب لتعلقها بالفصل
الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله الموفق للصواب برحمته

القسم الثالث فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم

وما يستحيل أو يجوز عليه وما يمتنع أو يصح من الأحوال البشرية أن يضاف
إليه قال الله تعالى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات
أو قتل الآية وقال ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل
وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام وقال وما أرسلنا قبلك
من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وقال
قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي الآية فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر
الأنبياء من البشر ولولا ذلك لما أطاق الناس مقاومتهم والقبول
عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا أي لما كان إلا في صورة البشر الذين يمكنكم مخالطتهم إذ لا تطيقون
مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته إذا كان على صورته وقال
قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء
ملكا رسولا أي لا يمكن في سنة الله إرسال الملك إلا لمن يكون من
جنسه أو من خصه الله واصطفاه وقواه على مقاومته كالأنبياء والرسل
وسائط بين الله وبين خلقه يبلغونهم أوامره ونواهيه ووعده ووعيده

ونيرهم فوقهم بما لم يعلموه من أمره وخلقه وحاله وسلطانه وجبروته وملكوته
فظواهرهم وأجسادهم وبنيتهم متصفة بأوصاف البشر طارئ عليها ما يطرأ
على البشر من الأعراض والأسقام والموت والفناء ونعوت الإنسانية
وأرواحهم وبواطنهم متصفة بأعلى من أوصاف البشر متعلقة بالملأ الأعلى
متشبهة بصفات الملائكة سليمة من التغير والآفات لا يلحقها غالبا عجز
البشرية ولا ضعف الإنسانية إذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم
لما أطاقوا الأخذ عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم
من البشر ولو كانت أجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف
صفات البشر لما أطاق البشر ومن أرسلوا إليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله
فجعلوا من جهة الأجسام والظواهر مع البشر ومن جهة الأرواح والبواطن
مع الملائكة كما قال عليه السلام لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر
خليلا ولكن أخوة الإسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال تنام
عيناي ولا ينام قلبي وقال إني لست كهيئتكم إني أظل يطعمني ربي و
يسقيني فبواطنهم منزهة عن الآفات مطهرة من النقائص والاعتلالات
وهذه جملة لن يكتفي بمضمونها كل همة بل الأكثر يحتاج إلى بسط و
تفصيل على ما نأتي به بعد هذا في البابين بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل

الباب الأول فيما يختص بالأمور الدينية والكلام

في عصمة نبينا وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم قال القاضي أبو الفضل
رضي الله عنه اعلم أن الطوارئ من التغييرات والآفات على آحاد البشر
لا تخلو أن تطرأ على جسمه أو على حواسه بغير قصد واختيار وكله في
الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله إلى ثلاثة أنواع عقد
بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم
الآفات والتغييرات بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها
والنبي صلى الله عليه وسلم وإن كان من البشر ويجوز على جبلته
ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة
الإجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات التي
تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه إن شاء الله تعالى

فيما نأتي به من التفاصيل **فصل في حكم عقد قلب النبي** صلى الله عليه وسلم من وقت
نبوته اعلم منحنا الله وإياك توفيقه أن ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والإيمان
به وبما أوحي إليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل
بشيء من ذلك أو الشك أو الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة
بذلك واليقين هذا ما وقع إجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة
أن يكون في عقود الأنبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول إبراهيم عليه السلام
قال بلى ولكن ليطمئن قلبي إذ لم يشك إبراهيم في إخبار الله تعالى له بإحياء الموتى
ولكن أراد طمأنينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الإحياء فحصل له العلم
الأول بوقوعه وأراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته الوجه الثاني
أن إبراهيم عليه السلام إنما أراد اختبار منزلته عند ربه وعلم إجابته دعوته بسؤال ذلك
من ربه ويكون قوله أولم تؤمن أي تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك
الوجه الثالث أنه سأل زيادة يقين وقوة طمأنينة وإن لم يكن في الأول
شك إذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك
على الضروريات ممتنع ومجوز في النظريات فأراد الانتقال من النظر أو الخبر
إلى المشاهدة والترقي من علم اليقين إلى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا
قال سهل بن عبد الله سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله
الوجه الرابع أنه لما احتج على المشركين بأن ربه يحيي ويميت طلب
ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول بعضهم هو سؤال
على طريق الأدب المراد أقدرني على إحياء الموتى وقوله ليطمئن قلبي من هذه
الأمنية الوجه السادس أنه أرى من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب
فيزداد قربه وقول نبينا عليه السلام نحن أحق بالشك من إبراهيم نفي لأن يكون
إبراهيم شك وإبعاد للخواطر الضعيفة أن تظن هذا بإبراهيم أي نحن موقنون
بالبعث وإحياء الله تعالى الموتى فلو شك إبراهيم لكنا أولى بالشك
منه إما على طريق الأدب أو أن يريد أمته الذين يجوز عليهم الشك
أو على طريق التواضع والإشفاق إن حملت قصة على اختبار حاله أو زيادة
يقينه فإن قلت فما معنى قوله فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك
فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك الآيتان فاحذر ثبت الله

قلبك أن يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس وغيره من
اثبات شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه
جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن ابن جبير
والحسن وحكى قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسأل وعامة المفسرين
على هذا واختلفوا في معنى الآية فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت في شك
الآية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التأويل قوله تعالى قل يا ايها الناس
ان كنتم في شك من ديني الآية وقيل المراد بالخطاب العرب وغير النبي كما قال
لئن اشركت ليحبطن عملك الآية الخطاب له والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية
مما يعبد هؤلاء ونظيره كثيرة كما قال بكر بن العلاء الا ترى انه يقول و
لا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله وهو عليه السلام كان المكذب فيما
يدعوا اليه فكيف يكون ممن يكذب به هذا كله يدل على ان المراد بالخطاب
غيره ومثل هذه الآية قوله تعالى الرحمن فاسأل به خبيرا المأمور هاهنا غير النبي
صلى الله عليه وسلم ليسأل النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم هو الخبير المسؤول
لا المستخبر السائل وقال ان هذا الشك الذي امر غير النبي صلى الله عليه وسلم
بسؤال الذين يقرؤن الكتاب انما هو فيما قصه الله من اخبار الامم لا فيما
دعى اليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى وسئل من ارسلنا
من قبلك من رسلنا المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم
قاله القتبي وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا فحذف الخافض وتم الكلام
ثم ابتداء الكلام اجعلنا من دون الرحمن الى آخر الآية على طريق الانكار
اي ما جعلنا حكاه مكي وقيل امر النبي ان يسأل الانبياء ليلة
الاسراء عن ذلك فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى السؤال فروي
انه قال لا اسأل قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل اسأل امم من ارسلنا
هل جاؤهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدي والضحاك
وقتادة والمراد بهذا والذي قبله اعلامه بما بعثت به الرسل وانه لم يأذن
تعالى في عبادة غيره لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم
انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين
آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن

من الممترين

من الممترين اي في علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك وليس المراد به
شكه فيما ذكر في اول الآية وقد يكون ايضا على مثل ما تقدم اي قل لمن
امترى يا محمد في ذلك لا تكونن من الممترين بدليل قوله اول الآية افغير الله
ابتغي حكما الآية وان النبي يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله
أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين وقد علم انه لم يقل وقيل معناه ما
كنت في شك فسل تزدد طمأنينة وعلما الى علمك ويقينك وقيل
ان كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك في
الكتب ونشر فضائلك وروي عن ابي عبيدة ان المراد ان كنت
في شك من غيرك فيما انزلنا فان قيل فما معنى قوله حتى اذا استيئس
الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف قلنا المعنى في ذلك
ما قالته عائشة رضي الله عنها معاذ الله ان تظن ذلك الرسل بربها
وانما معنى ذلك ان الرسل لما استيئسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من
اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل ان الضمير في ظنوا
عائد على الاتباع والامم لا على الانبياء والرسل وهو قول ابن عباس
والنخعي وابن جبير وابي عبيد وجماعة من العلماء وبهذا المعنى قرأ
مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه
مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء وكذلك ما ورد
في حديث السيرة ومبتداء الوحي من قوله لخديجة لقد خشيت
على نفسي ليس معناه الشك فيما اتاه من الله بعد رؤية الملك
ولكن لعله خشي ان لا تحمل قوته مقاومة الملك واعباء الوحي
لينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا على ما ورد في الصحيح انه قاله بعد
لقائه الملك او يكون ذلك قبل لقائه الملك واعلام الله تعالى
له بالنبوة لاول ما عرضت عليه من العجائب وسلم عليه الحجر والشجر
وبدأته المنامات والتباشير كما روي في بعض طرق هذا
الحديث ان ذلك كان اولا في المنام ثم اري في اليقظة مثل
ذلك تأنيسا له عليه السلام لئلا يفجأه الامر مشاهدة ومشافهة
فلا يحتمله لاول حالة بنية البشرية وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها

أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب
إليه الخلاء وقالت إلى أن جاءه الحق وهو في غار حراء الحديث وعن ابن عباس
مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى
الضوء سبع سنين ولا يرى شيئاً وثماني سنين يوحى إليه وقد روى ابن
إسحق عن بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وذكر جواره بغار حراء
قال فجاءني وأنا نائم فقال اقرأ فقلت ما أقرأ وذكر نحو حديث عائشة في غطه
له وإقرائه اقرأ باسم ربك السورة قال فانصرف عني وهببت من نومي
فكأنما صورت في قلبي ولم يكن أبغض إلي من شاعر أو مجنون ثم قلت
لا تحدث عني قريش بهذا أبداً لأعمدن إلى حالق من الجبل فلأطرحن
نفسي منه فلأقتلنها فبينا أنا عامد لذلك إذ سمعت منادياً ينادي من
السماء يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فرفعت رأسي فإذا جبريل في صورة
رجل وذكر الحديث فقد بين في هذا أن قوله لما قال وقصده ما قصد
إنما كان قبل لقاء جبريل عليهما السلام وقبل إعلام الله له بالنبوة وإظهاره واصطفائه
له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل أنه عليه السلام قال لخديجة إني إذا خلوت
وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله أن يكون هذا لأمر ومن رواية حماد بن سلمة
أن النبي عليه السلام قال لخديجة إني لأسمع صوتاً وأرى ضوءاً وأخشى أن يكون
بي جنون وعلى هذا يتأول لو صح قوله في بعض هذه الأحاديث إن الأبعد
شاعر أو مجنون وألفاظ يفهم منها معاني الشك في تصحيح ما رآه وأنه كان
كله في ابتداء أمره وقبل لقاء الملك له وإعلام الله أنه رسوله فكيف
وبعض هذه الألفاظ لا يصح طرقها وأما بعد إعلام الله تعالى له ولقائه
الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما ألقي إليه وقد روى ابن
إسحق عن شيوخه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى بمكة من العين
قبل أن ينزل عليه فلما نزل عليه القرآن أصابه نحو ما كان يصيبه فقالت
له خديجة أوجه إليك من يرقيك قال أما الآن فلا وحديث خديجة واختبارها
جبريل بكشف رأسها الحديث إنما ذلك في حق خديجة لتتحقق صحة
نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الذي يأتيه ملك ويزول الشك
عنها لا أنها فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وليختبر هو حاله بذلك بل قد ورد

في حديث

في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن أبيه عن عائشة أن ورقة
أمر خديجة أن تختبر الأمر بذلك وفي حديث إسمعيل بن أبي حكيم أنها قالت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عمي هل تستطيع أن تخبرني بصاحبك إذا جاءك
قال نعم فلما جاءه جبريل أخبرها فقالت له اجلس إلى شقي وذكر الحديث إلى آخره
وفيه فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عمي فاثبت وأبشر وآمنت به
فهذا يدل على أنها مستثبتة بما فعلته لنفسها ومستظهرة لإيمانها لا للنبي صلى الله عليه
وسلم وقول معمر في فترة الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزناً غدا منه
مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال لا يقدح في الأصل لقول معمر عنه
فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا أن النبي صلى
الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا إلا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم
مع أنه قد يحمل على أنه كان أول الأمر كما ذكرناه أو أنه فعل ذلك لما أحرجه
من تكذيب من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا
بهذا الحديث أسفاً ويصحح معنى هذا التأويل حديث رواه شريك عن عبد الله
بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله أن المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة
للتشاور في شأن النبي صلى الله عليه وسلم واتفق رأيهم على أن يقولوا إنه
ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فأتاه جبريل فقال يا أيها
المزمل يا أيها المدثر أو خاف أن الفترة لأمر أو سبب منه فخشي أن تكون
عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك
فيعترض به ونحو هذا فرار يونس خشية تكذيب قومه له لما وعدهم
به من العذاب وقول الله في يونس فظن أن لن نقدر عليه معناه أن لن نضيق
عليه قال مكي طمع في رحمة الله وأن لا يضيق عليه مسلكه في خروجه
وقيل حسن ظنه بمولاه أنه لا يقضي عليه العقوبة وقيل نقدر عليه ما أصابه
وقد قرئ نقدر عليه بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه وقال ابن زيد
معناه أفظن أن لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق أن يظن بنبي أن يجهل
صفة من صفات ربه وكذلك قوله إذ ذهب مغاضباً الصحيح مغاضباً
لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما لا لربه إذ مغاضبة
الله تعالى معاداة له ومعاداة الله كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالأنبياء

وقيل مستحيياً من قومه أن يسموه بالكذب أو يقتلوه كما ورد في الخبر وقيل
مغاضباً لبعض الملوك فيما أمره به من التوجه إلى ما أمره الله به على لسان نبي
آخر فقال له يونس غيري أقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضباً وقد روي
عن ابن عباس أن إرسال يونس ونبوته إنما كان بعد أن نبذه الحوت
واستدل من الآية بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من
يقطين وأرسلناه ويستدل أيضاً بقوله ولا تكن كصاحب الحوت
إذ نادى وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين
فتكون هذه القصة إذاً قبل نبوته فإن قيل فما معنى قوله عليه السلام إنه ليغان
على قلبي فأستغفر الله في كل يوم مائة مرة وفي طريق في اليوم أكثر من
سبعين مرة فاحذر أن يقع ببالك أن يكون هذا الغين وسوسة أو ريباً
وقع في قلبه عليه السلام بل أصل الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه قاله
أبو عبيد وأصله من غين السماء وهو إطباق الغيم عليها وقال غيره الغين
شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق الذي يعرض في
الهواء فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث أنه يغان على قلبه مائة مرة
أو أكثر من سبعين في اليوم إذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه وهو أكثر
الروايات وإنما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين إشارة
إلى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق
بما كان صلى الله عليه وسلم دفع إليه من مقاساة البشر وسياسة الأمة و
معاناة الأهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه من أعباء
أداء الرسالة وحمل الأمانة وهو في كل هذا في طاعة ربه وإطاعة خالقه
ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم أرفع الخلق عند الله مكانة
وأعلاهم درجة وأتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه و
خلو همه وتفرده بربه وإقباله بكليته عليه ومقامه هنالك أرفع حاليه
رأى عليه السلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضاً من علي حاله وخفضاً
من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا أولى وجوه الحديث وأشهرها
وإلى معنى ما أشرنا إليه فيه مال كثير من الناس وحام حوله فقارب
ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على

جواز

خطبة مطلق نور قلوب العارفين ١ — مطلق يدعو كل أحد ٢
مطلع أنعم علينا ٣ — مطلق أمر عباده ٣ — صبغة قل هو الله أحد ٤
مطلق تقدس عن الحدود ٤ — مطلق خلق الإنسان ٥ — خطبة ختم ٥
مطلق جعل أول ما خلقه ٦ — خطبة في فضيلة حسين ٦
ابتدا مستغفر فيه سنة واردة دعاء ٧ — خطبة مطلق أرشدنا ٧ — خطبة رجب أنزل على عبده ٨
خطبة محرم حمداً للشهور ٨ — خطبة ربيع الأول جعل ربيع الأول — خطبة مطلق جعل السلطان في العالم

على جواز الفترات والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي
وذهبت طائفة من أرباب القلوب والمشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه
النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة وأجله أن يجوز عليه في حال سهو أو فترة
إلى أن معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من أمر أمته عليه السلام
لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون
الغين هنا على قلبه السكينة التي تتغشاه كقوله تعالى فأنزل الله
سكينته عليه ويكون استغفاره عليه السلام عندها إظهاراً للعبودية
والافتقار قال ابن عطاء استغفاره وفعله هذا تعريف للأمة يحملهم
على الاستغفار قال غيره ويستشعرون الحذر ولا يركنون إلى الأمن
وقد يحتمل أن يكون هذه الإغانة حالة خشية وإعظام يغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكراً
لله وملازمة لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة أفلا أكون عبداً
شكوراً وعلى هذه الوجوه الأخيرة يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث
عنه عليه السلام إنه ليغان على قلبي في اليوم أكثر من سبعين مرة فأستغفر الله
فإن قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد عليه السلام ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا
تكونن من الجاهلين وقوله لنوح عليه السلام فلا تسألني ما ليس لك به علم إني
أعظك أن تكون من الجاهلين فاعلم أنه لا يلتفت في ذلك إلى قول من قال
في آية نبينا لا تكونن ممن يجهل أن الله لو شاء لجمعهم على الهدى وفي آية نوح
لا تكونن ممن يجهل أن وعد الله حق لقوله وإن وعدك الحق إذ فيه إثبات
الجهل بصفة من صفات الله وذلك لا يجوز على الأنبياء والمقصود وعظهم
أن لا يتشبهوا في أمورهم بسمات الجاهلين كما قال إني أعظك
وليس في آية منها دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن
الكون عليها فكيف وآية نوح قبلها فلا تسألني ما ليس لك به علم
فحمل ما بعدها على ما قبلها أولى لأن مثل هذا قد يحتاج إلى إذن وقد
يجوز إباحة السؤال فيه ابتداء فنهاه الله أن يسأله عما طوى عنه علمه
وأكنه من غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم أكمل الله نعمته
عليه بإعلامه ذلك بقوله إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح حكاه معناه مكي
كذلك أمر نبينا في الآية الأخرى بالتزام الصبر على إعراض قومه ولا يحرج

أي ويجعلون الحذر شعاراً لأنفسهم ٥

حين قال له أصحابه أتتهجد وتتعب نفسك حتى ترم قدماك المباركتان ٥

فالعدد للغين لا للاستغفار كما سلف له

تحمل ما قبلها على ما بعدها

عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحير حكاه أبو بكر بن فورك وقيل معنى
الخطاب لأمة محمد أي فلا يكونوا من الجاهلين حكاه أبو محمد مكي وقال مثله
في القرآن كثير فبهذا الفصل يوجب القول بعصمة الأنبياء منه بعد النبوة قطعًا
فإن قلت فإذا تقرر عصمتهم من هذا وأنه لا يجوز عليهم شيء من ذلك فما معنى
إذا وعيد الله لنبينا عليه السلام على ذلك إن فعله وتحذيره منه لقوله لئن أشركت
ليحبطن عملك الآية وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الآية
وقوله إذا لأذقناك ضعف الحياة الآية وقوله لأخذنا منه باليمين وقوله
وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله وقوله فإن يشأ الله
يختم على قلبك وقوله وإن لم تفعل فما بلغت رسالته وقوله اتق الله ولا تطع
الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله وإياك أنه عليه السلام لا يصح
ولا يجوز عليه أن لا يبلغ ولا أن يخالف أمر ربه ولا أن يشرك ولا يتقول على
الله ما لا يجب أو يفتري عليه أو يضل أو يختم على قلبه أو يطيع الكافرين لكن
يسر أمره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين وأن إبلاغه إن لم يكن
بهذه السبيل فكأنه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله والله يعصمك من
الناس كما قال لموسى وهارون لا تخافا لتشتد بصائرهم في الإبلاغ
وإظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس وأما قوله
ولو تقول علينا بعض الأقاويل الآية وقوله إذا لأذقناك ضعف الحياة
فمعناه أن هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو
لا يفعله وكذلك وإن تطع أكثر من في الأرض فالمراد غيره كما قال
إن تطيعوا الذين كفروا الآية وقوله فإن يشأ الله يختم على قلبك ولئن
أشركت ليحبطن عملك وما أشبهه فالمراد غيره وأن هذه حال من أشرك
والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع
الكافرين فليس فيه أنه أطاعهم والله ينهاه عما يشاء كما قال ولا تطرد
الذين يدعون ربهم الآية وما كان طردهم عليه السلام ولا كان
من الظالمين **فصل** وأما عصمتهم من هذا الفن
قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب أنهم معصومون قبل النبوة
من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت

أن النوع من الكفر والشرك والجهل به وبصفاته

الأخبار

الأخبار والآثار عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا
ونشأتهم على التوحيد والإيمان بل على إشراق أنوار المعارف ونفحات
ألطاف السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الأول من
كتابنا هذا ولم ينقل أحد من أهل الأخبار أن أحدًا نبئ واصطفي ممن
عرف بكفر وإشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل
بعضهم بأن القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وأنا أقول إن قريشًا
قد رمت نبينا بكل ما افترته وعير كفار الأمم أنبياءها بكل ما أمكنها
واختلقته مما نص الله عليه أو نقلته إلينا الرواة ولم نجد في شيء من ذلك
تعييرًا لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم
عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين
ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل أفظع وأقطع في الحجة من
توبيخه بنهيه عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم من قبل ففي إطباقهم
على الإعراض عنه دليل على أنهم لم يجدوا سبيلا إليه إذ لو كان لنقل
ولما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم
عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم وقد استدل
القاضي القشيري على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى وإذ أخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح وبقوله وإذ أخذ الله ميثاق النبيين إلى
قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره الله في الميثاق وبعيد أن يأخذ
منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالإيمان به ونصره
قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك أو غيره من الذنوب هذا
ما لا يجوزه إلا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك
وقد أتاه جبريل وشق قلبه صغيرًا واستخرج منه علقة وقال
هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملأه حكمة وإيمانًا
كما تظاهرت به أخبار المبدأ ولا يشبه عليك بقول إبراهيم
عليه السلام في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فإنه قد
قيل كان هذا في الطفولية وابتداء النظر والاستدلال و
قبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين

الى انه انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام
الوارد مورد الانكار والمراد أهذا ربي قال الزجاج قوله هذا ربي اي على قولكم
كما قال اين شركائي اي عندكم ويدل على انه لم يعبد شيئا من ذلك ولا
اشرك بالله طرفة عين قول الله تعالى عنه واذ قال لابيه وقومه ما تعبدون
ثم قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو
لي الا رب العالمين وقال اذ جاء ربه بقلب سليم اي من الشرك وقوله
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فان قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني
ربي لاكونن من القوم الضالين قيل اي ان لم يؤيدني بمعونته اكن
مثلكم في ضلالتكم وعبادتكم على معنى الاشفاق والحذر والا
فهو معصوم في الازل من الضلال فان قلت فما معنى قوله تعالى وقال
الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا
ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم
بعد اذ نجانا الله منها فلا تشكل عليك لفظة العود وانها تقتضي انهم
يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تأتي هذه اللفظة في كلام
العرب بغير ما له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين
عادوا حمما ولم يكونوا قبل ذلك ومثله قول الشاعر فعادا بعد ابوالا
وما كانا قبل كذلك فان قلت فما معنى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى
فليس هو من الضلال الذي هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها
قاله الطبري وقيل وجدك بين اهل ضلال فعصمك من ذلك وهداك
للايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك
اي لا تعرفها فهداك اليها والضلال ههنا التحير ولهذا كان عليه السلام
يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به الى ربه ويتشرع به حتى هداه الله الى الاسلام
وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله تعالى وعلمك ما لم تكن
تعلم قاله علي بن عيسى قال ابن عباس لم يكن له ضلالة معصية وقيل
هدى اي بين امرك بالبراهين وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة
فهداك الى المدينة وقيل المعنى وجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر
ابن محمد ووجدك ضالا عن محبتي لك في الازل اي لا تعرفها فمننت عليك

القعب الاناء الكبير
تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعد ابوالا
اصل شيب الماء خلطه
اي فخلطا بالماء كعادة العرب ثم صارا ابوالا

حمما جمع حممة وهي الفحم

بمعرفتي

بمعرفتي وقرأ الحسن ابن علي ووجدك ضال فهدى اي اهتدى بك وقال ابن عطاء
ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي والضال المحب كما قال انك لفي ضلالك القديم
اي محبتك القديمة ولم يريدوا ها هنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا
ومثله عند هذا قوله انا لنراها في ضلال مبين اي محبة بينة وقال الجنيد
ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه كقوله تعالى وانزلنا
اليك الذكر الآية وقيل وجدك لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك
فهدى بك السعداء ولا اعلم احدا قال من المفسرين فيها ضالا عن الايمان
وكذلك في قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها اذا وانا من الضالين
اي من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة وقال الازهري
معناه من الناسين وقد قيل ذلك في قوله ووجدك ضالا فهدى اي ناسيا
كما قال تعالى ان تضل احداهما فان قلت فما معنى قوله تعالى ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان فالجواب ان السمرقندي قال
معناه ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرأ القرآن ولا كيف تدعو
الخلق الى الايمان وقال بكر القاضي نحوه وقال فكان قبل مؤمنا
بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فازداد بالتكليف
ايمانا بتوحيده وهو احسن وجوهه فان قلت فما معنى قوله
وان كنت من قبله لمن الغافلين فاعلم انه ليس بمعنى قوله والذين هم
عن آياتنا غافلون بل حكى ابو عبيد الهروي ان معناه لمن الغافلين عن
قصة يوسف اذ لم تعلمها الا بوحينا وكذلك الحديث الذي يرويه عثمان
ابن ابي شيبة بسنده عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد
مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه يقول احدهما لصاحبه اذهب
حتى نقوم خلفه فقال الآخر كيف نقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام فلم يشهدهم بعد
فهذا حديث انكره احمد بن حنبل جدا وقال هو موضوع او شبيه بالموضوع
وقال الدارقطني يقال ان عثمان وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر
غير متفق على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم
خلافه عند اهل العلم من قوله بغضت الي الاصنام وقوله في الحديث
الآخر الذي روته ام ايمن حين كلمه عمه وآله في حضور بعض اعيادهم

قال ولا الايمان الذي هو الفرائض والاحكام صح

وعزموا عليه فيه بعد كراهيته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال
كلما دنوت منها من صنم تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي وراءك لا تمسه
فما شهد بعد لهم عيدا وقوله في قصة بحيرا حين استحلف النبي باللات والعزى
إذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه أبي طالب وهو صبي ورأى فيه علامات
النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله
ما أبغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك
عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف من سيرته عليه السلام وتوفيق
الله له أنه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة
في الحج فكان يقف هو بعرفة لأنه كان موقف إبرهيم عليه السلام

فصل قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه قد بان بما قدمناه عقود
الأنبياء في التوحيد والإيمان والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه
فأما ما عدا هذا الباب فجماعها أنها مملوءة علما ويقينا على الجملة وأنها قد
احتوت من المعرفة والعلم بأمور الدين والدنيا ما لا شيء فوقه ومن
طالع الأخبار واعتنى بالحديث وتأمل ما قلناه وجده وقد قدمنا
منه في حق نبينا في الباب الرابع أول قسم من هذا الكتاب ما
ينبه على ما وراءه إلا أن أحوالهم في هذه المعارف تختلف فأما ما تعلق
منها بأمر الدنيا فلا يشترط في حق الأنبياء العصمة من عدم معرفة الأنبياء
ببعضها أو اعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه إذ هممهم
متعلقة بالآخرة وأنبائها وأمر الشريعة وقوانينها وأمور الدنيا تضادها
بخلاف غيرهم من أهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا
وهم عن الآخرة هم غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني
إن شاء الله ولكنه لا يقال إنهم لا يعلمون شيئا من أمر الدنيا
فإن ذلك يؤدي إلى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد أرسلوا
إلى أهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم
ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بأمور الدنيا بالكلية وأحوال الأنبياء
وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة وأما إن
كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي إلا العلم به ولا يجوز

عليه جهله

كما عرفت وهو أمور الآخرة وأحوال البرزخ وأحوال الملائكة وغيره ... الذي ... بجميعها

١٠٤

عليه جهله جملة لأنه لا يخلو أن يكون حصل عنده ذلك عن وحي من الله فهو
ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل له العلم
اليقين أو يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شيء على القول
بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين وعلى مقتضى حديث
أم سلمة إني إنما أقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه خرجه الثقات
كقصة أسرى بدر والإذن للمتخلفين على رأي بعضهم فلا يكون أيضا
ما يعتقده مما يثمره اجتهاده إلا حقا صحيحا هذا هو الحق الذي لا يلتفت إلى
خلاف من خالف فيه ممن أجاز عليه الخطأ في الاجتهاد لا على قول بتصويب
المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا ولا على القول الآخر بأن الحق
في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطأ في الاجتهاد
في الشرعيات ولأن القول في تخطئة المجتهدين إنما هو بعد استقرار
الشرع ونظر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده إنما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع
له قبل هذا إنما عقد عليه السلام قلبه فأما ما لم يعقد عليه قلبه من أمر النوازل
الشرعية فقد كان لا يعلم منها أولا إلا ما علمه الله شيئا شيئا حتى استقر
علم جملتها عنده إما بوحي من الله أو إذن أن يشرع في ذلك ويحكم بما أراه
الله وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت حتى استفرغ علم
جميعها عنده عليه السلام وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك
والريب وانتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل
الشرع الذي أمر بالدعوة إليه إذ لا تصح دعوته إلى ما لا يعلمه وأما ما
تعلق بعقده من ملكوت السموات والأرض وخلق الله وتعيين
أسمائه الحسنى وآياته الكبرى وأمور الآخرة وأشراط الساعة و
أحوال السعداء والأشقياء وعلم ما كان ويكون مما لم يعلمه إلا بوحي
فعلى ما تقدم من أنه معصوم فيه لا يأخذه فيما أعلم منه شك ولا ريب بل هو
فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وإن كان
عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله إني لا أعلم إلا ما علمني ربي و
لقوله ولا خطر على قلب بشر فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقول موسى
للخضر عليهما السلام هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم

جمع أسير كقتلى وقتيل قال الله تعالى ما كان لنبي أن يكون له أسرى الآية

متعلق بقوله كقصة والإذن يعني أنه عليه السلام فعلهما باجتهاده

قوله إن كل ما يفعله النبي عليه السلام باجتهاده فهو حق وصواب وهذا هو الحق والصواب لكن ليس مبنيا على القول بتصويب المجتهدين ولا على القول بأن الحق في طرف واحد لكونه عليه السلام معصوما من الخطأ في اجتهاده

والمعنى لا يلتفت إلى قول من أجاز عليه الخطأ في الاجتهاد ولم يقل بتصويب المجتهدين أو أن المصيب واحد لعصمته

أسئلك بأسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم وقوله واسئلك بكل اسم سميت
به نفسك واستأثرت به في علم الغيب عندك وقد قال الله تعالى وفوق
كل ذي علم عليم قال زيد بن أسلم وغيره حتى ينتهي العلم إلى الله وهذا
ما لا خفاء به إذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد
الله في التوحيد والشرع والمعارف والأمور الدينية **فصل**
واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي من الشيطان وكفايته منه
لا في جسمه بأنواع الأذى ولا على خاطره بالوسواس وقد أخبرنا القاضي
الحافظ أبو علي رحمه الله قال ثنا أبو الفضل بن خيرون العدل ثنا أبو بكر البرقاني و
غيره ثنا أبو الحسن الدارقطني ثنا إسمعيل الصفار ثنا عباس الترقفي ثنا محمد بن يوسف
ثنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من
الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول الله قال وإياي ولكن
الله أعانني عليه فأسلم زاد غيره عن منصور فلا يأمرني إلا بخير وعن عائشة بمعناه روي
فأسلم بضم الميم أي فأسلم أنا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي
فأسلم يعني القرين أنه انتقل عن حال كفره إلى الإسلام فصار لا يأمر إلا
بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم قال القاضي
أبو الفضل رضي الله عنه فإذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط
على كل أحد من بني آدم فكيف بمن بعد عنه ولم يلزم صحبته ولا أقدر على الدنو
منه وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في إطفاء نوره
وإماتة نفسه وإدخال شغل عليه إذ يئسوا من إغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه
له في صلاته فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وأسره وفي الصحيح قال
أبو هريرة رضي الله عنه عليه السلام إن الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة
هر فشد علي يقطع علي الصلاة فأمكنني الله تعالى منه فذعته ولقد
هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا تنظرون إليه فذكرت قول أخي
سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا الآية فرده الله خاسئا وفي
حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عليه السلام إن عدو الله إبليس جاءني بشهاب من نار
ليجعله في وجهي والنبي في الصلاة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له

ثم أردت أخذه وذكر نحوه وقال لأصبح موثقا تتلاعب به ولدان أهل
المدينة وكذلك في حديثه في الإسراء وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل
ما يتعوذ به منه ذكره في الموطأ ولما لم يقدر على أذاه بمباشرته تسبب بالتوسط إلى
عداه كقضيته مع قريش في الائتمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في
صورة الشيخ النجدي ومرة أخرى في غزوة بدر في صورة سراقة بن مالك وهو
قوله تعالى وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم الآية ومرة ينذر بشأنه عند بيعة العقبة وكل
هذا فقد كفاه الله أمره وشره وقد قال عليه السلام كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده
في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب وقال عليه السلام حين لد في مرضه وقيل له
خشينا أن يكون بك ذات الجنب فقال إنها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه
علي فإن قيل فما معنى قوله تعالى وإما ينزغنك من الشيطان نزغ الآية فقد قال بعض
المفسرين إنها راجعة إلى قوله وأعرض عن الجاهلين ثم قال وإما ينزغنك أي يستخفنك
غضب يحملك على ترك الإعراض عنهم فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد
كما قال من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي وقيل ينزغنك
يغرينك ويحركك والنزغ أدنى الوسوسة فأمره الله تعالى أنه متى تحرك عليه
غضب على عدوه أو رام الشيطان من إغرائه به وخواطر أدنى وساوسه ما لم
يجعل له سبيل إليه أن يستعيذ منه فيكفى أمره ويكون سبب تمام عصمته
إذ لم يسلط عليه بأكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل في هذه
الآية غير هذا وكذلك لا يصح أن يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه
لا في أول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبي
أن ما يأتيه من الله الملك ورسوله حقيقة إما بعلم ضروري يخلقه الله له أو
ببرهان يظهره على يديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فإن
قيل فما معنى قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى
ألقى الشيطان في أمنيته الآية فاعلم أن للناس في معنى هذه الآية أقاويل منها
السهل والوعث والسمين والغث وأولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور من
المفسرين أن التمني ههنا التلاوة وإلقاء الشيطان فيها إشغاله بخواطر وأذكار
من أمور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه أو يدخل عليه غير
ذلك على أفهام السامعين من التحريف وسوء التأويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف

لبسه ويحكم آياته وسيأتي الكلام على هذه الآية بعد بأشبع من هذا إن شاء الله
وقد حكى المرتضى إنكار قول من قال بتسلط الشيطان على ملك سليمن وغلبته عليه
وأن مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان مبينة بعد هذا ومن قال
أن الجسد هو الولد الذي ولد له وقال أبو محمد مكي في قصة أيوب إني مسني
الشيطان بنصب وعذاب أنه لا يجوز لأحد أن يتأول أن الشيطان هو
الذي أمرضه وألقى الضر في بدنه ولا يكون ذلك إلا بفعل الله وأمره ليبتليهم ويثيبهم
قال مكي وقد قيل إن الذي أصابه من الشيطان ما وسوس به إلى أهله فإن قلت
فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما أنسانيه إلا الشيطان وقوله عن يوسف فأنساه
الشيطان ذكر ربه وقول نبينا عليه السلام حين نام عن الصلاة يوم الوادي
إن هذا واد به شيطان وقول موسى في وكزته هذا من عمل الشيطان فاعلم
أن هذا الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب في وصفهم كل قبيح
من شخص أو فعل بالشيطان أو فعله كما قال تعالى طلعها كأنه رؤوس الشياطين
وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فإنما هو شيطان وأيضا فإن قول يوشع لا يلزم
الجواب عنه إذ لم يثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى قال الله تعالى وإذ قال موسى
لفتاه والمروي أنما نبئ بعد موت موسى وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل
القرآن وقصة يوسف قد ذكرنا أنها كانت كلها قبل نبوته وقد قال المفسرون في قوله
فأنساه الشيطان قولين أحدهما أن الذي أنساه الشيطان ذكر ربه أحد صاحبي السجن
وربه الملك أي أنساه أن يذكر للملك شأن يوسف وأيضا فإن مثل هذا من فعل
الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع بوساوس ونزغ وإنما هو باشتغال
خواطرهما بأمور أخر وتذكيرهما من أمورهما ما ينسيهما ما نسيا وأما قوله
عليه السلام إن هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسة له بل
إن كان بمقتضى ظاهره فقد بين أمر ذلك الشيطان بقوله إن الشيطان
أتى بلالا فلم يزل يهدئه كما يهدأ الصبي حتى نام فاعلم أن تسلط الشيطان
في ذلك إنما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا إن جعلنا قوله إن هذا
واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلاة وأما إن جعلناه تنبيها على سبب
الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد بن أسلم
فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع إشكاله **فصل** وأما

أقواله

لا أبرح حتى

يهدئه تسكين الهاء وكسر الدال المخففة بعدها همزة في الصحاح أهدأت الصبي إذا جعلت تضرب عليه بكفك وتسكنه لينام صح

أقواله عليه السلام فقامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه وأجمعت
الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء منها
بخلاف ما هو به لا قصدا وعمدا ولا سهوا أو غلطا أما تعمد الخلف في ذلك
فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله تعالى صدق فيما قال اتفاقا وبإطباق
أهل الملة إجماعا وأما وقوعه على جهة الغلط في ذلك فبهذا السبيل عند
الأستاذ أبي إسحق الإسفرايني ومن قال بقوله ومن جهة الإجماع فقط وورود
الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي أبي
بكر الباقلاني ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول
بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه إجماع المسلمين أنه لا يجوز
عليه خلف في القول في إبلاغ الشريعة والإعلام بما أخبر عن ربه وبما أوحاه
إليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حالتي الرضى والسخط
والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله أكتب
كل ما أسمع منك قال نعم قلت في الرضى والغضب قال نعم فإني لا أقول
في ذلك كله إلا حقا ولنزد ما أشرنا إليه من دليل المعجزة بيانا فنقول إنه
إذا قامت المعجزة على صدقه وأنه لا يقول إلا حقا ولا يبلغ عن الله إلا صدقا
وأن المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكره عني وهو يقول
إني رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم لأبلغكم ما أرسلت به إليكم
وأبين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى
وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا فلا يصح أن يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على أي
وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق
بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي
عن ذلك كله واجب برهانا وإجماعا كما قاله أبو إسحق **فصل**
وقد توجهت هاهنا لبعض الطاعنين سؤالات منها ما روي أن النبي صلى الله عليه
وسلم لما قرأ سورة والنجم وقال أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى
قال تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ويروى ترتضى وفي رواية إن شفاعتها
لترتجى وإنها لمع الغرانيق العلى وفي أخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى

الغرنوق بكسر الغين وغرنوق والغرانيق بالضم زن ناعم البدن ق في الصحاح الغرنيق بضم الغين وفتح النون من طير الماء طويل العنق وإذا وصف بها الرجال فواحدهم غرنيق وغرنوق بكسر الغين وفتح النون فيهما وهو الشاب الناعم وجمعه غرانيق بالفتح والغرانق والغرانقة صح

فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه أثنى على آلهتهم وما
وقع في بعض الروايات أن الشيطان ألقاها على لسانه وأن النبي عليه السلام كان يتمنى
أن لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه وفي رواية أخرى أن لا ينزل عليه شيء
ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وأن جبريل جاءه فعرض عليه السورة فلما بلغ
الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله
تسلية له وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية وقوله وإن كادوا ليفتنونك الآية
فاعلم أكرمك الله أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين أحدهما
في توهين أصله والثاني على تسليمه أما المأخذ الأول فيكفيك أن هذا حديث
لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وإنما أولع به وبمثله
المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح
وسقيم وصدق القاضي بكر ابن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض أهل
الأهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته
وانقطاع إسناده واختلاف كلماته فقائل يقول إنه في الصلاة وآخر يقول
قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة وآخر يقول قالها على لسانه وأن
النبي لما عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتك وآخر يقول بل أعلمهم الشيطان
أن النبي قرأها فلما بلغ النبي ذلك قال والله ما هكذا أنزلت إلى غير
ذلك من اختلاف الرواة ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين و
التابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب وأكثر الطرق
عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع منه حديث شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس فيما أحسب الشك في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان
بمكة وذكر القصة قال أبو بكر البزار لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد وغيره
يرسله عن سعيد بن جبير وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن
عباس فقد بين لك أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره
سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما
ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه وأما حديث الكلبي فمما لا تجوز
الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما أشار إليه البزار رحمه الله

والذي

وآخر يقول قالها [illegible]

والذي منه في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة
فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس هذا توهينه من طريق
النقل فأما من جهة المعنى فقد قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصمته
عليه السلام ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة إما من تمنيه أن ينزل عليه
مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر أو أن يتسور عليه الشيطان
ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي أن من
القرآن ما ليس منه حتى ينبهه جبريل عليهما السلام وذلك كله
ممتنع في حقه عليه السلام أو يقول ذلك النبي من قبل نفسه عمدا
وذلك كفر أو سهوا وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبراهين
والإجماع عصمته عليه السلام من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمدا
ولا سهوا أو أن يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان أو
يكون للشيطان عليه سبيل أو أن يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل
عليه وقد قال تع ولو تقول علينا بعض الأقاويل الآية وقال إذا لأذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات الآية ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة
نظرا وعرفا وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام
متناقض الأقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التأليف والنظم ولما كان
النبي صلى الله عليه السلام ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين
ممن يخفى عليه ذلك لا يخفى على أدنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه
واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث أنه
قد علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب
والجهلة من المسلمين نفورهم لأول وهلة وتخليط العدو على النبي
صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة
بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن أظهر الإسلام لأدنى شبهة
ولم يحك أحد في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل
ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ولأقامت
بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الإسراء حتى كانت
في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روي في قصة القضية

شمات
بفتح الشين المعجمة وتشديد الميم
جمع شامت
فينة بفتح الفاء وسكون الياء
والذين أي الحين بعد الحين
صح

ولا فتنة أعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب للمعادي حينئذ أشد
من هذه الحادثة لو أمكنت فما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت
شفة فدل على بطلها واجتثاث أصلها ولا شك في إدخال بعض شياطين الإنس
والجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين وجه رابع
ذكر الرواة لهذه القضية أن فيها نزلت وإن كادوا ليفتنونك الآيتين و
هاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه
حتى يفتري وأنه لولا أن ثبته لكاد يركن إليهم قليلا فكيف كثيرا
وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم وأنه
قال عليه السلام افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الآية وهي تضعف
الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله في الآية الأخرى ولولا فضل
الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما
يضرونك من شيء وقد روي عن ابن عباس كل ما في القرآن كاد فهو ما
لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ولم يذهب بها وأكاد أخفيها
ولم يفعل قال القشيري القاضي ولقد طالبه قريش وثقيف إذ مر بآلهتهم أن
يقبل بوجهه عليها ووعدوه الإيمان به إن فعل فما فعل ولا كان ليفعل قال ابن
الأنباري ما قارب الرسول ولا ركن وقد ذكرت في معنى الآية تفاسير أخر ما ذكرنا
من نص الله على عصمة رسوله يرد سفسافها فلم يبق في الآية إلا أن الله تعالى امتن على
رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده الكفار وراموا من فتنته ومرادنا من ذلك تنزيهه
وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الآية وأما المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم
الحديث لو صح وقد أعاذنا الله من صحته ولكن على كل حال فقد
أجاب على ذلك أئمة المسلمين بأجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روى قتادة
ومقاتل أن النبي صلى الله عليه وسلم أصابته سنة عند قراءته هذه السورة
فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح إذ لا يجوز على النبي مثله
في حالة من أحواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولي الشيطان عليه في نوم و
لا يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع العمد والسهو وفي قول الكلبي أن
النبي صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية
ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن قال وسها فلما أخبر بذلك قال إنما ذلك من الشيطان

بسينين مهملتين وفائين
أي حقيرها ورديها صح

مأخذ ثاني

وكل هذا

وكل هذا لا يصح أن يقوله عليه السلام لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان
على لسانه وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله أثناء تلاوته على تقدير
التقرير والتوبيخ للكفار كقول إبراهيم عليه السلام هذا ربي على أحد التأويلات
وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم
رجع إلى تلاوته وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد وأنه ليس من
المتلو وهو أحد ما ذكره القاضي أبو بكر ولا يعترض على هذا بما روي أنه عليه
السلام كان في الصلاة فقد كان الكلام قبل فيها غير ممنوع والذي يظهر ويترجح
في تأويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه أن النبي صلى الله عليه
وسلم كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآي في قراءته كما رواه الثقات
عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه
من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا إليه
من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم وأشاعوها ولم يقدح ذلك
عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما أنزلها الله وتحققهم
من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الأوثان وعيبها ما عرف منه وكل
هذا لا يوجب ريبا ولا ينسب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل
إن هذا يحتمل أن يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى الناس
غير القرآن فيصف الله ويسميه في ذلك كيف شاء ويكون ما روي
من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الإشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة
وقد قال الله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الآية فمعنى تمنى تلا قال الله تعالى
لا يعلمون الكتاب إلا أماني أي تلاوة فينسخ الله ما يلقي الشيطان أي
يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم آياته وقيل معنى الآية هو ما يقع للنبي
صلى الله عليه وسلم من السهو إذا قرأ فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو
قول الكلبي في الآية أنه حدث نفسه صلى الله عليه وسلم وقال إذا تمنى أي حدث
نفسه وفي رواية أبي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في هذا
إنما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الألفاظ وزيادة ما ليس
من القرآن بل السهو عن إسقاط آية منه أو كلمة ولكنه لا يقر
على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره في حكم

وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه نحو هذا
وقال إن المسلمين لم يسمعوها وإنما ألقى
الشيطان ذلك في أسماع المشركين
وقلوبهم صح نسخه

ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تأويله ايضا ان مجاهدا روى هذه
القصة والغرانيق العلى فان سلمنا القصة قلنا لا يبعد ان هذا كان قرآنا والمراد بالغرانيق العلى
وان شفاعتهن لترتجى الملائكة وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون الاوثان و
الملائكة بنات الله كما حكى الله عنهم ورد عليهم في هذه السورة بقوله الكم الذكر وله
الانثى فانكر الله كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تأوله
المشركون على ان المراد بهذا الذكر آلهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه في
قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله ما القى الشيطان واحكم آياته ورفع تلاوة
تلك اللفظتين التي وجد الشيطان بهما سبيلا للالباس كما نسخ كثير من القرآن
ورفع تلاوته وكان في انزال الله تعالى لذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من
يشاء ويهدي من يشاء وما يضل به الا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة
للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد
وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الآية وقيل
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى و
مناة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان يأتي بشيء من ذمها فسبقوا الى مدحها
بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي وتشغبوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا
لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل الى الشيطان
لحمله لهم عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن
لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله بقوله وما ارسلنا من قبلك الآية
وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن واحكم آياته
ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه تعالى بقوله انا نحن نزلنا الذكر الآية ومن ذلك
ما روي من قصة يونس انه وعد قومه بالعذاب عن ربه فلما تابوا كشف
عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا فاعلم اكرمك
الله ان ليس في خبر من الاخبار الواردة في هذا الباب ان يونس قال لهم ان الله
مهلككم وانما فيه انه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من
كذبه لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك
كما قال ثم دفع الله عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى الا قوم يونس
لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي الآية وروي في الاخبار انهم رأوا

دلائل

دلائل العذاب وتخايله قاله ابن مسعود وقال سعيد بن جبير غشاء العذاب كما يغشى
الثوب القبر فان قلت فما معنى ما روى عن عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا حيث
اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث آخر
فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كيف شئت ويقول له اكتب عليما حكيما فيقول اكتب
سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف شئت وفي الصحيح ان نصرانيا كان يكتب للنبي صلى الله
عليه وسلم بعد ما اسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك
على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية
اولا لا يوقع في قلب مؤمن ريبا اذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر
المسلم المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله على الله ورسوله ما هو اعظم من هذا والعجب
لسليم العقل شغل سره بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين
مفتر على الله ورسوله ولم ترد عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد
ما قاله وافتراه على نبي الله وانما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله الآية وما وقع
من ذكرها في حديث انس وظاهر حكايتها له فليس فيه ما يدل انه شاهدها ولعله
حكى ما سمع وقد علل البزار حديثه ذلك وقال رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه
ورواه حميد عن انس قال واظن حميدا انما سمعه من ثابت قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه ولهذا والله اعلم لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد
والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع عن انس الذي خرجه اهل الصحيح وذكرناه
وليس فيه عن انس قول شيء من ذلك من قبل نفسه الا من حكايته عن المرتد
النصراني ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى الله عليه وسلم فيما
اوحي اليه ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن
في نظم القرآن وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب
قال له عليم حكيم او كتبه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو
فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول قبل اظهار الرسول لها
او كان ما تقدم مما املاه الرسول صلى الله عليه وسلم يدل عليها ويقتضي وقوعها
بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته كما يتفق
ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته او مبتدأ الكلام الحسن

السحاب القرّ صح

كذا يقول اكتب كذا يقول اكتب صح

الى ما يتم به ولا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم إن صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع الآيات وجهان وقراءتان انزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملا احداهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى قبل ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لها كما قدمنا فصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع الآي مثل قوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك فانك انت العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد قرأ جماعة فانك انت الغفور الرحيم وليست من المصحف وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع قرأ بهما معا الجمهور وثبتا في المصحف مثل وانظر الى العظام كيف ننشزها وننشرها ويقص الحق ويقضي الحق

فصل هذا القول فيما طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي بل في امور الدنيا واحوال نفسه فالذي يجب اعتقاد تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف واجماعهم عليه وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم الى تصديق جميع احواله والثقة بجميع اخباره في اي باب كانت وعن اي شيء وقعت وانه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو ام لا ولما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر بقوله صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة من ابي القاسم فقال عمر كذبت يا عدو الله وايضا فان آثاره واخباره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه عليه السلام لغلط في قول قاله او اعترافه بوهم في شيء اخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته عليه السلام رجوعه عما اشار به على الانصار في تلقيح النخل وكان ذلك رأيا لا خبرا وغير ذلك من الامور التي ليست من هذا الباب كقوله والله لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله انكم تختصمون الى الحديث وقوله

اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما في هذا من مشكل في هذا الباب والذي بعده ان شاء الله مع اشباهها وايضا فان الكذب متى عرف من احد في شيء من الاخبار بخلاف ما هو على اي وجه كان استريب بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا ولهذا ما ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وايضا فان تعمد الكذب في امور الدنيا معصية والاكثار منه كبيرة باجماع مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة منه فيما يستبشع ويشنع مما يخل بصاحبها ويزري بقائلها لاحقة بذلك واما فيما لا يقع هذا الموقع فان عددناها من الصغائر فهل تجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه وعمده اذ عمدة النبوة البلاغ والاعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبي وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه ومناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بانه لا يجوز على الانبياء خلف في القول في وجه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من سامح في تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به في امورهم واحوال دنياهم لان ذلك كان يزري ويريب بهم وينفر القلوب عن تصديقهم بعد وانظر احوال اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم في قريش وغيرها من الامم وسؤالهم عن حاله وصدق لسانه وما عرفوا من ذلك واعترفوا به مما عرف واتفق النقل على عصمة نبينا منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الآثار فيه في الباب الثاني اول الكتاب ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه

فصل فان قلت فما معنى قوله عليه السلام في حديث السهو الذي حدثنا به الفقيه ابو اسحق ابرهيم بن جعفر قال القاضي ابو الاصبغ ابن سهل ح نا حاتم بن محمد ح نا ابو عبد الله بن الفخار ح نا ابو عيسى ح نا عبيد الله ح نا يحيى عن مالك عن داود بن الحصين عن ابي سفيان مولى ابن ابي احمد انه قال سمعت ابا هريرة يقول صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين فقام فقال ذو اليدين اقصرت الصلاة يا رسول الله ام نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفي الرواية الاخرى ما قصرت ولا نسيت الحديث بقصته فاخبر بنفي الحالتين وانهما لم يكن وقد كان احد ذلك كما قال له ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلماء في ذلك

اجوبة بعضها بصدد الانصاف ومنها ما هو بنية التعسف والاعتساف وها انا
اقول اما على القول بتجويز الوهم والغلط فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو
الذي زيفناه من القولين فلا اعتراض على هذا الحديث وشبهه واما على مذهب
من يمنع السهو والنسيان في افعاله جملة ويرى انه في مثل هذا عامد لصورة
النسيان ليسن فهو صادق في خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول
تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه
نذكره في موضعه واما على احالة السهو عليه في الاقوال وتجويز السهو عليه
فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها ان النبي صلى الله عليه وسلم
اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا واما النسيان
فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وانه لم ينس في ظنه فكأنه قصد
الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به وهذا صدق ايضا ووجه ثان ان قوله صلى الله
عليه وسلم ولم انس راجع الى السلام اي اني سلمت قصدا وسهوت عن العدد اي
لم اسه في نفس السلام وهذا محتمل وفيه بعد ووجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب
اليه بعضهم وان احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن اي لم يجتمع القصر
والنسيان بل كان احدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى الصحيحة
وهو قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت هذا ما رأيت فيه لأئمتنا وكل من
هذه الوجوه محتمل للفظ على بعد بعضها وتعسف الآخر منها قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه والذي اقول ويظهر لي انه اقرب من هذه الوجوه
كلها ان قوله لم انس انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه وانكره على غيره
بقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا ولكنه نسي وبقوله في بعض
الروايات الحديث الآخر لست انسى ولكني انسى فلما قال له السائل اقصرت
الصلاة ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه
وانه ان كان جرى شيء من ذلك فقد نسي حتى سأل غيره فتحقق انه نسي
واجري عليه ذلك ليسن فقوله على هذا لم انس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن
صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي ووجه آخر استثرته
من كلام بعض المشايخ وذلك انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو
ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لان النسيان غفلة وآفة

والسهو انما هو

والسهو انما هو شغل بال فكان عليه السلام يسهو في صلاته ولا يغفل عنها
وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة
عنها فهذا ان تحقق على هذا لم يكن في قوله ما قصرت وما نسيت خلف
في قول واما قصة كلمات ابرهيم المذكورة في الحديث انها كذباته
الثلث المنصوصة في القرآن قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله
للملك عن زوجته انها اختي فاعلم اكرمك الله ان هذه كلها خارجة عن
الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض
التي فيها مندوحة عن الكذب اما قوله اني سقيم فقال الحسن
وغيره معناه سأسقم اي ان كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من
الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم بما قدر علي من الموت وقيل
بل سقيم القلب بما اشاهده من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى
تأخذه عند طلوع نجم معلوم فلما رآه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه
كذب بل هو خبر صحيح صدق وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف
ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون بها وانه اثناء نظره
في ذلك وقبل استقامة حجته عليهم في حال سقم ومرض حال مع انه لم يشك
هو ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف في استدلاله عليهم وسقم نظره كما
يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى الهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليهم
بالكوكب والشمس والقمر ما نصه الله وقد قدمنا بيانه واما قوله بل فعله
كبيرهم هذا الآية فانه علق خبره بشرط نطقه كأنه قال ان كان ينطق فهو فعله
على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق ايضا ولا خلف فيه واما قوله
اختي فقد بين في الحديث وقال فانك اختي في الاسلام وهو صدق والله
تعالى يقول انما المؤمنون اخوة فان قلت فهذا النبي قد سماها كذبات
وقال لم يكذب ابرهيم الا ثلث كذبات وقال في حديث الشفاعة
ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان
حقا في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف
باطنها اشفق ابرهيم بمؤاخذته بها واما الحديث كان النبي صلى الله عليه
وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول انما هو

وعندي ان قوله ما قصرت وما نسيت بمعنى الترك الذي هو احد وجهي النسيان اراد والله اعلم اني لم اسلم من ركعتين تاركا لاكمال الصلاة ولكني نسيت ولم يكن ذلك من تلقاء نفسي والدليل على ذلك قوله عم في الحديث الصحيح اني لا انسى او انسى لاسن

كانه قال ما قصرت الصلاة وما نسيت بل نسيت

اصله الشنشنة من الشور ذكره الهروي والمغني

ستر لمقصده لئلا يأخذ عدوه حذره وكتم لوجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع آخر والبحث عن اخباره والتعريض بذكره لا انه يقول تجهزوا الغزوة كذا او وجهتنا الى موضع كذا خلوف مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر بخلف
فان قلت فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل اى الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله عليه ذلك اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه قال بل عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك وهذا خبر قد انبأ الله انه ليس كذلك فاعلم انه وقع فى هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الآخر فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به لان حاله فى النبوة والاصطفاء تقتضى ذلك فيكون اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله انا اعلم بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة ويكون الخضر اعلم منه بامور اخر مما لا يعلمها احد الا باعلام الله من علوم غيبه كالقصص المذكورة فى خبرهما فكان موسى اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله ذلك عليه فيما قاله العلماء انكار هذا القول عليه لانه لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم لئلا يقتدى به فيه من لم يبلغ كماله فى تزكية نفسه وعلو درجته من امته فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطى والدعوى وان نزه عن هذه الرذائل الانبياء فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك ليلها الا من عصمه الله فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال عليه السلام تحفظا من مثل هذا مما قد اعلم به انا سيد ولد آدم ولا فخر وهذا الحديث احدى حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه انا اعلم من موسى ولا يكون الولى اعلم من النبى واما الانبياء فيتفاضلون فى المعارف وبقوله وما فعلته عن امرى فدل انه بوحى ومن قال انه ليس بنبى قال يحتمل انه فعل بامر نبى آخر وهذا ضعيف لانه ما علمنا انه كان فى زمن موسى نبى غيره الا اخاه هرون وما نقل احد من اهل الاخبار فى ذلك شيئا يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص وفى قضايا معينة لم نحتج الى اثبات نبوة الخضر ولهذا قال

بعض الشيوخ

اضطربت النسخ الموجودة عندى فى هذا المقام ولعل ما صححته هو الصواب ما قول قوله لا خلاف يعنى الذنوب الى عصمتهم من الصغاير والكباير وقوله بتعيينها عطف على قوله الصغاير والتعيين بمعنى التمييز وقوله ذلك اشارة الى التعيين المذكور وحاصله ان الناس اختلفوا فى الصغاير فقوم قالوا الصغاير هى هذه وآخرون قالوا الاخرى هذه وكذا اختلفوا فى تعيين الصغاير وتمييزها عن الكباير علماء ان تعيينها مشكل مع وجود قول ابن عباس

بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى وقال آخر انما الجئ موسى الى الخضر للتأديب لا للتعليم

فصل

واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذى وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة الانبياء من الفواحش والكبائر الموبقات ومستند الجمهور فى ذلك الاجماع الذى ذكرناه وهو مذهب القاضى ابو بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحق وكذلك لا خلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير فى التبليغ لان كل ذلك يقتضى العصمة منه المعجزة مع الاجماع على ذلك من الكافة والجمهور قائل بانهم معصومون من ذلك من قبل الله معتصمون باختيارهم وكسبهم الا حسينا النجار فانه قال لا قدرة لهم على المعاصى اصلا واما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبياء وهو مذهب ابى جعفر الطبرى وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طائفة اخرى الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يأت فى الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت طائفة اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر قالوا لاختلاف الناس فى الصغائر وتعيينها من الكبائر واشكال ذلك وقول ابن عباس وغيره ان كل ما عصى الله به فهو كبيرة وانما سمى منها الصغير بالاضافة الى ما هو اكبر منه ومخالفة البارى فى اى امر كان يجب كونه كبيرة قال القاضى ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال ان فى معاصى الله صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكبائر ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكبائر اذا لم يتب منها فلا يحبطها شئ والمشيئة فى العفو عنها الى الله وهو قول القاضى ابو بكر وجماعة ائمة الاشعرية وكثير من ائمة الفقهاء وقال بعض ائمتنا ولا يجب على القولين ان يختلف انهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا فى صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروءة واوجبت الازراء والخساسة فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبياء اجماعا لان مثل هذا يحط منصب المتسم به ويزرى بصاحبه

ويتنفر القلوب عنه والانبياء منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل
المباح فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر وقد ذهب بعضهم
الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا وقد استدل بعض الائمة على عصمتهم
من الصغائر بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع آثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور
الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير التزام قرينة
بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك وحكى ابن خويزمنداد وابو الفرج
عن مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا وقول
اكثر اهل العراق وابن سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية واكثر
الشافعية على ان ذلك ندب وذهبت طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم
الاتباع فيما كان من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة ومن قال بالاباحة
في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في
افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده به من القربة او الاباحة
او الحظر او المعصية ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية لا سيما
على من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا من الاصوليين ونزيد هذا
حجة بان نقول من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا عليه السلام مجمعون
على انه لا يقر على منكر من قول او فعل وانه متى رأى شيئا فسكت
عنه صلى الله عليه وسلم دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله في حق غيره
ثم يجوز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا المأخذ تجب عصمته من مواقعة
المكروه كما قيل واذ الحظر او الندب على الاقتداء بفعله ينافي الزجر والنهي عن
فعل المكروه وايضا فقد علم من دين الصحابة قطعا الاقتداء بافعال النبي
صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء باقواله فقد نبذوا
خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع نعليه واحتجاجهم برؤية
ابن عمر اياه جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس واحتج غير واحد
منهم في غير شيء مما بابه العبادة او العادة بقوله رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يفعله وقال صلى الله عليه وسلم هلا اخبرتها اني اقبل وانا صائم وقالت
عائشة محتجة كنت انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وغضب عليه السلام على الذي
اخبر بمثل هذا عنه فقال يحل الله لرسوله ما شاء وقال اني لاخشاكم لله واعلمكم

بحدوده والآثار في هذا اكثر من ان نحيط عليها لكنه يعلم من مجموعها على
القطع اتباعهم افعاله واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها
لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر عليه السلام
على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرناه واما المباحات فجائزة وقوعها منهم
اذ ليس فيها قدح بل هي مأذون فيها وايديهم كأيدي غيرهم مسلطة عليها الا انهم
بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم من انوار المعرفة واصطفوا
به من تعلق بالهم بالله والدار الآخرة لا يأخذون من المباحات الا الضرورات
مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ
على هذه السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه اول الكتاب
طرفا في خصال نبينا صلى الله عليه وسلم فبان لك عظيم فضل الله على نبينا و
على سائر انبيائه عليهم السلام بان جعل افعالهم قربات وطاعات بعيدة
عن وجه المخالفة ورسم المعصية **فصل** وقد اختلف في
عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها قوم آخرون والصحيح
ان شاء الله تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف
والمسألة تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون بعد تقرر الشرع
وقد اختلف الناس في حال نبينا صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا
لشرع قبله ام لا فقالت جماعة لم يكن متبعا لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي
على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية
انما تتعلق بالاوامر والنواهي وتقرر الشريعة ثم اختلفت حجج القائلين بهذه
المقالة عليها فذهب سيف السنة ومقتدى فرق الامة القاضي ابو بكر
الى ان طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته انه لو
كان لنقل ولما امكن كتمه وستره في العادة اذ كان من مهم امره واولى
ما اهتبل به من سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر
شيء من ذلك جملة وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد
ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة
غير سديدة واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر
اولى واظهر وقالت فرقة اخرى بالوقف في امره صلى الله عليه وسلم

وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل الوجهين منها العقل ولا استبان
عندها في احدهما طريق النقل وهو مذهب ابي المعالي وقالت فرقة ثالثة انه
كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم
عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة
فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابرهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله
عليهم اجمعين فهذه جملة المذاهب في هذه المسئلة والاظهر فيها ما ذهب اليه
القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه
ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى آخر الانبياء فلزمت شريعته من جاء بعدها
اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا
صلى الله عليه وسلم ولا حجة ايضا للآخر في قوله ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا
وللآخر في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فتحمل هذه الآية
على اتباعهم في التوحيد كقوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم يكن له شريعة تخصه كيوسف
ابن يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم
في هذه الآية وشرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل ان المراد ما اجمعوا
عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع
الاتباع هذا القول في ساير الانبياء غير نبينا او يخالفون بينهم اما من منع
الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية واما من مال الى النقل فايما تصور
له وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن
قبله يلتزمه بمساق حجته في كل نبي

فصل هذا حكم ما يكون المخالفة
فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف واما
ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظايف الشرعية مما
تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه فاحوال الانبياء
في ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم سواء ثم ذلك على
نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل
واخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه اما الاول
فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب

وقد ذكرنا

وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته من جوازه
عليه قصدا او سهوا فكذلك قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة
فيها لا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وطرو هذه العوارض
عليها يوجب التشكيك وتسبب المطاعن واعتذروا عن احاديث السهو
بتوجيهات نذكرها بعد هذا والى هذا مال ابو اسحق وذهب الاكثر من الفقهاء
والمتكلمين الى ان المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام الشرعية
سهوا وعن غير قصد منه جائز عليه كما تقرر من احاديث السهو في الصلوة و
فرقوا بين ذلك وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول
ومخالفة ذلك تناقضها واما السهو في الافعال فغير مناقض لها ولا قادح
في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما قال عليه السلام
انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني نعم بل حالة النسيان و
السهو هنا في حقه عليه السلام سبب افادة علم وتقرير شرع كما قال عليه السلام
اني لانسى او انسى لاسن وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمام عليه
في النعمة بعيدة عن سمات النقص واغراض الطعن فان القائلين يشترطون
ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور
على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول الآخرين واما ما ليس طريقه
البلاغ ولا بيان الاحكام من افعاله عليه السلام وما يختص به من امور دينه
واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالاكثر من طبقات علماء الامة
على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات بقلبه
وذلك بما كلفه من مقاسات الخلق وسياسات الامة ومعاناة الاهل
وملاحظة الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل
على سبيل الندور كما قال عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله و
ليس في هذا شيء يحط من رتبته ويناقض معجزته وذهبت طائفة الى
منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه عليه السلام
جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات
ولهم في هذه الاحاديث مذاهب نذكرها بعد ان شاء الله تعالى

فصل في الكلام على الاحاديث المذكورة فيها

على الصدق في القول

الغين السحاب الرقيق

السهو منه عليه السلام قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو عليه السلام وما يمتنع واحلناه في الاخبار جملة وفي الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه في الافعال الدينية على الوجه الذي رتبناه واشرنا الى ما ورد في ذلك ونحن نبسط القول فيه
الصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه عليه السلام في الصلاة ثلثة احاديث اولها حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين الثاني حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله فيه ليستن به اذ البلاغ بالفعل اجلى منه بالقول وارفع للاحتمال وشرطه انه لا يقر على هذا السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وان النسيان والسهو في الفعل في حقه عليه السلام غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق وقد قال عليه السلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال رحم الله فلانا لقد اذكرني كذا وكذا آية كنت اسقطتهن ويروى انسيتهن وقال عليه السلام اني لا انسى او انسى لاسن قيل هذا اللفظ شك من الراوي وقد روي اني لا انسى ولكن انسى لاسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار انه ليس بشك وان معناه التقسيم اي انسى انا او ينسيني الله قال القاضي ابو الوليد الباجي يحتمل ما قالاه ان يريد اني انسى في اليقظة وانسى في النوم او انسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء والسهو او انسى مع اقبالي عليه وتفرغي له فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه ونفى الآخر عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذهبت طائفة من اصحاب المعاني والكلام على الحديث الى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلاة ولا ينسى لان النسيان ذهول وغفلة وآفة قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ويشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها واحتج بقوله في الرواية الاخرى اني لا انسى وذهبت طائفة الى منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه عليه السلام كان عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى بطائل منه لانه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال ولا حجة لهم في قولهم

اذ لم

انه يتعمد صورة النسيان لقوله اني لا انسى او انسى لاسن فقد اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا عظيم من المحققين من ائمتنا وهو ابو المظفر الاسفرايني ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله اني لا انسى اذ ليس فيه نفي حكم النسيان وانما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا ولكنه نسي او نفي الغفلة وقلة الاهتمام بامر الصلاة عن قلبه لكن شغل بها ونسي بعضها ببعضها كما ترك الصلاة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل عن طاعة بطاعة وقيل ان الذي ترك يوم الخندق اربع صلوات صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلاة في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم صلاة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له فان قلت فما تقول في نومه عليه السلام عن الصلاة يوم الوادي وقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم ان للعلماء عن ذلك اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في غالب الاوقات وقد يندر منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف عادته ويصحح هذا التاويل قوله عليه السلام في الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا وقول بلال فيه ما القيت علي نومة مثلها قط ولكن مثل هذا انما يكون لامر يريده الله من اثبات حكم وتاسيس سنة واظهار شرع وكما قال في الحديث الآخر لو شاء الله لايقظنا ولكن اراد ان يكون لمن بعدكم الثاني ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه لما روي انه كان محروسا وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضا وحديث ابن عباس المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم اذ لعل ذلك لملامسة الاهل او لحدث آخر فكيف وفي آخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضا وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس

هذا من فعل القلب وقد قال عليه السلام ان الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها
الينا في حين غير هذا فان قيل فلم لم تكن عادته من استغراق النوم لما قال لبلال
اكلأ لنا الصبح فقيل في الجواب انه كان من شانه عليه السلام التغليس بالصبح
ومراعاة اول الفجر لا يصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة
فوكل بلالا بمراعاة اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته
فان قيل فما معنى نهيه عليه السلام عن القول نسيت وقد قال عليه السلام اني
انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال لقد اذكرني كذا وكذا اية
كنت انسيتها فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض في هذه الالفاظ اما نهيه
عن ان يقال نسيت اية كذا فمحمول على نسخ فعله من القرآن اي ان الغفلة
في هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من
سهو او غفلة من قبله تذكرها صلح ان يقال فيه انسي وقد قيل ان هذا منه
صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقه والاخر
على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه عليه السلام لما اسقط من
الايات جائز عليه بعد بلاغ ما امر ببلاغه وتوصيله الى عباده ثم يستذكرها
من امته او من قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب وترك
استذكاره وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز
ان ينسى منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا
في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه

فصل في الرد على من جاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به

في ذلك اعلم ان المجوزين للصغائر على الانبياء من الفقهاء والمحدثين
ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن
والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع
وما لا يقول به مسلم فكيف وكلما احتجوا به مما اختلف المفسرون
في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف
بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف
فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة على خطأ قولهم وصحة غيره وجب
تركه والمصير الى ما صح وها نحن ناخذ في النظر فيها ان شاء الله

فمن ذلك

فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تاخر وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله
ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك وقوله عفا الله عنك لم
اذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب
عظيم وقوله عبس وتولى الاية وما قص من قصص غيره من الانبياء
كقوله وعصى آدم ربه فغوى وقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء
فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون وقوله عنه ربنا ظلمنا انفسنا الاية
وقوله عن يونس سبحانك اني كنت من الظالمين وما ذكر من قصته
وقصة داود وقوله وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا
ثم اناب الى مآب وقوله ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته
مع اخوته وقوله عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا
من عمل الشيطان وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم
اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت ونحوه من ادعيته
عليه السلام وذكر الانبياء في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة
وقوله وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله وفي حديث ابي هريرة اني لاستغفر
الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح
والا تغفر لي الاية وقد كان قال له ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون
وقال عن ابراهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقوله عن
موسى تبت اليك وقوله ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه هذه الظواهر
فاما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهذا
قد اختلف المفسرون فيه فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها
وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلمه انه مغفور له وقيل ما
كان قبل النبوة والمتاخر عصمتك بعدها حكاه احمد بن نصر وقيل
المراد بذلك امته عليه السلام وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتاويل حكاه
الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك آدم وما تاخر من ذنوب
امتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء والذي قبله بمثله يتاول
قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات قال مكي مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم

فهاهنا هي مخاطبة لامته وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول وما ادري
ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار فانزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر الاية وبمآل المؤمنين في الاية الاخرى بعدها قاله ابن عباس فمقصد
الاية انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب لو كان ليغفر لك بعضهم المغفرة هاهنا تبرئة من العيوب
واما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك
قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل معناه انه حفظ قبل
نبوته منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهره حكى معناه السمرقندي
وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي
والسلمي وقيل المراد حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل
سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيري
وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى
انقض اي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي
بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه
واشفق منها او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت
ظهره او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية
واعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه واما قوله عفا الله عنك
لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي عليه السلام فيه من الله نهي فيعد معصية ولا عده
الله عليه معصية بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى
ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا
وقد كان له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد
قال الله له فاذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو
لم ياذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هاهنا بمعنى غفر
بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل
والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري
قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب
قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا قال الداودي روي انها
تكرمة قال مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك وحكى

السمرقندي

السمرقندي ان معناه عافاك الله واما قوله في اسارى بدر ما كان لنبي ان يكون له اسرى
الايتين فليس فيه الزام ذنب للنبي عليه السلام بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر
الانبياء فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه السلام احلت لي الغنائم و
لم تحل لنبي قبلي فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة قيل المعنى
بالخطاب لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس
المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم
المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي
عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال لولا كتاب من الله سبق واختلف المفسرون
في معنى هذه الاية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد النهي
لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقران
وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم ويزاد هذا القول
تفسيرا وبيانا بان يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقران وكنتم ممن احلت
لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ
انها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم
يعص الله قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان قد خير
عليه السلام في ذلك وقد روي عن علي قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر
فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاؤوا القتل وان شاؤوا الفداء على ان يقتل منهم
عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا
الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح
غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب
اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين والى نحو هذا اشار الطبري
وقوله صلى الله عليه وسلم في هذه القصة لو نزل من السماء عذاب
ما نجا منه الا عمر اشارة الى هذا من تصويب رايه وراي من اخذ بماخذه
في اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية
لو استوجبت عذابا نجا منه عمر ومثله وعين عمر لانه اول من اشار
بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك الوقت عذابا لحله لهم فيما
سبق وقال الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن

ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل
الامر اليه فيه وقد نزهه الله عن ذلك قال القاضي رضي الله عنه خرج الجزا اهل
الصحيح وقال القاضي بكر بن العلا اخبر الله نبيه في هذه الاية ان تاويله وافق ما كتبه
له من احلال الغنائم والفدا وقد كان قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش
التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتبهم الله ذلك عليهم وذلك
قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسرى
كان على تاويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عز وجل عليهم
لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد منته
تعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار
او تذنيب هذا معنى كلامه واما قول الله عبس وتولى الايات فليس فيه اثبات
ذنب له عليه السلام بل اعلام الله له ان ذلك المتصدي له ممن لا يتزكى وان
الصواب والاولى كان لو كشف لك حال الرجلين الاقبال على الاعمى وفعل
النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله
وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله له لا معصية ومخالفة له وما قصه
الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده والاشارة
الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى وقيل المراد بعبس وتولى الكافر
الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام واما قصة آدم عليه السلام
وقوله فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
وقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى بالمعصية بقوله
وعصى آدم ربه فغوى اي جهل وقيل اخطا فان الله تعالى قد اخبر بعذره
بقوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قال ابن زيد
نسي عداوة ابليس له وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو
لك ولزوجك الاية قيل نسي ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس انما سمي
الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا
لها ولكنهما اغترا بحلف ابليس لهما اني لكما لمن الناصحين
وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روي عذر آدم بمثل هذا
في بعض الاثار قال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع

اقول قتيل [illegible] الاسلام [illegible] [illegible] في سنة واحدة [illegible] في رجب [illegible] رمضان [illegible]

ان الذي تصدى له [illegible] [illegible] المغيرة وغيره [illegible]

وقيل نسي

وقيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما اي قصدا للمخالفة واكثر
المفسرين على ان العزم هنا الحزم والصبر وقيل كان عند اكله سكران
وهذا فيه ضعف لان الله وصف خمر الجنة انه لا يسكر فاذا كان ناسيا
لم يكن معصية وكذلك ان كان ملبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على خروج
الناسي والساهي عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره
انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى آدم ربه
فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء والهداية
كان بعد العصيان وقيل بل اكلها متاولا وهو لا يعلم انها الشجرة التي
نهي عنها لانه تاول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما
كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تاول ان الله لم ينههما عنها
نهي تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى آدم وقال
فتاب عليه وقوله في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه واني نهيت عن
اكل الشجرة فعصيت فسياتي الجواب عنه وعن اشباهه مجملا آخر الفصل
ان شاء الله واما قصة يونس فقد مضى الكلام على بعضها آنفا وليس في
قصة يونس نص على ذنب وانما فيه ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا
عليه وقيل انما نقم الله عليه خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب
وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال والله لا القاهم بوجه
كذاب ابدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل
ضعف عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم وهذا
كله ليس فيه نص على معصية الا على قول مرغوب عنه وقوله ابق الى
الفلك المشحون قال المفسرون تباعد واما قوله اني كنت من الظالمين
فالظلم وضع الشيء في غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم
بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه عما
حمله او لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم
يؤاخذ وقال الواسطي في معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه
اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول آدم وحوا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب
في وضعهما غير الموضع الذي انزلا فيه واخراجهما من الجنة وانزالهما

[illegible] لا [illegible] يكون جنبا في الجنة

[illegible] الشجرة [illegible]

در [illegible] يونس [illegible] قوم خود را [illegible] عذاب نازل ميشود

الى الارض ﴿امّا قصة داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت الى ما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدّلوا وغيّروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله عليه قوله وظن داود انما فتناه الى قوله وحسن مآب وقوله فيه أوّاب معنى فتناه اي اختبرناه وأوّاب قال قتادة مطيع وهذا التفسير اولى قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود على ان قال للرجل انزل لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وهذا الذي ينبغي ان يعول عليه من امره وقيل خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد وحكى السمرقندي ان ذنبه الذي استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول خصمه وقيل بل لما خشي على نفسه وظن من الفتنة بما بسط له من الملك والدنيا والى نفي ما اضيف في الاخبار الى داود من ذلك ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين قال الداودي ليس في قصة داود واوريا خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وقيل ان الخصمين اللذين اختصما اليه رجلين في نعاج غنم على ظاهر الآية واما قصة يوسف واخوته فليس على يوسف منها تعقب واما اخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم في القرآن عند ذكر الانبياء قال المفسرون يريد من نبي منهم من ابناء الاسباط وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوا صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم واما قول الله فيه ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه فعلى طريق كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به وليست سيئة لقوله عليه السلام عن ربه اذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية في همه اذاً واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله

هم يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي الآية اي ما ابرئها من هذا الهم او يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة ان يوسف لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتأخير اي ولقد همت به ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها وقد قال الله تعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي الآية قيل في ربي الله وقيل الملك وقيل هم بها اي بزجرها ووعظها وقيل هم بها اي غمها امتناعه عنها وقيل هم بها نظر اليها وقيل هم بها اي بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف ميل شهوة حتى نبأه الله فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه واما خبر موسى مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى انه من عدوه قال كان من القبط الذين على دين فرعون ودليل السورة في هذا كله انه قبل نبوة موسى وقال قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يؤمر وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى في قصته وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء قيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل القاؤه في اليم والتابوت وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار اذا خلصتها واصل الفتنة معنى الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل في عرف الشرع في اختبار ادى الى ما يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه فلطم عينه ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى بالتعدي وفعل ما لا يجب له اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل لان موسى دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصور له في صورة آدمي ولا يمكن انه علم حينئذ انه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله لهما

فلما جاءه بعد واعلمه الله انه رسوله اليه استسلم وللمتقدمين والمتأخرين على هذا الحديث
اجوبة هذا اسدها وقد تأوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقء عين
حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف واما قصة سليمان
وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتليناه وابتلاؤه
ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاطوفن الليلة على مائة امرأة
او تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله
فلم يقل فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله قال اصحاب المعاني والشق هو الجسد
الذي القي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته وقيل بل مات فالقي على كرسيه
ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص
وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته ان سلب ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان
يكون الحق لاختانه على خصمه وقيل اوخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح
ما نقله بعض الاخباريون من خرافاتهم عما فعله ومن تشبه الشيطان به
وتسلطه على ملكه وتصرفه في امته بالجور في حكمه لان الشياطين
لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الانبياء من مثله وان سئل لم لم يقل سليمان في
القصة المذكورة ان شاء الله فعنه اجوبة احدها ما روي في الحديث
الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى والثاني انه لم يسمع صاحبه
وشغل عنه وقوله هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لم يفعل هذا سليمان
غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون ان لا
يسلط عليه احد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه اياه مدة امتحانه على
من قال ذلك وقيل بل اراد ان يكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص
غيره من انبياء الله ورسله بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته
كالانة الحديد لابيه واحياء الموتى لعيسى واختصاص محمد بالشفاعة ونحو
هذا واما قصة نوح عليه السلام فظاهرة العذر وانه اخذ فيها بالتأويل وظاهر
اللفظ كقوله تعالى واهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوي عنه
من ذلك لا انه شك في وعد الله فبين الله عليه انه ليس من اهله الذين
وعد بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه انه مغرق الذين ظلموا

عندي وهو تأويل شيخنا الامام ابي عبد الله المازري صح

ونهاه عن

ونهاه عن مخاطبته فيهم فواخذ بهذا التأويل وعتب عليه واشفق من اقدامه على ربه
لسؤاله ما لم يأذن له في السؤال فيه وكان نوح فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه
وقيل في الاية غير هذا وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه
من تأويله واقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه وما روي في
الصحيح ان نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل فاوحى الله اليه ان قرصتك نملة
احرقت امة من الامم تسبح فليس في هذا الحديث ما يقتضي ان هذا الذي اتى
معصية بل فعل ما رآه مصلحة وصوابا بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة
بما اباح الله الا ترى ان هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما اذته النملة
تحول برحله عنها مخافة تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى الله اليه ما يوجب
عليه معصية بل ندبه الى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى ولئن
صبرتم لهو خير للصابرين اذ ظاهر فعله انما كان لاجل انها اذته هو في
خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك
ولم يأت في كل هذا امر نهي عنه فيعصي به ولا نص فيما اوحى الله اليه بذلك
ولا بالتوبة والاستغفار منه به والله اعلم فان قيل فما معنى قوله عليه السلام
ما من احد الا الم بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا او كما قال عليه السلام
فالجواب عنه كما تقدم في ذنوب الانبياء التي وقعت عن غير قصد
وعن سهو وغفلة **فصل** فان قلت فاذا نفيت عنهم صلوات الله
عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتأويل المحققين
فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وما تكرر في القرآن والحديث
الصحيح من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم
على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء
فاعلم وفقنا الله ان درجة الانبياء في الرفعة والعلو والمعرفة
بالله وسنته في عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم
على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به
غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم اوخذوا
عليها وعوتبوا بسببها او حذروا من المؤاخذة بها واتوها على وجه
التأويل او السهو او تزيد من امور الدنيا المباحة خائفون وجلون

عوتب عليه صح

واحدة صح

وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ومعاصٍ بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب
غيرهم ومعاصيهم فان الذنوب مأخوذ من الشيء الدني الرذل ومنه ذنب كل شيء
اي آخره واذناب الناس رذالهم فكان هذا ادنى افعالهم واسوأ ما يجري
من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح و
الكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية لله واعظامه في السر و
العلانية وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش ما يكون بالاضافة
الى هذه الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيئات
المقربين اي يرونها بالاضافة الى علي احوالهم كالسيئات وكذلك
العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف ما كانت من سهو
او تاويل فهي مخالفة وترك وقوله غوى اي جهل ان تلك الشجرة هي التي نهي عنها
والغي الجهل وقيل اخطأ ما طلب من الخلود اذ اكلها وخابت امنيته
وهذا يوسف عليه السلام قد ووخذ بقوله لاحد صاحبي السجن اذكرني
عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين قيل انسي
يوسف ذكر الله وقيل انسي ان يذكره لسيده الملك قال النبي صلى الله عليه
وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث قال ابن دينار لما قال
ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فقال يا رب
انسى قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم اخذ الانبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم
عنده وتجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم في اضعاف ما اتوا به
من سوء الادب وقد قال المحتج للفرقة الاولى على سياق ما قلناه اذا كان
الانبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما
ذكرته وحالهم ارفع فحالهم اذا في هذا اسوأ حالا من غيرهم فاعلم
اكرمك الله انا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول
انهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم ويبتلون
بذلك ليكون استشعارهم له سببا لمنماة رتبتهم كما قال تعالى
ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال لداود فغفرنا له ذلك الاية
وقال بعد قول موسى تبت اليك اني اصطفيتك على الناس وقال
بعد ذكر فتنة سليمن وانابته فسخرنا له الريح الى وحسن مآب

قال بعض المتكلمين

مثل زلة آدم عليه السلام ادت الى
نزوله الى الارض وكونه خليفة
بنيك فيها والانبياء والمرسلين
والشهداء والصالحين

قال بعض المتكلمين زلات الانبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف
واشار الى نحو مما قدمناه وايضا فلينبه غيرهم من البشر منهم او ممن ليس في درجتهم بمؤاخذتهم
فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر
على المحن بملاحظة ما وقع باهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف
بمن سواهم ولهذا قال صالح المري ذكر داود بسطة للتوابين قال ابن عطا
لم يكن ما نص الله من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن استزادة
من نبينا عليه السلام وايضا فيقال لهم فانكم ومن وافقكم تقولون
بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف في عصمة الانبياء من
الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة على هذا فما
معنى المؤاخذة بها اذا عندكم وخوف الانبياء وتوبتهم منها وهي مغفورة
لو كانت فما اجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة بافعال السهو والتأويل وقد
قيل ان كثرة استغفار النبي وتوبته وغيره من الانبياء على وجه ملازمة الخضوع
والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله على نعمه كما قال عليه السلام
وقد امن من المؤاخذة بما تقدم وتأخر افلا اكون عبدا شكورا وقال
اني اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي قال الحرث بن اسد خوف الملائكة
والانبياء خوف اعظام وتعبد لله لانهم آمنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدي بهم
وتستن بهم اممهم كما قال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
وايضا فان في التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفا اشار اليه بعض العلماء
وهو استدعاء محبة الله قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
فاحداث الانبياء والرسل الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة في كل
حين استدعاء لمحبة الله والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله لنبيه بعد
ان غفر له ما تقدم وما تأخر من ذنبه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار الاية وقال فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان
توابا **فصل** قد استبان لك ايها الناظر بما قررناه ما هو الحق
من عصمته عليه السلام عن الجهل بالله وصفاته او كونه على حالة
تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا
وقبلها سمعا ونقلا ولا بشيء مما قررناه من امور الشرع واداه عن ربه

من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله تعالى
وارسله قصدا او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا
وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر اجماعا وعن الصغائر
تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه
فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح
مما يجب لك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول
حق قدرها وتعلم عظيم فائدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي او يجوز
او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يؤمن ان يعتقد في بعضها خلاف
ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري و
يسقط في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد
ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط عليه السلام
على الرجلين اللذين رأياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفية فقال
لهما انها صفية ثم قال لهما ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم واني
خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئا فيهلكا هذه رحمك الله احدى
فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم بجهله
اذا سمع شيئا منها يرى ان الكلام فيها جملة من فضول العلم وان السكوت
اولى وقد استبان لك انه متعين للفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية
يضطر اليها في اصول الفقه ويتخلص بها من تشعب مختلفي الفقهاء في
عدة منها وهي الحكم في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وهو
باب عظيم واصل كبير من اصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي
في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة
في افعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف
في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به وفائدة ثالثة
يحتاج اليها الحاكم والمفتي فيمن اضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم
شيئا من هذه الامور ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه
وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن
اين يدري هل ما قاله فيه نقص او مدح فاما ان يجترئ على سفك دم مسلم

حرام

كاية من حسن القبول

بل اجتراء على القول بالكلام الآتي

قال القاضي

ويبتني عليها مسائل لا تنعد من الفقه

فان لم يعرف

١٢٢

حرام او يسقط حقا ويضيع حرمة للنبي صلى الله عليه وسلم وبسبيل هذا ما من اختلاف
ارباب الاصول وائمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة فصل
في عصمة الملائكة اجمع المسلمون بان الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق
ائمة المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة
مما ذكرنا عصمتهم منه وانهم في حقوق الانبياء والتبليغ اليهم
كالانبياء مع الامم واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة
الى عصمة جميعهم من المعاصي واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون وبقوله وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون
وانا لنحن المسبحون وبقوله لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون
يسبحون الليل والنهار لا يفترون وبقوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون
عن عبادته الآية وقوله كرام بررة ولا يمسه الا المطهرون ونحوه من
السمعيات وذهبت طائفة الى ان هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين
واحتجوا باشياء ذكرها اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شاء الله
بعد ونبين الوجه فيها ان شاء الله والصواب عصمة جميعهم وتنزيه
نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم
ورأيت بعض شيوخنا اشار ان لا حاجة بالفقيه الى الكلام في عصمتهم
وانا اقول ان للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة الانبياء من الفوائد
التي ذكرناها سوى فائدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة
ههنا فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت
وما ذكر فيها اهل الاخبار ونقلة المفسرين وما روي عن علي وابن عباس
في خبرهما وابتلائهما فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها
شيء لا صحيح ولا سقيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيء يؤخذ
بقياس والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال
بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من
كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله اول الآيات من افترائهم
بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة
وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه الاشكالات ان شاء الله تعالى

والسبيل

في القول

الثاعران من تعليلية اي عصمة جميعهم لجليل قدرهم

ارزق الكلام في عصمة الملائكة

فاختلف اولاً في هاروت وماروت هل هما ملكان او انسيان وهل هما
المراد بالملكين ام لا وهل القراءة ملكين او ملكين وهل ما في قوله وما انزل
وما يعلمان من احد نافية او موجبة فاكثر المفسرين ان الله امتحن الناس
بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان عمله كفر ومن تركه امن قال الله تعالى
انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم انذار اي يقولان
لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا
تتخيلوا كذا فانه سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما
امرا به ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران
انه ذكر عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان الناس السحر فقال نحن
ننزههما عن هذا فقرأ بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل
عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما
مأذون لهما في تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله وابتلاء
فكيف لا ينزههما عن كبائر المعاصي والكفر المذكورة في تلك الاخبار
وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس قال مكي وتقدير
الكلام وما كفر سليمن يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم
في ذلك اليهود وما انزل على الملكين قال مكي قيل هما جبريل وميكائيل
ادعى اليهود عليهما المجيء به كما ادعوا عليه على سليمن فاكذبهم الله تعالى في ذلك
بقوله ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت
وماروت قيل هما رجلان تعلماه قال الحسن هاروت وماروت علجان
من اهل بابل وقرأ وما انزل على الملكين بكسر اللام وتكون ما ايجابا على
هذا وكذلك قرأه عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا
داود وسليمن وتكون ما نفيا على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل
فمسخهما الله حكاه السمرقندي والقراءة بكسر اللام شاذة فمحمل الاية على تقدير
ابي محمد مكي حسن ينزه الملائكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم
تطهيرا وقد وصفهم الله بانهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله
ما امرهم ومما يذكرونه قصة ابليس وانه كان من الملائكة ورئيسا
فيهم ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوه وانه استثناه من الملائكة

بقوله فسجدوا

قال القاضي رحمه الله

فمن تعلمه كفر صح

ولا تتخيلوا / ولا تتحيلوا

بقوله فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك
وانه ابو الجن كما ان ادم ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن
زيد وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في
الارض حين افسدوا والاستثناء من غير الجنس شائع في كلام العرب
سائغ وقد قال الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما رووه
في الاخبار ان خلقا من الملائكة عصوا الله فحرقوا وامروا ان يسجدوا
لادم فابوا فحرقوا ثم اخرون كذلك حتى سجد له من ذكر الله الا ابليس
في اخبار لا اصل لها تردها صحاح الاخبار فلا يشتغل بها

الباب الثاني

فيما يخصهم في الامور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية
قد قدمنا انه عليه السلام وسائر الانبياء والرسل عليهم السلام من البشر وان
جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الافات والتغيرات والالام
والاسقام وتجرع كأس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس
بنقيصة فيه لان الشيء انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو اتم
منه واكمل من نوعه وقد كتب الله على اهل هذه الدار فيها تحيون وفيها
تموتون ومنها تخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة الغير فقد مرض عليه السلام
واشتكى واصابه الحر والقر وادركه الجوع والعطش ولحقه
الغضب والضجر وناله الاعياء والتعب ومسه الضعف والكبر و
سقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى
واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى
وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها
واصاب غيره من الانبياء ما هو اعظم منها فقتلوا قتلا ورموا في النار
ونشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض الاوقات ومنهم
من عصمه كما عصم بعد نبينا من الناس فلئن لم يكف نبينا ربه
يد ابن قميئة يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته اهل الطائف
فقد اخذ على عيون قريش عند خروجه الى ثور وامسك عنه سيف
غورث وحجر ابي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الاعصم فلقد وقاه
ما هو اعظم من سم اليهودية وهكذا سائر انبيائه مبتلى ومعافى وذلك

قال القاضي رحمه الله

اي خلقهم في معرض التغير

المجحش بتقديم الجيم

حيث خدش وجهه الكريم

وبتبيينا

من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين أمرهم ويتم كلمته فيهم
وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن أهل الضعف فيهم لئلا يضلوا
بما يظهر من العجائب على أيديهم ضلال النصارى بعيسى وليكون في محنهم
تسلية لأممهم ووفور لأجورهم عند ربهم تماما على الذي أحسن إليهم
قال بعض المحققين وهذه الطوارئ والتغييرات المذكورة إنما تختص بأجسامهم
البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجنس وأما
بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملأ الأعلى والملائكة
لأخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال عليه السلام إن عيني تنامان
ولا ينام قلبي وقال إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني
وقال لست أنسى ولكني أنسى ليستن بي فأخبر أن سره وباطنه وروحه
بخلاف جسمه وظاهره وأن الآفات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر
ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لأن غيره إذا
نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو عليه السلام في نومه حاضر القلب كما هو
في يقظته حتى قد جاء في بعض الآثار أنه كان محروسا من الحدث في نومه
لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره إذا جاع ضعف لذلك
جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته وهو عليه السلام قد أخبر أنه لا يعتريه
ذلك وأنه بخلافهم لقوله إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي و
يسقيني وكذلك أقول إنه في هذه الأحوال كلها من وصب ومرض وسحر [illegible]
وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق
به كما يعتري غيره من البشر مما نأخذ بعد في بيانه

فصل

فإن قلت فقد جاءت الأخبار الصحيحة أنه عليه السلام سحر كما حدثنا الشيخ أبو محمد
العتابي بقراءتي عليه قال ثنا حاتم بن محمد ثنا أبو الحسن علي بن خلف ثنا محمد بن أحمد
ثنا محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا عبيد بن إسماعيل قال ثنا أبو أسامة عن هشام
ابن عروة عن أبيه عن عائشة قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى أنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله وفي رواية أخرى حتى كان
يخيل إليه أنه كان يأتي النساء ولا يأتيهن الحديث وإذا كان هذا
من التباس الأمر على المسحور فكيف حال النبي في ذلك وكيف جاز عليه

وهو معصوم

وهو معصوم فاعلم وفقنا الله وإياك أن هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد
طعنت فيه الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على أمثالها إلى التشكيك
في الشرع وقد نزه الله الشرع والنبي عما يدخل في أمره لبسا وإنما السحر مرض من الأمراض
وعارض من العلل يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته
وأما ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل
عليه داخلة في شيء من تبليغه أو شريعته أو يقدح في صدقه لقيام الدليل والإجماع
على عصمته من هذا وإنما هذا فيما يجوز طروه عليه في أمور دنياه التي لم يبعث بسببها
ولا فضل من أجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد أن يخيل إليه
من أمورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان وأيضا فقد فسر هذا الفصل
الحديث الآخر من قوله حتى يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن وقد قال سفيان
وهذا أشد ما يكون من السحر ولم يأت في خبر منها أنه نقل عنه في ذلك قول
بخلاف ما كان أخبر أنه فعله ولم يفعله وإنما كانت خواطر وتخيلات وقد
قيل إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل الشيء أنه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد
صحته فيكون اعتقاداته كلها على السداد وأقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه
من الأجوبة لأئمتنا عن هذا الحديث مع ما أوضحنا في معنى كلامهم وزدناه
بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تأويل
أجلى وأبعد من مطاعن ذوي الأضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو أن
عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه
عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوا فاستخرجه
من البئر وروى نحوه عن الواقدي عن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم
وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن عائشة سنة فبينا هو نائم أتاه ملكان فقعد أحدهما
عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق حبس رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة خاصة سنة حتى أنكر بصره وروى
محمد بن سعد عن ابن عباس مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس عن النساء
والطعام والشراب فهبط عليه ملكان وذكر القصة فقد استبان

حيث بين فيه أن المخيل إليه إتيانه النساء لا غيره

[illegible]

لك من مضمون هذه الروايات ان السحر انما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على
قلبه واعتقاده وعقله وانه انما اثر في بصره وحبسه عن وطي نسائه وطعامه
واضعف جسمه وامرضه ويكون معنى قوله يخيل اليه انه ياتي اهله ولا ياتيهن
اي يظهر له من نشاطه ومتقدم عاداته القدرة على النساء فاذا دنى منهن
اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن كما يعتري من تخذ واعترض
ولعل لمثل هذا اشار سفيان بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر
ويكون قول عايشة في الرواية الاخرى انه ليخيل اليه انه فعل الشي وما
فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن انه رأى شخصا
من بعض ازواجه او شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه
لما اصابه في بصره وضعف نظره لا لشيء طرأ عليه في ميزه واذا كان
هذا لم يكن فيما ذكر من اصابة السحر له وتاثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به
الملحد المعترض انسا **فصل** هذه حالة في جسمه فاما احواله في امور
الدنيا فنحن نسبرها على اسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل اما
العقد منها فقد يعتقد في امور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه او يكون
منه على شك او ظن بخلاف امور الشرع كما حدثنا ابو بحر سفيان بن العاصي وغير
واحد سماعا وقراءة قالوا حدثنا ابو العباس احمد بن عمر قال ح ابو العباس الرازي
ح ابو احمد بن عمرويه ح ابن سفيان ح مسلم ح عبد الله بن الرومي وعباس العنبري
واحمد المعقري قالوا ح النضر بن محمد قال حدثني عكرمة ح ابو النجاشي قال ح
رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يابرون
النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا
كان خيرا فتركوه فنقصت فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر اذا
امرتكم بشيء من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من رأيي فانما
انا بشر وفي رواية انس انتم اعلم بامر دنياكم وفي حديث آخر انما ظننت
ظنا فلا تؤاخذوني بالظن وفي حديث ابن عباس في قصة الخرص
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر فما حدثتكم عن
الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فانما انا بشر اخطئ واصيب
وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في امور الدنيا وظنه

بل زادوا عليه في قوله انه ما نقل عنه شيء على خلاف معتقده سم حلبي

اراد اكان الامر منه ذلك

من جواز عروض العوارض البشرية عليه

فانه عليه السلام معصوم من ان يعتقد ما ليس بشرع شرعا

وهو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوي صحيح مسلم ابن الحجاج صاحب الصحيح

التأبير
وهو طلع الذكر في طلع الانثى حين ينشق
اي سقط ما فيها من الحمل

الخرص
بفتح الخاء المعجمة وحكي كسرها وسكون الراء بعدها صاد مهملة وهو حزر ما على النخل من الرطب تمرا وحكمة الخرص ما ذكره بعض اهل العلم ان تفرقة الثمار اذا ادركت من الرطب والعنب مما تجب فيه الزكوة بعث السلطان خارصا ينظر ويقول يخرج من هذا كذا وكذا زبيبا وكذا وكذا تمرا فيحصيه وينظر مبلغ العشر فيثبته عليهم ويخلي بينهم وبين الثمار فاذا جاء وقت الجذاذ اخذ منهم العشر وفائدته التوسعة على ارباب الثمار من التناول منها وايثار الاهل والجيران ولئلا يخونوا
قال الخطابي الخرص عمل به في حياته عليه السلام ثم ابو بكر وعمر ومن بعدهم ولم ينقل عن احد تركه الا عن الشعبي كذا ف

من احوالها

من اجتهاده الا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها
وكما حكى ابن اسحق انه عليه السلام لما نزل بادنى مياه بدر قال له الحباب بن
المنذر أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه أم هو الرأي والحرب
والمكيدة فقال لا بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال فانه ليس بمنزل
انهض حتى نأتي ادنى ماء من القوم فننزله ثم نعور ما وراءه من القلب فنشرب
ولا يشربون فقال اشرت بالرأي وفعل ما قاله وقد قال له الله وشاورهم
في الامر وأراد مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار الانصار
فلما اخبروه برأيهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه من امور الدنيا التي
لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيها ما ذكرناه
اذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة وانما هي امور اعتيادية يعرفها
من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي صلى الله عليه وسلم
مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال
بمصالح الامة الدينية والدنيوية ولكن هذا انما يكون في بعض الامور
ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها
لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه عليه السلام
من المعرفة بامور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق اهلها ما هو
معجز في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب
فصل واما ما يعتقده في امور احكام البشر الجارية على يديه
وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله
عليه السلام انما انا بشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون
الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو مما اسمع منه فمن قضيت له من حق
اخيه بشيء فلا يأخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار اخبرنا
الفقيه ابو الوليد رحمه الله ثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا ابو عمر ثنا ابو محمد
ثنا ابو بكر ثنا ابو داود ثنا محمد بن كثير انا سفيان عن هشام بن
عروة عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الحديث وفي رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم
ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه صادق فاقضي له ويجري احكامه

وتسبقه المشركون الى الماء بدر

حيث يجب لنا الاقبال لا الادبار
اي نزول هنا ليس موافقا للانتقال والحرب

انهض اي تحرك من هذا المنزل

قال لا
اي لم ينزل الله ولم يأمرنا بنزول فيه

جمع قليب وهو البئر المحفورة

من قطعة له يوم الخندق

انه قد يجهله ذنبه عليه

الحن
اي افطن لها واللحن محركة الفطنة

ابن عبد البر الحافظ المغربي

هذا الحديث يدل على جواز الحكم بالظاهر وان حكم الحاكم لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وانه متى اخطأ في حكمه فمضى كان ذلك في الظاهر فاما في الباطن وفي حكم الآخرة فانه غير ماض وفيه ايضا انه لا يجوز للمقضي له الشيء اخذه اذا علم انه لا يحل له بينه وبين الله

عليه يدوم على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف و
مراعاة الأشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك فإنه تعالى
لو شاء لأطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر أمته فتولى الحكم بينهم
بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة إلى اعتراف أو بينة أو يمين أو شبهة ولكن
لما أمر الله تعالى أمته باتباعه والاقتداء به في أحواله وأفعاله وقضاياه وسيره
وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن للأمة سبيل إلى
الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامة حجة بقضية من قضاياه لأحد في
شريعته لأنا لا نعلم ما اطلع عليه هو في تلك القضية لحكمه هو إذا
في ذلك بالمكنون من إعلام الله له بما أطلعه عليه من سرائرهم وهذا ما
لا تعلمه الأمة فأجرى الله أحكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك
هو وغيره من البشر ليتم اقتداء أمته به في تعيين قضاياه وتنزيل أحكامه
ويأتون ما أتوا من ذلك على علم ويقين من سنته إذ البيان بالفعل أوقع
منه بالقول وأرفع لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول وكان حكمه
على الظاهر أجلى في البيان وأوضح في وجوه الأحكام وأكثر فائدة لموجبات
التشاجر والخصام وليقتدي بذلك كله حكام أمته ويستوثق
بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم
الغيب الذي استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا
من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما شاء ويستأثر بما شاء ولا يقدح
هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته. **فصل** وأما أقواله
الدنيوية من إخباره عن أحواله وأحوال غيره وما يفعله أو فعله فقد
قدمنا أن الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى أي وجه كان من
عمد أو سهو أو صحة أو مرض أو رضى أو غضب وأنه معصوم منه صلى
الله عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب
فأما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه في
الأمور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه
لئلا يأخذ العدو حذره وكما روي من ممازحته ودعابته
لبسط أمته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتأكيدا في تحببهم

ومسرة

ومسرة نفوسهم كقوله لأحملنك على ابن الناقة وقوله للمرأة التي
سألته عن زوجها أهو الذي بعينه بياض هذا كله صدق لأن
كل جمل ابن ناقة وكل إنسان بعينه بياض وقد قال عليه السلام
إني لأمزح ولا أقول إلا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فأما ما بابه غير
الخبر مما صورته صورة الأمر والنهي في الأمور الدنيوية فلا يصح منه
أيضا ولا يجوز عليه أن يأمر أحدا بشيء أو ينهى أحدا عن شيء وهو يبطن
خلافه وقد قال عليه السلام ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين
فكيف أن تكون له خائنة قلب فإن قلت فما معنى قوله تعالى في قصة زيد
وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك الآية
فاعلم أكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن
هذا الظاهر وأن يأمر زيدا بإمساكها وهو يحب تطليقه إياها كما ذكر
عن جماعة من المفسرين وأصح ما في هذا ما حكاه أهل التفسير
عن علي بن حسين أن الله تعالى كان أعلم نبيه أن زينب ستكون من
أزواجه فلما شكاها إليه زيد قال أمسك عليك زوجك واتق
الله وأخفى منه في نفسه ما أعلمه الله به من أنه سيتزوجها مما الله مبديه
ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو بن فائد عن
الزهري قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه أن الله يزوجه زينب
ابنة جحش فذلك الذي أخفى في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين في قوله
تعالى بعد هذا وكان أمر الله مفعولا أي لا بد لك أن تتزوجها و
يوضح هذا أن الله لم يبد من أمره معها غير زواجه لها فدل أنه الذي
أخفاه عليه السلام مما كان أعلمه به تعالى وقوله تعالى في القصة ما كان
على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله فدل أنه لم يكن عليه حرج
في الأمر قال الطبري ما كان الله ليؤثم نبيه فيما أحل مثال فعله لمن قبله
من الرسل قال الله سنة الله في الذين خلوا من قبل أي من النبيين
فيما أحل لهم ولو كان على ما روي في حديث قتادة من وقوعها
من قلب النبي صلى الله عليه وسلم عندما أعجبته ومحبته طلاق زيد
لها لكان فيه أعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما نهي عنه

من زهرة الحياة الدنيا ولكان هذا من نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به الاتقياء فكيف سيد الانبياء قال القشيري وهذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله فكيف يقال رآها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه عليه السلام وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي عليه السلام اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما قال تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وقال ابو الليث السمرقندي فان قيل فما الفائدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها فهو ان الله اعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبي عليه السلام عن طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي الناس ان يتزوج امراة ابنه فامره الله بزواجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وقد قيل كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه انه رآها فجاءة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن آدم من استحسانه للحسن ونظرة الفجاءة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وانما ينكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل والاولى ما ذكرناه عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه القاضي القشيري وان خشيته عليه السلام من الناس كانت من ارجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء كما كان فعتبه الله على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله له كما عتبه على مراعاة رضى ازواجه في سورة التحريم بقوله لم تحرم ما احل الله لك الآية كذلك قوله ههنا وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وقد روي عن الحسن وعائشة لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الآية لما فيها من عتبه وابداء ما اخفاه

فصل فان قلت قد قررت عصمته عليه السلام

في اقواله

في اقواله في جميع احواله وانه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته عليه السلام الذي حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال حدثنا ابو الوليد قال حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو الهيثم وابو اسحق قالوا حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل قال حدثنا علي بن عبد الله حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي ابدا فتنازعوا فقالوا ما له اهجر استفهموه فقال دعوني فان الذي انا فيه خير وفي بعض طرقه فقال ان النبي عليه السلام يهجر وفي رواية هجر ويروى اهجر ويروى اهجرا وفيه فقال عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية واختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر قال ائمتنا في هذا الحديث النبي غير معصوم من الامراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرا على جسمه معصوم ان يكون منه من القول اثناء ذلك ما يطعن في معجزته ويؤدي الى فساد في شريعته من هذيان او اختلال في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هجر اذ معناه هذى يقال هجر هجرا اذا هذى واهجر هجرا اذا افحش واهجر تعدية هجر وانما الاصح والاولى اهجر على طريق الانكار على من قال لا يكتب وكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية محمد بن سلام جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم وفي حديث عن ابن عيينة وكذا ضبطه الاصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذا الطريق وكذا رويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره وقد يحمل قول القائل هجر او اهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول وشدة وجعه وهو المقام الذي اختلف فيه عليه والامر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه واجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا انه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على حراسته والله يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا واما على رواية اهجرا وهي

ورواية أبي إسحق المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من
رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا إلى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم
ومخاطبة لهم من بعضهم أي جئتكم باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق وقد
اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد أمره لهم عليه السلام
بأن يأتوه بالكتاب فقال بعضهم أوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم إيجابها
من ندبها من إباحتها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله عليه السلام لبعضهم
ما فهموا أنه لم تكن منه عزمة بل أمر رده إلى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك
فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه إذ لم تكن عزمة ولما رأوه من
صواب رأي عمر ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر إما إشفاقا على النبي
صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال إملاء الكتاب وأن تدخل
عليه مشقة من ذلك كما قال إن النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع وقيل خشي
عمر أن يكتب أمورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة ورأى أن
الأرفق بالأمة في تلك الأمور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب
الصواب فيكون المصيب والمخطي مأجورا وقد علم عمر تقرر الشريعة و
تأسيس الملة وأن الله تعالى قال اليوم أكملت لكم دينكم وقوله عليه السلام
أوصيكم بكتاب الله وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على
من نازعه لا على أمر النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل إن عمر خشي تطرق
المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة
وأن يتقولوا في ذلك الأقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك
وقالت طائفة أخرى إن معنى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان
مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا أنه ابتداء بالأمر به بل اقتضاه منه
بعض أصحابه فأجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها
واستدل في مثل هذه القصة بقول العباس لعلي انطلق بنا إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كان الأمر فينا علمناه وكراهة
علي هذا وقوله والله لا أفعل الحديث واستدل بقوله دعوني فإن
الذي أنا فيه خير أي أنا فيه خير من إرسال الأمر وترككم وكتاب

من الذي

الله وأن تدعوني مما طلبتم وذكر أن الذي طلب كتابة أمر الخلافة بعده وتعيين
ذلك. **فصل** فإن قيل فما وجه حديثه أيضا الذي حدثناه الفقيه
أبو محمد الخشني بقراءتي عليه ح أبو علي الطبري ح عبد الغافر الفارسي ح أبو أحمد
الجلودي قال ح إبراهيم بن سفيان ح مسلم بن الحجاج ح قتيبة ح ليث عن سعيد
ابن أبي سعيد عن سالم مولى النصريين قال سمعت أبا هريرة يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وإني قد اتخذت
عندك عهدا لن تخلفنيه فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها
له كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة وفي رواية فأيما أحد دعوت
عليه دعوة وفي رواية ليس لها بأهل وفي رواية فأيما رجل من المسلمين سببته
أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكوة وصلاة ورحمة وكيف يصح أن
يلعن النبي صلى الله عليه وسلم ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق
الجلد أو يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله
فاعلم شرح الله صدرك أن قوله عليه السلام أولا ليس لها بأهل أي عندك
يا رب في باطن أمره فإن حكمه عليه السلام على الظاهر كما قال وللحكمة التي
ذكرناها فحكم عليه السلام بجلده أو أدبه بسببه أو لعنه بما اقتضاه عنده
حال ظاهره ثم دعا عليه السلام لشفقته على أمته ورأفته ورحمته التي وصفه
الله بها وحذره أن يتقبل فيمن دعا عليه دعوته أن يجعل دعاءه وفعله له رحمة
فهو معنى قوله ليس لها بأهل لا أنه عليه السلام يحمله الغضب ويستفزه الضجر
لأن يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم
من قوله أغضب كما يغضب البشر أن الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز
أن يكون المراد بهذا أن الغضب لله حمله على معاقبته بلعنه أو سبه وأنه
مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه أو كان مما خير بين المعاقبة فيه أو
العفو عنه وقد يحتمل أنه خرج مخرج الإشفاق وتعليم أمته الخوف والحذر
من تعدي حدود الله وقد يحتمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته على
غير واحد في غير موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة العرب
وليس المراد بها الإجابة كقوله تربت يمينك ولا أشبع الله بطنك وعقرى
حلقى وغيرها من دعواته وقد ورد في صفته في غير حديث أنه عليه السلام

لم يكن فحاشا وقال أنس لم يكن سبابا ولا فاحشا ولا لعانا وكان يقول
لأحدنا عند المعتبة ما له ترب جبينه فيكون حمل الحديث على هذا المعنى
ثم أشفق عليه السلام من موافقة أمثالها إجابة فعاهد ربه كما قال في
الحديث أن يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك
إشفاقا على المدعو عليه وتأنيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر
من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط
وقد يكون ذلك سؤالا منه لربه لمن جلده أو سبه على حق وبوجه صحيح أن
يجعل ذلك له كفارة لما أصاب وتمحية لما اجترم وأن تكون عقوبته
له في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الآخر ومن أصاب من
ذلك شيئا فعوقب فهو له كفارة فإن قلت فما معنى حديث الزبير وقول
النبي صلى الله عليه وسلم له حين تخاصمه مع الأنصاري في شراج الحرة اسق يا زبير
حتى يبلغ الكعبين فقال له أن كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب
أن النبي صلى الله عليه وسلم منزه عن أن يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة أمر يريب
ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير أولا إلى الاقتصار على بعض حقه على طريق
التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك الآخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي
صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب إذا أشار
الإمام بالصلح فأبى حكم عليه بالحكم وذكر في آخر الحديث فاستوعى رسول الله
صلى الله عليه وسلم حينئذ حقه للزبير وقد جعل المسلمون هذا الحديث أصلا
في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في حال
غضبه صلى الله عليه وسلم ورضاه وإن نهى أن يقضي القاضي وهو غضبان
فإنه في حكمه في حال الغضب والرضا سواء لكونه فيهما معصوما وغضب النبي
صلى الله عليه وسلم في هذا إنما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث
الصحيح وكذلك الحديث في إقادته عكاشة من نفسه لم يكن لتعمد
حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه أن عكاشة قال له وضربتني
بالقضيب فلا أدري أعمدا أم أردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
أعيذك بالله يا عكاشة أن يتعمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك

في حديثه الآخر مع الأعرابي حين طلب عليه السلام الاقتصاص منه فقال الأعرابي
قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه
بزمام ناقته مرة بعد أخرى والنبي ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو
يأبى فضربه بعد ثلاث مرات وهذا منه عليه السلام لمن لم يقف عند نهيه
صواب وموضع أدب لكنه عليه السلام أشفق إذ كان حق نفسه
من الأمر حتى عفا عنه وأما حديث سواد بن عمرو قال أتيت النبي صلى الله
عليه وسلم وأنا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشيني بقضيب
في يده في بطني فأوجعني قلت القصاص يا رسول الله فكشف لي
عن بطنه وإنما ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لمنكر رآه به ولعله لم يرد بضربه
بالقضيب إلا تنبيهه فلما كان منه إيجاع لم يقصده طلب التحلل منه
على ما قدمناه فصل وأما أفعاله عليه السلام الدنيوية فحكمه
فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو
أو الغلط في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل إن هذا
فيها على الندور إذ عامة أفعاله على السداد والصواب بل أكثرها أو
كلها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بيناه إذ كان عليه السلام لا يأخذ
منها لنفسه إلا ضرورته وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد
ربه ويقيم شريعته ويسوس أمته وما كان فيما بينه وبين الناس من
ذلك فبين معروف يصنعه أو بر يوسعه أو كلام حسن يقوله أو يسمعه
أو تألف شارد أو قهر معاند أو مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح
أعماله منتظم في زاكي وظائف عباداته وقد كان يخالف في أفعاله
الدنيوية بحسب اختلاف الأحوال ويعد للأمور أشباهها فيركب
في تصرفه لما قرب الحمار وفي أسفاره الراحلة وقد يركب البغلة في معارك
الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع
وإجابة الصارخ وكذلك في لباسه وسائر أحواله بحسب اعتبار
مصالحه ومصالح أمته وكذلك يفعل الفعل من أمور الدنيا مساعدة
لأمته وسياسة وكراهية لخلاف فيها وإن كان قد يرى غيره خيرا
منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في

للأمور الدينية مما لا خيرة في أحد وجهيه كخروجه من المدينة لأحد وكان
مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من أمرهم مؤالفة
لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لأن يقول الناس إن محمدا
يقتل أصحابه كما جاء في الحديث وتركه بناء الكعبة على قواعد إبراهيم مراعاة
لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك
متقدم عداوتهم للدين وأهله فقال لعائشة في الحديث الصحيح لولا
حدثان قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد إبراهيم ويفعل الفعل
ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من أدنى مياه بدر إلى أقربها
للعدو من قريش وكقوله لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت
الهدي ويبسط وجهه للكافر والعدو رجاء استئلافه ويصبر للجاهل ويقول
إن من شر الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغائب ليحبب إليه
شريعته ودين ربه ويتولى في منزله ما يتولاه الخادم من مهنته ويتسمت
في ملائه حتى لا يبدو منه شيء من أطرافه وحتى كأن على رؤوس
جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث أولهم ويتعجب مما يتعجبون منه
ويضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه
الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسائه يقول ما كان لنبي
أن تكون له خائنة الأعين فإن قلت فما معنى قوله لعائشة في الداخل
عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل ألان له القول وضحك معه فلما سألته
عن ذلك قال إن من شر الناس من اتقاه الناس لشره وكيف
جاز أن يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال فالجواب
أن فعله عليه السلام كان استئلافا لمثله وتطييبا لنفسه
ليتمكن إيمانه ويدخل في الإسلام بسببه أتباعه ويراه مثله فينجذب
بذلك إلى الإسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة
الدنيا إلى السياسة الدينية وقد كان يستألفهم بأموال الله
العريضة فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان لقد أعطاني وهو
أبغض الخلق إلي فما زال يعطيني حتى صار أحب الخلق إلي وقوله
فيه بئس ابن العشيرة غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر

حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل
هذا إذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جائزا بل واجبا في
بعض الأحيان كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين في الشهود فإن
قيل فما معنى المعضل الوارد في حديث بريرة في قوله عليه السلام لعائشة وقد
أخبرته أن موالي بريرة أبوا بيعها إلا أن يكون لهم الولاء فقال لها عليه السلام اشتريها
واشترطي لهم الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال أقوام يشترطون شروطا
ليست في كتاب الله فهو باطل والنبي قد أمرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه
والله أعلم لما باعوها من عائشة كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها
ثم أبطله عليه السلام وهو قد حرم الغش والخديعة فاعلم أكرمك الله أن النبي
منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك
ما قد أنكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء إذ ليست في أكثر
طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها إذ يقع لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى أولئك
لهم اللعنة وقال وإن أسأتم فلها فعلى هذا اشترطي عليهم الولاء لك ويكون
قيام النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لأنفسهم قبل
ووجه ثان أن قوله عليه السلام اشترطي على معنى الأمر لكن على معنى التسوية
والإعلام بأن شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم لهم قبل أن
الولاء لمن أعتق فكأنه قال اشترطي أو لا تشترطي فإنه شرط غير نافع وإلى
هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك
يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث أن معنى قوله اشترطي لهم الولاء أي
أظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته أن الولاء إنما هو لمن أعتق ثم بعد
هذا قام صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك وموبخا على مخالفة ما تقدم منه فيه
فإن قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلام بأخيه إذ جعل السقاية في رحله
وأخذه باسم سرقتها وما جرى على إخوته في ذلك وقوله إنكم لسارقون
ولم يسرقوا فاعلم أكرمك الله أن الآية تدل على أن فعل يوسف كان
عن أمر الله لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في
دين الملك إلا أن يشاء الله الآية وإذا كان ذلك فلا اعتراض به
كان فيه ما فيه وأيضا فإن يوسف كان أعلم أخاه بأني أنا أخوك

بما كانوا يعملون

فاذ بتئس بما كان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته على يقين من
عقبى تحركه وازاحة السوء المضرة عنه بذلك واما قوله ايتها العير انكم
لسارقون فليس من قول يوسف فيلزم عليه جواب لحل شبهته ولعل قائله
ان حسن له التاويل كائنا من كان على صورة الحال ذلك وقد قيل
قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم ان يقول
الانبياء ما لم يات انهم قالوه حتى نطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار
عن زلات غيرهم **فصل** فان قيل فما الحكمة في اجراء
الامراض وشدتها عليه وعلى غيره من الانبياء على جميعهم السلام
وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب
ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى وابرهيم ويوسف و
غيرهم صلوات الله عليهم وهم خيرته من خلقه واحباؤه واصفياؤه
فاعلم وفقنا الله واياك ان افعال الله تعالى كلها عدل وكلماته
جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم لننظر
كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن عملا ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم ويعلم الصابرين ولنعلم المجاهدين منكم والصابرين
ونبلو اخباركم فامتحانه اياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة
في درجاتهم واسباب لاستخراج حالات الصبر والرضى والشكر
والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتاكيد
لبصائرهم في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة
لغيرهم وموعظة لسواهم ليتاسوا في البلاء بهم ويتسلوا في المحن
بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ومحو لهنات فرطت منهم
او غفلات سلفت لهم ليلقوا الله طيبين مهذبين وليكون اجرهم اكمل
وثوابهم اوفر واجزل حدثنا القاضي ابو علي الحافظ ثنا ابو الحسين
الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا ثنا ابو يعلى البغدادي قال ثنا
ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى الترمذي ثنا قتيبة ثنا حماد
ابن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن ابيه قال قلت
يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل

فيبتلى الرجل

يبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه
يمشي على الارض وما عليه خطيئة وكما قال تعالى وكاين من نبي قتل
معه ربيون الايات الثلاث وعن ابي هريرة ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده
وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن انس عنه عليه السلام اذا اراد الله
بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر امسك عنه
بذنبه حتى يوافي يوم القيمة وفي حديث آخر اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع
تضرعه وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم على الله كان بلاؤه اشد كي يتبين
فضله ويستوجب الثواب كما روي عن لقمن انه قال يا بني الذهب والفضة
يختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء وقد حكي ان ابتلاء يعقوب بيوسف كان
سببه التفاته في صلاته اليه ويوسف نائم محبة له وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه
يوسف على اكل حمل مشوي وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه
وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه
فعوقب يعقوب بالبكاء اسفا على يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت
عيناه من الحزن فلما علم ذلك كان بقية حياته يامر مناديا ينادي على
سطحه الا من كان مفطرا فليتغد عند آل يعقوب وعوقب يوسف
بالمحنة التي نص الله عليها وروي عن الليث ان سبب بلاء ايوب انه
دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا له الا ايوب
فانه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلائه ومحنة سليمان
لما ذكرناه من نيته في كون الحق في جنبة اصهاره او للعمل بالمعصية في داره
ولا علم عنده وهذا ايضا فائدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله
عليه وسلم وعن عبد الله رايت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه يوعك
وعكا شديدا فقلت انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل اني
اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال
اجل ذلك كذلك وفي حديث ابي سعيد ان رجلا وضع يده على النبي
صلى الله عليه وسلم فقال والله ما اطيق اضع يدي عليك من شدة
حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء يضاعف
لنا البلاء ان كان النبي صلى الله عليه وسلم ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان

البنى ليبتلى بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء وعن انس
عنه صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب
قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضى ومن سخط فله السخط وقد قال المفسرون
فى قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به ان المسلم يجزى بمصائب الدنيا فيكون
له كفارة وروى هذا عن عائشة وابى ومجاهد وقال ابو هريرة
عنه صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وقال فى رواية عائشة
ما من مصيبة تصيب المسلم الا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها
وقال فى رواية ابى سعيد ما يصيب المسلم (المؤمن) من نصب ولا وصب ولا هم
ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها
من خطاياه وفى حديث ابن مسعود ما من مسلم يصيبه اذى الا حات
الله عنه خطاياه كما تحات ورق الشجر وحكمة اخرى اودعها الله
فى الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم
لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف عليهم
مؤنة النزع وشدة السكرات بتقدم المرض وضعف الجسم
والنفس لذلك خلاف موت الفجاة واخذه كما يشاهد من
اختلاف احوال الموتى فى الشدة واللين والصعوبة والسهولة وقد
قال عليه السلام مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا
وهكذا وفى رواية ابى هريرة من حيث اتتها الريح تكفاها فاذا اسكنت
اعتدلت وكذلك المؤمن يكفا بالبلاء ومثل الكافر كمثل الارزة
الصماء معتدلة حتى يقصمها الله معناه ان المؤمن مرزا مصاب بالبلاء
والامراض راض بتصريفه بين اقدار الله منطاع لذلك لين الجانب
برضاه تبسخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها
لهبوبها وترنحها من حيث ما اتتها فاذا ازاح الله عن المؤمن رياح
البلايا واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون
رياح الجو رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظر رحمته
وثوابه عليه فاذا كان بهذه السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله
ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدمه من الالام ومعرفة

ماله من

اصـل المصيبة الرمية بالسهم ثم استعمل فى كل نازلة وقال الراغب انما تستعمل فى الخير والشر قال الله تعالى وان تصبك حسنة وان تصبك مصيبة وقيل الاصابة فى الخير من الصواب وهو المطر الذى ينزل بقدر الحاجة من غير ضرر وفى الشر من اصابة السهم قال الكرمانى المصيبة فى اللغة ما ينزل بالانسان مطلقا وفى العرف ما نزل به من مكروه خاصة وهو المراد هنا

يشاكها: ارشوك عنه / اره خلاشوك عنه
الورق: واحده ورقة

خامة: بالخاء المعجمة وتخفيف الميم هى الطاقة الطرية الليّنة او الغضة وقال الخليل خامة الزرع اول ما ينبت على ساق واحد والالف منقلبة عن الواو

الارزة: بفتح الهمزة وقيل بكسرها وسكون الراء وبعدها زاء شجر صلب لا تحركه الريح وفسره بعضهم بالعرعر وبعضهم بالصنوبر

ترنحها: تميلها
الترنح: الدوران / الترنح: التمايل

ماله فيها من الاجر وتوطينه نفسه على المصائب ورفقها وضعفها
بتوالى المرض او شدته والكافر بخلاف هذا معافى فى غالب حاله
ممتع بصحة جسمه كالارزة الصماء حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه
لحينه على غرة واخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته
اشد عليه حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا
ولعذاب الآخرة اشد كانجعاف الارزة كما قال تعالى فاخذناهم
بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله فى اعدائه كما قال فكلا
اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة
الاية فيفجاهم جميعهم الموت على حال عتو وغفلة وصبحهم به على غير استعداد
بغتة ولهذا ما كره السلف موت الفجاة ومنه فى حديث ابراهيم كانوا يكرهون
اخذة كأخذة الاسف اى الغضب يريد موت الفجاة وحكمة ثالثة ان
الامراض نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت
فيستعد من اصابته وعلم تعاهدها له للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا
الكثيرة الانكاد ويكون قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما
يخشى تباعته من قبل الله وقبل العباد ويؤدى الحقوق الى اهلها
وينظر فيما يحتاج اليه من وصية فيمن يخلفه او امر يعهده وهذا نبينا
صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قد طلب التنصل فى مرضه
ممن كان له عليه مال او حق فى بدن واقاد من نفسه وماله وامكن
من القصاص منه على ما ورد فى حديث الفضل وحديث الوفاة واوصى
بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالانصار عيبته ودعا الى كتب كتاب
لئلا تضل امته بعده اما فى النص على الخلافة او الله اعلم بمراده ثم راى
الامساك عنه افضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين واوليائه
المتقين وهذا كله يحرمه غالبا الكفار لامهال الله لهم ليزدادوا
اثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الله تعالى ما ينظرون الا صيحة
واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم
يرجعون ولذلك قال عليه السلام فى رجل مات فجاة سبحان الله كانه
على غضب المحروم من حرم وصيته وقال موت الفجاة راحة للمؤمن

انجعاف: يقال جعفت الشئ اى صرعته / بيخ برزمين زدن

تنبيه على ان العبد لا يستعد بنيه للموت
ولهذا ما ذكر عن السلف انهم كانوا يكرهون موت الفجاة
المغافصة: يرزنى نون السلف كرهوا موت المفاجاة
لانه الغافل
السلامة من المرض الشديد قليلة جدا
الاسف: بريده دم بود
الثقل: متاع المسافر وحشمه / برای علامت تعزيب كرده رسول را بر كفنند
التنصل: خلاص شدن / يقال تنصل من الذنب اذا تبرا وتخلص

بالانصار: سمى صلى الله عليه وسلم كتاب الله واهل بيته ثقلين لان الاخذ بهما ثقيل / وذكرها ابهى / العيبة: بفتح المهملة وسكون المثناة التحتية بعدها موحدة ما يحرز فيه الرجل نفيس ما عنده يريد انهم موضع سره وامانته

واحدة اسف للكافر والفاجر وذلك لان الموت ياتي المؤمن وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله فهان امره عليه كيف ما جاء وافضى الى راحته من نصب الدنيا واذاها كما قال عليه السلام مستريح وتاتي الكافر والفاجر منيته على غير استعداد ولا اهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت اشد شيء عليه وفراق الدنيا افظع امر صدمه واكره شيء له والى هذا المعنى اشار عليه السلام بقوله من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه

القسم الرابع

في تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه عليه السلام قال الفقيه القاضي ابو الفضل قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب هذا حرم الله اذاه في كتابه واجمعت الامة على قتل منتقصه من المسلمين وسابه قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله الآية وقال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله الآية وقال تعالى في تحريم التعريض له يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا الآية وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمونه انهم لا يرعونه الا برعايته لهم وهو عليه السلام واجب الرعاية بكل حال وهذا هو عليه السلام قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ كان النبي صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا ابا القاسم فقال لم اعنك انما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتاذى باجابة دعوة غيره ممن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزؤن ذريعة الى اذاه والازراء به فينادونه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا لسواه تعنيتا واستخفافا بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى صلى الله عليه وسلم حمى اذاه بكل وجه فحمل محققو العلماء

نهيه هذا

نهيه هذا على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله ان ذلك على طريق توقيره وتعظيمه وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه لانه قد كان الله منع من ندائه به بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله ويا نبي الله وقد يدعوه بكنيته ابا القاسم بعضهم في بعض الاحوال وقد روي عن انس عنه صلى الله عليه وسلم ما يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروي ان عمر كتب الى اهل الكوفة لا يسمى احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم حكاه ابو جعفر الطبري والصواب جواز هذا كله بعده عليه السلام بدليل اطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابي القاسم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن في ذلك لعلي وقد اخبر عليه السلام ان ذلك اسم المهدي وكنيته وقد فصلنا الكلام في هذا القسم على بابين كما قدمناه

الباب الاول

في بيان ما هو في حقه عليه السلام سب او نقص من تعريض او نص اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم او عابه او الحق به نقصا في نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله او عرض به او شبهه بشيء على طريق السب له او الازراء عليه او التصغير لشانه او الغض منه والعيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم او عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور او عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من العلماء وائمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم الى هلم جرا قال ابو بكر بن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعي قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه والثوري واهل الكوفة والاوزاعي في المسلم لكنهم

الظاهرية نسبة الى داود الظاهري احد المجتهدين وارباب المذاهب المتبوعة وهو داود بن علي بن خلف ابو سليمان البغدادي الاصبهاني ... باعتداد خلاف الظاهرية وفيه اختلاف قال ابن الصلاح يعتد باختلافهم وقال ابو اسحق الاسفرائني لا يعتبر مطلقا لانهم نفوا القياس ... ولا يجوز تقليدهم القضاء وقال امام الحرمين ان المحققين لا يعتمدون الظاهرية ... والصحيح ان الظاهرية لا ينكرون القياس الجلي بل ينكرون القياس الخفي ... البيضاوي ... لا ينكر احد القياس الجلي لكن قال السبكي ينكر طائفة منهم القياس مطلقا وسموا ظاهرية لانهم يقتصرون على ظاهر الكتاب والسنة ... القياس الجلي ولا يستدلون بالقياس الخفي والقياس الجلي هو ما يقطع فيه بعدم الفارق بين الاصل والفرع كعدم الفرق بين العبد والامة في العتق ... والانوثة ولا تأثير لها في العتق والقياس الخفي هو ما يستعمله الفقهاء كقياس البطيخ على البر ... بجامع الطعم ...

قالوا هي ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبري عن ابي حنيفة واصحابه
مثله فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم او برئ منه او كذبه وقال سحنون فيمن سبه
ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل
قتله حد ام كفر كما سنبينه في الباب الثاني ان شاء الله ولا نعلم خلافا في استباحة
دمه بين علماء الامصار وسلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع على
قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد علي بن احمد الفارسي الى الخلاف في
تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون واجمع العلماء
ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه
بعذاب الله له وحكمه عند الامة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر واحتج
ابرهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة
لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال ابو سليمان الخطابي لا اعلم
احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما وقال ابن القسم عن مالك
في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى الله عليه وسلم قتل ولم يستتب قال ابن القسم
في العتبية من سبه او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل كالزنديق وقد فرض الله
توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب والامام مخير في صلبه حيا او قتله
ومن رواية ابي المصعب وابن ابي اويس سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله
صلى الله عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب
وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه
وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ يقتل
على كل حال اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف وقال
عبد الله ابن عبد الحكم من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر
قتل ولم يستتب وحكى الطبري مثله عن اشهب عن مالك وروى ابن وهب
عن مالك من قال ان رداء النبي صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبي صلى الله عليه وسلم
وسخ اراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلماء على ان من دعا على نبي
من الانبياء بالويل او بشيء من المكروه انه يقتل بلا استتابة وافتى ابو
الحسن القابسي فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم الحمال يتيم ابي طالب

بالقتل

وافتى محمد بن ابي زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم
اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي صفة هذا المار في خلقه ولحيته
قال يقتل ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله عليه وليس يخرج من قلب سليم الايمان و
قال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
اسود يقتل وقال في رجل قيل له لا وحق رسول الله فقال فعل الله برسول الله كذا
وكذا كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال اشد من كلامه الاول ثم
قال انما اردت برسول الله العقرب فقال ابن ابي سليمان للذي سأله اشهد عليه
وانا شريكك في قتله وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع لان ادعاء التأويل
في لفظ صراح لا يقبل لانه امتهان وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر
له فوجبت اباحة دمه وافتى ابو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل اد واشك
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان سألت او جهلت فقد سأل وجهل النبي
بالقتل وافتى فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه
بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء
مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر
على الطيبات اكلها الى اشباه لهذا وافتى فقهاء القيروان واصحاب سحنون
بقتل ابرهيم الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن
يحضر مجلس القاضي ابي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة
في هذا الباب في الاستهزاء بالله وانبيائه ونبينا صلى الله عليهم وعليه
فاحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن بالسكين
وصلب منكسا ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض المؤرخين انه لما
رفعت خشبته وزالت عنها الايدي استدارت وحولته عن القبلة فكان
آية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا عنه عليه السلام انه قال لا يلغ الكلب
في دم مسلم وقال القاضي ابو عبد الله بن المرابط من قال ان النبي صلى الله
عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه
صلى الله عليه وسلم في خاصة نفسه اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته
وقال حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك واصحابه ان من قال فيه عليه السلام

ما فيه نقص قتل دون استتابة وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان أن
من قصد النبي صلى الله عليه وسلم بأذى أو نقص معرضا أو مصرحا وإن قل فقتله واجب فهذا
الباب كله مما عده العلماء سبا وتنقصا يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم
ولا متأخرهم وإن اختلفوا في حكم قتله على ما أشرنا إليه ونبينه بعد وكذلك
أقول حكم من غمصه أو عيره برعاية الغنم أو السهو أو النسيان أو السحر أو
ما أصابه من جرح أو هزيمة لبعض جيوشه أو أذى من عدوه أو شدة من زمانه أو بالميل
إلى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى مذاهب العلماء
في ذلك ويأتي ما يدل عليه **فصل في الحجة في إيجاب قتل من سبه أو عابه**
فمن القرآن لعنه الله تعالى لمؤذيه في الدنيا والآخرة وقرانه أذاه تعالى بأذاه صلى الله
عليه وسلم ولا خلاف في قتل من سب الله وأن اللعن إنما يستوجبه من هو كافر وحكم
الكافر القتل فقال إن الذين يؤذون الله ورسوله الآية وقال في قاتل المؤمن
مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا
تقتيلا وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل
بمعنى اللعن قال تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله أي لعنهم ولأنه فرق بين أذاهما
وأذى المؤمنين وفي أذى المؤمنين ما دون القتل من الضرب والنكال فكان
حكم مؤذي الله ونبيه أشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم فسلب اسم الإيمان عمن وجد في
صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال تعالى
يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي إلى قوله أن
تحبط أعمالكم ولا تحبط العمل إلا الكفر والكافر يقتل وقال تعالى وإذا
جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير
وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن ثم قال والذين
يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم وقال ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض
ونلعب إلى قوله قد كفرتم بعد إيمانكم قال أهل التفسير كفرتم بقولكم في
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الإجماع فقد ذكرناه وأما الآثار
فحدثنا الشيخ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ أبي ذر الهروي إجازة
قال ح أبو الحسن الدارقطني وأبو عمر بن حيويه ح محمد بن نوح ح عبد العزيز

ابن محمد

مطلب وقوع القتل بمعنى اللعن

ابن محمد بن الحسن بن زبالة ح عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن أبيه عن
جده عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن الحسين بن علي عن أبيه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب أصحابي فاضربوه
وفي الحديث الصحيح أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الأشرف
وقوله من لكعب بن الأشرف فإنه يؤذي الله ورسوله ووجه إليه من قتله
غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل بأذاه له فدل أن
قتله إياه لغير الإشراك بل للأذى وكذلك قتل أبا رافع قال البراء وكان
يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكذلك أمره
يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه صلى الله عليه
وسلم وفي حديث آخر أن رجلا كان يسبه صلى الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوي
فقال خالد أنا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك لم يقبل أمانا ممن كان
يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط وعهد
بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا إلا من بادر بإسلامه
قبل القدرة عليه وقد روى البزار عن ابن عباس أن عقبة بن أبي معيط
نادى يا معشر قريش ما لي أقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
بكفرك وافترائك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عبد الرزاق أن النبي
صلى الله عليه وسلم سبه رجل فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير أنا فبارزه فقتله الزبير
وروي أيضا أن امرأة كانت تسب النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوتي
فخرج إليها خالد بن الوليد فقتلها وروي أن رجلا كذب على النبي صلى
الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير إليه ليقتلاه وروى ابن قانع أن رجلا جاء
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت أبي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته
فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ المهاجر بن أبي أمية أمير اليمن لأبي بكر
أن امرأة هناك في الردة غنت بسب النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع
ثنيتها فبلغ ذلك أبا بكر فقال له لولا ما فعلت لأمرتك بقتلها لأن حد
الأنبياء ليس يشبه الحدود وعن ابن عباس هجت امرأة من خطمة النبي صلى الله
عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل من قومها أنا يا رسول الله فنهض فقتلها
فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس

ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر فلما كانت
ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه فقتلها واعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
فاهدر دمها وفي حديث ابي برزة الاسلمي كنت يوما جالسا عند ابي بكر الصديق
فغضب على رجل من المسلمين وحكى القاضي اسمعيل وغير واحد من الائمة في هذا الحديث
انه سب ابا بكر ورواه النسائي اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل فرد عليه
قال فقلت يا خليفة رسول الله دعني اضرب عنقه فقال اجلس فليس
ذلك لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف
عليه احد فاستدل الائمة بهذا الحديث على قتل من اغضب النبي صلى الله عليه وسلم
بكل ما اغضبه او اذاه او سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى عامله
بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر فكتب عمر اليه انه لا يحل قتل
امرء مسلم بسب احد من الناس الا رجل سب النبي صلى الله عليه وسلم فمن سبه
فقد حل دمه وسال الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له
ان فقهاء العراق افتوا بجلده فغضب مالك وقال يا امير المؤمنين ما بقاء الامة بعد نبيها
من شتم الانبيا قتل ومن شتم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه كذا وقع في هذه الحكاية رواها غير واحد من اصحاب مناقب مالك
ومؤلفي اخباره وغيرهم ولا ادري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد
بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم يشتهر بعلم او من لا يوثق
بفتواه او يميل به هواه او يكون ما قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب
ام غير سب او يكون رجع وتاب عن سبه ولم يقله لمالك على اصله والا فالاجماع
على قتل من سبه كما قدمناه ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه
او تنقصه عليه السلام فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سوء طويته وكفره
ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك والاوزاعي
وهو قول الثوري وابي حنيفة والكوفيين والقول الاخر انه دليل على الكفر
فقتله حدا وان لم يحكم له بالكفر الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر ولا
مقلع عنه فهذا كافر اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزاء
والذم فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر ايضا
فهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا

كلمة الكفر

كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم قال اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول
محمد حقا لنحن شر من الحمير وقيل بل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل
سمن كلبك يأكلك ولئن رجعنا الى المدينة الاية ويدل عليه ايضا ان قائل مثل
هذا ان كان مستترا به ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه قد غير دينه وقد قال
عليه السلام من غير دينه فاضربوا عنقه ولان لحكم النبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة مزية
على امته وساب الحر من امته يحد وكانت العقوبة لمن سبه عليه السلام القتل
لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره

فصل

فان قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه
وسلم اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا قتل الاخر الذي
قال له ان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وقد تاذى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك
وقال قد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه
في اكثر الاحيان فاعلم وفقنا الله واياك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
اول الاسلام يستألف عليه الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه
في قلوبهم ويداريهم ويقول لاصحابه انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول
يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل
اصحابه وكان صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم
ويغضي عنهم ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفاهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه
وكان يرفقهم بالعطاء والاحسان وبذلك امره الله تعالى فقال ولا تزال تطلع
على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين
وقال ادفع بالتي هي احسن السيئة فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم
وذلك لحاجة الناس للتألف اول الاسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر واظهره الله
على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله بابن خطل و
من عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم او غلبة ممن
لم ينتظم قبل في سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان به ممن كان
يؤذيه كابن الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك نذر صلى
الله عليه وسلم دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما
ممن اذاه حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة
وحكمه عليه السلام على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان يقولها

القائل منهم خفية ومع أمثاله ويحلفون عليها إذا نميت وينكرونها ويحلفون
بالله ما قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم إلى
الإسلام وتوبتهم فيصبر عليه السلام على هناتهم وجفوتهم كما صبر أولو العزم من
الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا وأظهره كما أظهر جهرا ونفع الله
بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء وأعوان وحماة وأنصار كما جاءت به الأخبار
وبهذا أجاب بعض أئمتنا عن هذا السؤال وقيل لعله لم يثبت عنده عليه السلام
من أقوالهم ما رفع وإنما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب من
صبي وعبد وامرأة والدماء لا تستباح إلا بعدلين وعلى هذا يحمل أمر اليهود
في السلام وأنهم لووا به ألسنتهم ولم يبينوه ألا ترى كيف نبهت عليه عائشة
ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم على
فعلهم أصحابه وعلى قلة صبرهم في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بألسنتهم وطعنا
في الدين فقال إن اليهود إذا سلم أحدهم عليكم فإنما يقول السام عليكم فقولوا
عليكم وكذلك قال بعض أصحابنا من البغداديين إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل
المنافقين بعلمه فيهم ولم يأت أنه قامت بينة على نفاقهم فلذلك تركهم
صلى الله عليه وسلم وأيضا فإن الأمر كان سرا وباطنا وظاهرهم الإسلام والإيمان
وإن كان من أهل الذمة بالعهد والجوار والناس قريب عهدهم بالإسلام لم
يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين في العرب كون من يتهم بالنفاق
من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وأنصار الدين بحكم ظاهرهم فلو
قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما أسروا في
أنفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد وأرجف المعاند وارتاع
من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في الإسلام غير واحد ولزعم
الزاعم وظن العدو الظالم أن القتل إنما كان للعداوة وطلب أخذ
الترة وقد رأيت معنى ما حررته منسوبا إلى مالك بن أنس ولهذا قال عليه
السلام لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وقال أولئك الذين نهاني الله
عن قتلهم وهذا بخلاف إجراء الأحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا و
القتل وشبهه لظهورها واستواء الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز
لو أظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقاله القاضي

ابو الحـ

أبو الحسن ابن القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون
والذين في قلوبهم مرض إلى قوله تبديلا قال معناه إذا أظهروا النفاق
وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن أسلم أن قوله تعالى يا أيها النبي جاهد
الكفار والمنافقين نسخت ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القائل
هذه قسمة ما أريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه
الطعن عليه والتهمة له وإنما رآها من وجه الغلط في الرأي وأمور الدنيا
والاجتهاد في مصالح أهلها فلم ير ذلك سبا ورأى أنه من الأذى الذي له العفو
عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود إذ
قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء إلا بما لا بد منه من الموت الذي
لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد تسأمون دينكم والسأم والسآمة
الملال وهذا دعاء على سآمة الدين ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا
الحديث باب إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي عليه السلام قال بعض علمائنا وليس
هذا بتعريض بالسب وإنما هو تعريض بالأذى قال الفقيه القاضي أبو الفضل
رضي الله عنه قد قدمنا أن الأذى والسب في حقه صلى الله عليه وسلم سواء وقال
القاضي أبو محمد بن نصر محتجا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر
في هذا الحديث هل كان هذا اليهودي من أهل العهد والذمة والحرب
ولا يترك موجب الأدلة للأمر المحتمل والأولى في ذلك كله والأظهر من هذه الوجوه
مقصد الاستيلاف والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخاري
على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر
الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك وقررناه قبل وقد صبر لهم عليه
السلام على سحره وسمه وهو أعظم من سبه إلى أن نصره الله عليهم وأذن
له في قتل من حينه منهم وإنزالهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب
وكتب على من شاء منهم الجلاء وأخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بأيديهم
وأيدي المؤمنين وكاشفهم بالسب فقال يا إخوة القردة والخنازير
وحكم فيهم سيوف المسلمين وأجلاهم عن جوارهم وأورثهم أرضهم
وديارهم وأموالهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا
السفلى فإن قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة أنه صلى الله عليه

ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى اليه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم
ان هذا لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه او آذاه وكذبه فان هذه من حرمات
الله التي انتقم لها وانما يكون ما لا ينتقم له فيما تعلق بسوء ادب او معاملة
من القول والفعل في النفس والمال مما لم يقصد فاعله به اذاه لكن مما جبلت
عليه الاعراب من الجفاء والجهل او جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الاعرابي
ازاره حتى اثر في عنقه وكرفع الصوت عنده وكجحد الاعرابي شراءه منه
فرسه التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجيه عليه واشباه
هذا مما يحسن الصفح عنه وقد قال بعض علمائنا ان اذى النبي عليه السلام حرام
لا يجوز بفعل مباح ولا غيره واما غيره من الناس فيجوز بفعل مباح ما يجوز للانسان
فعله وان تاذى به غيره واحتج بعموم قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله
وبقوله عليه السلام في حديث فاطمة انها بضعة مني يؤذيني ما آذاها
الا واني لا احرم ما احل الله ولكن لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند
رجل ابدا او يكون هذا مما آذاه به كافر رجا بعد ذلك اسلامه كعفوه
عن اليهودي الذي سحره وعن الاعرابي الذي اراد قتله وعن اليهودية
التي سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا مما بلغه من اذى اهل الكتاب
والمنافقين فصفح عنهم رجاء استيلاف غيرهم بهم كما قررناه وبالله التوفيق

فصل وقد تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه والازراء به
وغمصه باي وجه كان من ممكن او محال فهذا وجه بين لا اشكال
فيه الوجه الثاني لاحق به في البيان والجلاء وهو ان يكون القائل
لما قال في جهته عليه السلام غير قاصد للسب والازراء ولا معتقد له ولكنه
تكلم في جهته عليه السلام بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة ما
لا يجوز عليه او نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه السلام نقيصة مثل ان ينسب اليه
عليه السلام اتيان كبيرة او مداهنة في تبليغ الرسالة او في حكم بين الناس
او يغض من مرتبته او شرف نسبه او وفور علمه او زهده او تكذيب ما اشتهر من امور
اخبر بها عليه السلام وتواتر الخبر بها عن قصد لرد خبره او ياتي بسفه من
القول وقبيح من الكلام ونوع من السب في جهته وان ظهر بدليل حاله
انه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه اما لجهالة حملته على ما قاله او لضجر او سكر

اضطره اليه او قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه
حكم الاول القتل دون تلعثم اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى
زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه اذا كان عقله في فطرته سليما الا من اكره
وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه وقد قال محمد بن سحنون في المأسور يسب
النبي صلى الله عليه وسلم في ايدي العدو يقتل الا ان يعلم تنصره او اكراهه وعن ابي
محمد بن ابي زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان في مثل هذا وافتى ابو الحسن القابسي
فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل لانه يظن انه يعتقد هذا ويفعله
في صحوه وايضا فانه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر
الحدود لانه ادخله على نفسه لان من شرب الخمر على علم من زوال عقله واتيان
ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق
والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله
للنبي صلى الله عليه وسلم وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف النبي صلى الله عليه وسلم
انه ثمل فانصرف لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في جناياتها
اثم فكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم
وشرب الدواء المأمون **فصل** الوجه الثالث ان يقصد
الى تكذيبه فيما قاله واتى به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده او يكفر به
انتقل بقوله ذلك الى دين آخر غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع يجب قتله
ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي
الخلاف في استتابته وعلى القول الآخر لا يسقط القتل عنه توبته لحق النبي
صلى الله عليه وسلم ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره
وان كان متسترا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا يسقط قتله التوبة عندنا
كما سنبينه قال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد او كذب به فهو
مرتد حلال الدم اللهم الا ان يرجع وقال ابن القاسم في المسلم اذا قال ان
محمدا ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء يقوله يقتل
قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وانكره من المسلمين فهو بمنزلة
المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه فهو كالمرتد يستتاب وكذلك من قال

تنبأ وزعم انه يوحى اليه وقاله سحنون وقال ابن القسم دعا ذلك سرا او
جهرا قال اصبغ وهو كالمرتد لانه كفر بكتاب الله مع الفرية على الله
وقال اشهب في يهودي تنبأ او زعم انه ارسل الى الناس او قال بعد
نبيكم نبي انه يستتاب ان كان معلنا بذلك فان تاب والا قتل
وذلك لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي
مفتر على الله في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون
من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله فهو كافر جاحد
وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند الامة القتل
وقال احمد بن ابي سليمن صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه
وسلم اسود يقتل لانه لم يكن صلى الله عليه وسلم باسود وقال نحوه ابو عثمان
الحداد لو قال انه مات قبل ان يلتحي وانه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة
قتل لان هذا نفي قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر
والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة

فصل الوجه الرابع ان ياتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول
بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم او غيره او يتردد في المراد به
من سلامته من المكروه او شره فههنا متردد النظر وحيرة العبر ومظنة
اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين ليهلك من هلك عن بينة
ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم
وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرأ الحد
بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف ائمتنا في رجل اغضبه غريمه
فقال له صل على النبي محمد فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى
عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة
الذين يصلون عليه قال لا اذا كان على ما وصفت من الغضب لانه لم يكن
مضمرا للشتم وقال ابو اسحق البرقي واصبغ ابن الفرج لا يقتل لانه انما شتم
الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله
ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم يكن معه قرينة تدل على سب
صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة ولا مقدمة عنده يحمل عليها كلامه بل القرينة

تدل على

تدل على ان مراده الناس غيرهم لاجل قول الاخر له صل على النبي
فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الان لاجل امر الاخر له بهذا عند غضبه هذا معنى قول
سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه وذهب الحرث بن مسكين القاضي وغيره
في مثل هذا الى القتل وتوقف ابو الحسن القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق
قرنان ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى تستفهم
البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده هل اراد اصحاب الفنادق
الان فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره اخف قال ولكن
ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتاخرين
وقد كان فيمن تقدم من الانبياء والرسل من اكتسب المال قال ودم
المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين وما ترد اليه التاويلات لابد من امعان
النظر فيه هذا معنى كلامه وحكي عن ابي محمد بن ابي زيد فيمن قال لعن
الله العرب ولعن الله بني اسرائيل ولعن الله بني آدم وذكر انه لم يرد الانبياء
وانما اردت الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان
وكذلك افتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه
وفيمن لعن حديث لا يبع حاضر لباد ولعن ما جاء به انه ان كان
يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن فعليه الادب الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد
بظاهره سب الله ولا سب النبي صلى الله عليه وسلم وانما لعن من حرمه من الناس على نحو
فتوى سحنون واصحابه في المسئلة المتقدمة ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء الناس
من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر
القول ولا شك انه يدخل في مثل هذا العدد من آبائه واجداده جماعة من الانبياء
ولعل بعض هذا العدد ينقطع الى آدم فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل
منه وشدة الادب فيه ولو علم انه قصد سب من في آبائه من الانبياء على علم لقتل
وقد يضيق القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال اردت
الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن قرينة في المسئلتين
تخصيص بعض آبائه واخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم وقد رأيت لابي موسى
ابن مناس فيمن قال لرجل لعنك الله الى آدم انه ان ثبت عليه ذلك قتل وقد كان اختلف
شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال تتهمني فقال له الاخر الانبياء يتهمون

فكيف فكان شيخنا ابو اسحق ابن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ
وكان القاضي ابو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده
ان يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار وافتى فيها قاضي قرطبة ابو عبد الله
ابن الحاج بنحو هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده واطال سجنه ثم استحلفه
بعد على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه
وهن ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله بن عيسى ايام قضائه
اتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله فقال له قم يا محمد
فانكر الرجل ان يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى
السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد عليه
ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه وقد غير عمر بن الخطاب
اسم محمد بن زيد ابن الخطاب لمثل هذا وذلك انه سمع رجلا يسب رجلا اسمه
محمد يقول له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن اخيه زيد لا ارى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسب بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن
ثم هم بتغيير اسماء من تسمى باسماء الانبياء اكراما لهم لذلك فغير منها
اسماء قوم معروفون ثم ترك ذلك. **فصل** الوجه الخامس الا يقصد
نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه او يستشهد
ببعض احواله الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه
او لغيره او على التشبه به او عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته ليس على
سبيل التاسي وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او
سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه او قصد الهزل والتندير بقوله كقول القائل
ان قيل في السوء فقد قيل في النبي وان كذبت فقد كذب الانبياء او ان اذنبت
فقد اذنبوا او انا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم انبياء الله ورسله او
قد صبرت كما صبر ايوب او كما صبر اولو العزم من الرسل او كصبر نبي الله من عداه
وحلم على اكثر مما صبرت وكقول المتنبي: انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود
ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري:
كنت موسى وافته بنت شعيب غير ان ليس فيكما من فقير
على ان آخر البيت شديد وداخل في باب الازراء والتحقير بالنبي صلى الله عليه وسلم

وتفضيل حال غيره عليه. وكذلك قوله: لولا انقطاع الوحي بعد محمد
قلنا محمد من ابيه بديل. هو مثله في الفضل الا انه لم ياته برسالة جبريل.
فصدر البيت الثاني من هذا الفصل شديد لتشبيهه غير النبي في الفضل بالنبي صلى
الله عليه وسلم والعجز محتمل لوجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح
والاخرى استغناؤه عنها وهذه اشد. ونحو منه قول الآخر: واذا ما رفعت راياته
صفقت بين جناحي جبرين. وقول الآخر من اهل العصر: فر من الخلد واستجار
بنا فصبر الله قلب رضوان. وكقول حسان المصيصي من شعراء الاندلس
في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره ابي بكر بن زيدون: كان ابا بكر
ابو بكر الرضى. وحسان حسان وانت محمد. الى امثال هذا وانما اكثرنا
بشاهدها مع استثقالنا حكاياتها لتعريف امثلتها ولتساهل كثير من الناس
في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم
بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند
الله عظيم لا سيما الشعراء واشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هانئ الاندلسي
وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما عن هذا الى حد الاستخفاف
والنقص وصريح الكفر وقد اجبنا عنه وغرضنا الآن الكلام في هذا الفصل
الذي سقنا امثلته فان هذه كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافت الى الانبياء
والملائكة نقصا ولست اعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها ازراء
وغضا فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزز حظوة
الكرامة حين شبه من شبه في كرامة نالها او معرة قصد الانتفاء منها
او ضرب مثل لتطييب مجلسه او اغلاء في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره
وشرف قدره والزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده
فحق هذا ان درئ عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة
مقاله ومقتضى قبح ما نطق به ومالوف عادته لمثله او ندوره وقرينة كلامه
او ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن
جاء به وقد انكر الرشيد على ابي نواس قوله: فان يك باقي سحر فرعون فيكم
فان عصى موسى بكف خصيب. وقال له: يا ابن اللخناء انت المستهزئ
بعصى موسى وامر باخراجه عن عسكره من ليلته. وذكر القتبي ان

ان مما اخذ عليه ايضا وكفر فيه او قارب قوله في محمد الامين وتشبيهه
اياه بالنبي صلى الله عليه وسلم تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها خلقا وخلقا
كما قد الشراكان وقد انكروا ايضا عليه قوله كيف لا يدنيك من امل
من رسول الله من نفره لان حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وموجب تعظيمه و
اناقة منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف فالحكم في امثال هذا ما بسطناه في
طريق الفتيا على هذا المنهج جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن انس واصحابه ففي النوادر
من رواية ابن ابي مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى
النبي صلى الله عليه وسلم الغنم فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم
في غير موضعه ارى ان يؤدب قال ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان
يقولوا قد اخطأت الانبياء قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا
كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له قد كان ابو النبي صلى الله عليه
وسلم كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي ابدا وقد كره
سحنون ان يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب الا على طريق
الثواب والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله وسئل القابسي
عن رجل قال لرجل قبيح كأنه وجه نكير ولرجل عبوس كأنه وجه مالك
الغضبان فقال اي شيء اراد بهذا ونكير احد فتاني القبر وهما ملكان
فما الذي اراد اروع دخل عليه حين رآه من وجهه ام عاف النظر اليه
لدمامة خلقه فان كان هذا فهو شديد لانه جرى مجرى التحقير والتهوين
فهو اشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك وانما السب واقع
المخاطب وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء قال واما ذاكر
مالك خازن النار فقد جفا الذي ذكره عندما انكر من عبوس الآخر
الا ان يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه القائل على طريق الذم
لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول
كأنه لله يغضب غضب مالك فيكون اخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا
ولو كان اثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان اشد ويعاقب المعاقبة
الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال ابو الحسن ايضا
في شاب معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فانك امي

فقال الشاب

مطلب مذهب صاحب الكتاب مالكي

فقال الشاب أليس كان النبي صلى الله عليه وسلم اميا فشنع عليه مقاله و
كفره الناس واشفق الشاب مما قال واظهر الندم فقال ابو الحسن
القابسي اما اطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده
بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكون النبي صلى الله عليه وسلم اميا
آية له وكون هذا اميا نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه
بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه اذا استغفر وتاب واعترف
ولجأ الى الله فيترك لان قوله لا ينتهي الى حد القتل وما طريقه الادب
فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت ايضا مسألة
استفتى فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي ابا محمد بن منصور
في رجل تنقصه آخر بشيء فقال له انما تريد نقصي بقولك وانا بشر وجميع
البشر يلحقهم النقص حتى النبي فافتاه باطالة سجنه وايجاع ادبه اذ لم يقصد
السب وكان بعض الفقهاء بالاندلس افتى بقتله **فصل** الوجه
السادس ان يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره وآثرا له عن سواه فهذا ينظر
في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف ذلك
على اربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة والتحريم فان كان اخبر به
على وجه الشهادة والتعريف بقائله والانكار والاعلام بقوله والتنفير
منه والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك ان حكاه
في كتاب او في مجلس على طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه
وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي
عنه فان كان القائل لذلك ممن تصدى لان يؤخذ عنه العلم
او رواية الحديث او يقطع بحكمه او شهادته او فتياه في الحقوق
وجب على سامعه الاشادة بما سمع والتنفير للناس عنه والشهادة
عليه بما قاله ووجب على من بلغه ذلك من ائمة المسلمين انكاره
وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق
سيد المرسلين وكذلك ان كان ممن يعظ العامة او يؤدب
الصبيان فان من هذه سريرته لا يؤمن على القاء ذلك في قلوبهم
فيتأكد في هؤلاء الايجاب لحق النبي صلى الله عليه وسلم

ولحق شريعته وإن لم يكن القائل بهذا السبيل فالقيام بحق النبي
صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعين ونصرته عن الأذى حيا
وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه إذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت
به القضية وبان به سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب في تكثير
الشهادة عليه وعضد التحذير منه وقد أجمع السلف على بيان حال المتهم
في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل أبو محمد بن أبي زيد عن الشاهد يسمع
مثل هذا في حق الله أيسعه أن لا يؤدي شهادته قال إن رجا نفاذ الحكم
بشهادته فليشهد وكذلك إن علم أن الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى
الاستتابة والأدب فليشهد ويلزمه ذلك وأما الإباحة لحكاية قوله
لغير هذين المقصدين فلا أرى لها مدخلا في الباب فليس التفكه بعرض النبي
صلى الله عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره لأحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض
بمباح وأما للأغراض المتقدمة فمتردد بين الإيجاب والاستحباب وقد حكى
الله مقالات المفترين عليه وعلى رسله في كتابه على وجه الإنكار لقولهم
والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه علينا في محكم
كتابه وكذلك وقع من أمثاله في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة
على الوجوه المتقدمة وأجمع السلف والخلف من أئمة الهدى على حكايات
مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا
شبهها عليهم وإن كان ورد لأحمد بن حنبل إنكار لبعض هذا على الحارث
ابن أسد فقد صنع أحمد مثله في رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق
هذه الوجوه السائغة الحكاية عنها فأما ذكرها على غير هذا من حكاية
سبه والإزراء بمنصبه على وجه الحكايات والأسمار والطرف وأحاديث
ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء والخوض
في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه أشد
في المنع والعقوبة من بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد
أو معرفة بمقدار ما حكاه أو لم تكن عادته أو لم يكن الكلام من البشاعة
حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك
ونهي عن العود إليه كان الأدب أشد وقد حكي أن رجلا سأل مالكا

عمن يقول القرآن مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال إنما
حكيته عن غيري فقال مالك إنما سمعناه منك وهذا من مالك
رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ بدليل أنه لم ينفذ قتله وإن اتهم
هذا الحاكي فيما حكاه أنه اختلقه ونسبه إلى غيره أو كانت تلك
عادة له أو ظهر استحسانه لذلك أو كان مولعا بمثله والاستخفاف له أو
التحفظ لمثله وطلبه ورواية أشعار هجوه وسبه صلى الله عليه وسلم فحكم
هذا حكم الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا ينفعه نسبته إلى غيره فيبادر
بقتله ويعجل إلى الهاوية أمه وقد قال أبو عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ
شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر
بعض من ألف في الإجماع إجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله
عليه وسلم وكتابته وقراءته وتركه متى وجد دون محو ورحم الله أسلافنا
المتقين المتحرزين لدينهم فقد أسقطوا من أحاديث المغازي والسير ما كان
هذا سبيله وتركوا روايته إلا أشياء ذكروها يسيرة وغير مستبشعة
على نحو الوجوه الأول ليروا نقمة الله من قائلها وأخذه المفتري عليه بذنبه
وهذا أبو عبيد القاسم بن سلام قد تحرى فيما اضطر إلى الاستشهاد به من
أهاجي العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه
وتحفظا من المشاركة في ذم أحد بروايته أو نشره فكيف بما يتطرق
إلى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم.

فصل الوجه السابع

أن يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم أو يختلف في جوازه عليه وما يطرأ
من الأمور البشرية به ويمكن إضافتها إليه أو يذكر ما امتحن به وصبر
في ذات الله على شدته من مقاساة أعدائه وأذاهم له ومعرفة ابتداء حاله
وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة عيشته كل
ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة
للأنبياء وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة
إذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا إزراء ولا استخفاف لا في ظاهر
اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب أن يكون الكلام فيه
مع أهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحققون

لا يفقه

فوائده ويجب ذلك من عساه لا يفهمه او تخشى به فتنة فقد كره بعض
السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص
لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن فقد قال عليه السلام مخبرا
عن نفسه باستيجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال ما من نبي
الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله بذلك عن موسى عليه السلام وهذا لا غضاضة
فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة
والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك للانبياء حكمة بالغة
وتدريج لله لهم الى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة اممهم من خليقته بما سبق
لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر الله يتمه وعيلته
على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر لها على وجه تعريف
حاله والخبر عن مبتدائه والتعجب من منح الله قبله وعظيم منته عنده ليس فيه
غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته اذ اظهره الله تعالى بعد هذا
على صناديد العرب ومن ناواه من اشرافهم شيئا فشيئا ونما امره حتى
قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الامم
غيرهم باظهار الله تعالى له وتاييده بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم
وامداده بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك او ذا اشياع متقدمين
لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال
هرقل حين سال ابا سفيان عنه هل في ابائه من ملك ثم قال ولو كان
في ابائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه واذا اليتم من صفته واحد علاماته
في الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب
ارميا وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب وبحيرا لابي طالب
وكذلك اذا وصف بانه امي كما وصفه الله تعالى به فهو مدحة له وفضيلة ثابتة
فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته العظمى من القران العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف
والعلوم مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم
الاول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرا ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى
العجب ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة اذ المطلوب
من الكتابة والقراءة المعرفة وانما هي آلة لها وواسطة موصلة لها

قال السلام ما من نبي الا وقد رعى الغنم

غير مرادة

غير مرادة في نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغنى عن الواسطة والسبب
والامية في غيره نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان
من باين امره من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما
فيه هلاك من عاداه هذا شق قلبه واخراج حشوته كان تمام حياته
وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته
وفنائه وهلم جرا الى سائر ما روي من اخباره وسيره وتقلله من الدنيا
ومن الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في اموره وخدمة
بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسوية بين حقيرها وخطيرها لسرعة فناء
امورها وتقلب احوالها كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه كما ذكرناه
فمن اورد شيئا منها مورده وقصد بها مقصده كان حسنا ومن
اورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء مقصده لحق بالفصول التي
قدمناها وكذلك ما ورد من اخباره واخبار سائر الانبياء عليهم السلام في الاحاديث
مما في ظاهره اشكال يقتضي امورا لا تليق بهم بحال وتحتاج الى تاويل
وتردد احتمال فلا يجب ان يتحدث منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم
الثابت ورحم الله مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة
للتشبيه والمشكلة المعنى وقال ما يدعو الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل
له ان ابن عجلان يحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه
رحمه الله على ترك الحديث بها وساعدوه على طيها فاكثرها ليس تحته عمل وقد
حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة انهم كانوا يكرهون
الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم اوردها على قوم عرب
يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته
وتبليغه وايجازه فلم يكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة
وداخلته الامية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب الا نصها وصريحها
ولا يتحقق اشاراتها الى غرض الايجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها
فتفرقوا في تاويلها او حملها على ظاهرها شذر مذر فمنهم من آمن به
ومنهم من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب
الا يذكر منها شيء في حق الله ولا حق انبيائه صلى الله عليهم وسلم

ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب تركها وطرح الشغل
بها إلا أن يذكر على وجه التعريف بأنها ضعيفة المعاني واهية الإسناد وقد
أنكر الأشياخ على أبي بكر بن فورك تكلفه في مشكله الكلام على أحاديث
ضعيفة موضوعة لا أصل لها أو منقولة عن أهل الكتاب الذين يلبسون
الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه
على ضعفها إذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها إزالة اللبس بها
واجتثاثها من أصلها وطرحها أكشف للبس وأشفى للنفس ..

فصل ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم
وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق
المذاكرة والتعليم أن يلتزم في كلامه عند ذكره عليه السلام
وذكر تلك الأحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا
يهمله ويظهر عليه علامات الأدب عند ذكره فإذا ذكر ما قاساه
من الشدائد ظهر عليه الإشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة
الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو أمكنته
وإذا أخذ في أبواب العصمة وتكلم على مجاري أعماله وأقواله عليه السلام
تحرى أحسن اللفظ وأدب العبارة ما أمكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر
من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فإذا تكلم في
الأقوال قال هل يجوز عليه الخلف في القول والإخبار بخلاف ما وقع
سهوا أو غلطا ونحوه من العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة
وإذا تكلم على العمل قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الأوامر والنواهي
ومواقعة بعض الصغائر فهو أدب وأولى من قوله هل يجوز أن
يعصي أو يذنب أو يفعل كذا وكذا من أنواع المعاصي فهذا من
حق توقيره وما يجب له من تعزير وإعظام صلى الله عليه وسلم
وقد رأيت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم أستصوب
عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قوله لأجل ترك تحفظه في
العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله وإذا كان
مثل هذا بين الناس مستعملا في آدابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم

فاستعماله

فاستعماله في حقه صلى الله عليه وسلم أوجب والتزامه آكد فجودة العبارة
تقبح الشيء أو تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الأمر أو يهونه ولهذا قال
عليه السلام إن من البيان لسحرا فأما ما أورده على جهة النفي عنه والتنزيه
فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب
جملة ولا إتيان الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع
هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكره مجردا
فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف تظهر عليهم حالات
شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم
يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آي من القرآن ذكر الله فيها مقال عداه
ومن كفر بآياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته
إعظاما لربه وإجلالا له وإشفاقا من التشبه بمن كفر ..

سبحانه لا إله إلا هو العلي العظيم

الباب الثاني

في حكم سابه وشانئه ومتنقصه ومؤذيه
وعقوبته وذكر استتابته ووراثته قد قدمنا ما هو سب وأذى في
حقه صلى الله عليه وسلم وذكرنا إجماع العلماء على قتل فاعل
ذلك وقائله أو تخيير الإمام في قتله أو صلبه على ما ذكرناه
وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم أن مشهور مذهب مالك وأصحابه
وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا إن أظهر التوبة
منه ولهذا لا يقبل عندهم توبته ولا تنفعه استقالته ولا فيئته كما قدمناه
قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته
على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله أو جاء تائبا من قبل نفسه
لأنه حد وجب لا تسقطه التوبة كسائر الحدود قال الشيخ أبو الحسن القابسي
إذا أقر بالسب وتاب منه وأظهر التوبة قتل بالسب لأنه هو حده وقال
أبو محمد بن أبي زيد مثله وأما ما بينه وبين الله فتوبته تنفعه وقال
ابن سحنون من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب عن ذلك
لم تزل توبته عنه القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق إذا
جاء تائبا فحكى القاضي أبو الحسن ابن القصار في ذلك قولين قال
من شيوخنا من قال أقتله بإقراره لأنه كان يقدر على ستر نفسه

فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال اقبل
توبته لاني استدل على صحتها بمجيئه فكأننا وقفنا على باطنه بخلاف من
اسرته البينة قال الفقيه القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وهذا قول اصبغ
ومسئلة ساب النبي صلى الله عليه وسلم اقوى لا يتصور فيها الخلاف على الاصل
المتقدم لانه حق متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته بسببه لا يسقط
بالتوبة كسائر حقوق الآدميين والزنديق اذا تاب بعد القدرة
عليه فعند مالك والليث واحمد واسحق لا يقبل توبته وعند الشافعي
يقبل واختلف فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف وحكى ابن المنذر عن
علي بن ابي طالب يستتاب قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم
بالتوبة من سبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم ينتقل من دين الى
غيره وانما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه لاحد كالزنديق لانه
لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال القاضي ابو محمد بن نصر محتجا لسقوط
اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب الله على مشهور القول
باستتابته ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر والبشر جنس يلحقهم المعرة
الا من اكرمه الله تعالى بنبوته والباري تعالى منزه عن جميع المعايب
قطعا وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه عليه السلام كالارتداد
المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من
الآدميين فقبلت توبته ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق به حق لآدمي
فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف فان توبته لا تسقط
عنه حد القتل والقذف وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط
ذنوبه من زنا او سرقة وغيرها ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم
لكفره لكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة عنه وذلك
لا يسقطه التوبة قال الفقيه القاضي ابو الفضل رضي الله عنه يريد
والله اعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف
او لان بتوبته واظهار انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم
بسريرته وبقي حكم السب عليه قال ابو عمران القابسي من سب النبي
صلى الله عليه وسلم ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب

من حقوق

من حقوق الآدميين التي لا يسقط عن المرتد وكلام شيوخنا
هؤلاء مبني على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل
واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك
ممن ذكرناه وقال به من اهل العلم فقد صرحوا انه ردة قالوا
ويستتاب منها فان تاب نكل وان ابى قتل فحكم له بحكم المرتد
مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول اشهر واظهر لما قدمناه ونحن
نبسط الكلام فيه فنقول من لم يرها ردة فهو يوجب القتل فيه حدا
وانما نقول ذلك مع فصلين اما مع انكاره ما شهد به عليه او
اظهاره الاقلاع والتوبة عنه فقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه
في حق النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله من حقه واجرينا
حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر او تاب فان قيل
فكيف تثبتون عليه الكفر وتشهدون عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه
بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وان اثبتنا له حكم الكافر
في القتل فلا نقطع عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد به
عليه او زعمه ان ذلك كان منه وهلا ومعصية وانه مقلع عن ذلك نادم
عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص وان لم يثبت
له خصائصه كقتل تارك الصلوة واما من علم انه سبه معتقدا
لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك وكذلك ان كان سبه في نفسه كفرا
كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا مما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب
منه لانا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره
وامره بعد الى الله المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر
التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله
هتك حرمة الله وحرمة النبي صلى الله عليه وسلم يقتل كافرا بلا خلاف
فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم
في الاحتجاج عليها واجر اختلافهم في الموارثة وغيرها على ترتيبها
تتضح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى **فصل** اذا قلنا
بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد

إذ لا فرق بينهما وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور أهل
العلم إلى أن المرتد يستتاب وحكى ابن القصار أنه إجماع من الصحابة على
تصويب قول عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم وهو قول عثمان وعلي
وابن مسعود وبه قال عطا بن أبي رباح والنخعي والثوري ومالك وأصحابه
والأوزاعي وعبيد بن عمير والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحق وأصحاب
الرأي وذهب طاوس وعبيد بن عمير والحسن في إحدى الروايتين
عنه أنه لا يستتاب وقاله عبد العزيز بن أبي سلمة وذكره عن معاذ
وأنكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن أبي يوسف وهو قول
أهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله ولكن لا ندرأ القتل عنه
لقوله صلى الله عليه وسلم فاقتلوه وحكي أيضا عن عطا إنه إن كان
ممن ولد في الإسلام لم يستتب ويستتاب الإسلامي وجمهور العلماء على أن
المرتد والمرتدة في ذلك سواء وروي عن علي لا تقتل المرتدة وتسترق
وقاله عطا وقتادة وروي عن ابن عباس لا يقتل النساء في الردة وبه
قال أبو حنيفة قال مالك والحر والعبد والذكر والأنثى في ذلك
سواء وأما مدتها فمذهب الجمهور وروي عن عمر أنه يستتاب ثلاثة أيام
يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو أحد قولي الشافعي وقول أحمد و
إسحق واستحسنه مالك وقال لا يأتي الاستظهار إلا بخير وليس عليه
جماعة الناس قال الشيخ أبو محمد بن أبي زيد يريد في الاستيناء ثلاثا وقال
مالك أيضا الذي آخذ به في المرتد قول عمر يحبس ثلاثة أيام ويعرض عليه كل
يوم فإن تاب وإلا قتل وقال أبو الحسن ابن القصار وفي تأخيره ثلاثا
روايتان عن مالك هل ذلك واجب أو مستحب واستحسن الاستتابة
والاستيناء ثلاثا أصحاب الرأي وقد روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه
أنه استتاب امرأة فلم تتب فقتلها وقال الشافعي مرة فقال
إن لم يتب قتل مكانه واستحسنه المزني وقال الزهري
يدعى إلى الإسلام ثلاث مرات فإن أبى قتل وروي عن علي يستتاب
شهرين وقال النخعي يستتاب أبدا وبه أخذ الثوري ما رجيت توبته
وحكى ابن القصار عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه يستتاب ثلاث مرات

في ثلاثة أيام

في ثلاثة أيام أو ثلاث جمع كل يوم أو جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القسم يدعى
المرتد إلى الإسلام ثلاث مرات فإن أبى ضربت عنقه واختلف على هذا هل يشدد
أو يتشدد عليه أيام الاستتابة ليتوب أم لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة
تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من الطعام بما لا يضره وقال أصبغ يخوف
أيام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الإسلام وفي كتاب أبي الحسن الطابثي
يوعظ في تلك الأيام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار قال أصبغ وأي
المواضع حبس فيها من السجون مع الناس أو وحده إذا استوثق منه سواء
ويوقف ماله خيفة أن يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك
يستتاب أبدا كلما رجع وارتد وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم نبهان
الذي ارتد أربع مرات أو خمسا قال ابن وهب عن مالك يستتاب أبدا
كلما رجع وهو قول الشافعي وأحمد وقاله ابن القسم وقال إسحق
يقتل في الرابعة وقال أصحاب الرأي إن لم يتب في الرابعة قتل دون
استتابة وإن تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه
خشوع التوبة قال ابن المنذر ولا نعلم أحدا أوجب على المرتد في المرة
الأولى أدبا إذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعي والكوفي

فصل هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من إقرار
أو عدول لم يدفع فيهم فأما من لم تتم الشهادة عليه إنما شهد عليه الواحد
أو اللفيف من الناس أو ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك
إن تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرأ عنه القتل ويتسلط عليه
اجتهاد الإمام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها
وكثرة السماع عنه وصورة حاله من التهمة في الدين والنبذ بالسفه
والمجون فمن قوي أمره أذاقه من شديد النكال من التضييق في السجن
والشد في القيود إلى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام
لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه
القتل لكن وقف عن قتله لمعنى أوجبه وتربص به لإشكال
أو عائق اقتضاه أمره وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب
اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك والأوزاعي أنها

ردة فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب اذا
تاب المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون وافتى ابو عبد الله بن عتاب فيمن
سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل احدهما
بالادب الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته وقال
القابسي في مثل هذا ومن كان اقصى امره القتل فعاق عائق اشكل
في القتل لم ينبغ ان يطلق من السجن ويستطال سجنه ولو كان فيه
من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق وقال في مثله
ممن اشكل امره يشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن حتى ينظر
فيما يجب عليه وقال في مسئلة اخرى مثلها ولا تهراق الدماء الا بالامر الواضح
وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة فاما
ان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحتهما ما اسقطهما
عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم عنه فكانه (ممن)
لم يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من
اهل التبريز فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما
فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي الارشاد

فصل هذا حكم المسلم فاما الذمي اذا صرح بسبه او عرض
او استخف بقدره او وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف
عندنا في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة او العهد على هذا وهو
قول عامة العلماء الا ابا حنيفة والثوري واتباعهما من اهل
الكوفة فانهم قالوا لا يقتل لما هو عليه من الشرك اعظم ولكن يؤدب
ويعزر واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وان نكثوا
ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم الآية ويستدل
ايضا عليه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف واشباهه
ولانا لم نعاهدهم ونعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل
ذلك معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد
نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا اهل حرب يقتلون لكفرهم
وايضا فان ذمتهم لا يسقط حدود الاسلام عنهم من القطع في سرقة

اموالهم

اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا عندهم فكذلك
سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به ووردت لاصحابنا ظواهر
تقتضي الخلاف اذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف عليها
من كلام ابن القسم وابن سحنون بعد وحكى ابو المصعب الخلاف فيها
عن اصحابه المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه
قتله لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب لانا نعلم
باطنة الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من اظهاره
فلم يزدنا ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضا للعهد فاذا رجع عن دينه
الاول الى الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان ظننا بباطنه
حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الآن فلم يقبل بعد رجوعه ولا استنمنا
الى باطنه اذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه من الاحكام باقية عليه
لم يسقطها شيء وقيل لا يسقط اسلام الذمي الساب قتله لانه حق للنبي
صلى الله عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق
النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام الذي يسقطه
كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل او قذف
واذا كنا لا نقبل توبة المسلم فان لا نقبل توبة الكافر اولى
قال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القسم وابن الماجشون
وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا من اهل الذمة او احدا من الانبياء
قتل الا ان يسلم وقاله ابن القسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون و
قال سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا تسلم ولكن ان اسلم فذلك
له توبة وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله
صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وروى
لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر وقد روى ابن وهب عن ابن عمر ان
راهبا تناول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه وروى
عيسى عن ابن القسم في ذمي قال ان محمدا لم يرسل الينا انما ارسل اليكم
وانما نبينا موسى او عيسى لا شيء عليه لان الله اقرهم على مثله واما ان

وأما إن سبه فقال ليس بنبي أو لم يرسل أو لم ينزل عليه قرآن وإنما هو شيء
تقوله أو نحو هذا فيقتل قال ابن القسم وإذا قال النصراني ديننا خير من
دينكم إنما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح أو سمع المؤذن
يقول أشهد أن محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا الأدب
الموجع والسجن الطويل قال وأما إن شتم النبي صلى الله عليه وسلم شتما يعرف
فإنه يقتل إلا أن يسلم قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القسم
ومحمل قوله عندي إن أسلم طائعا وقال سحنون في سؤالات سليمن
ابن سالم في اليهودي يقول للمؤذن إذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة
مع السجن الطويل وفي النوادر من رواية سحنون عنه من شتم الأنبياء من
اليهود والنصارى بغير الوجه الذي كفروا به ضربت عنقه إلا أن يسلم
قال محمد بن سحنون فإن قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم
ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لأنا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على
قتلنا وأخذ أموالنا فإذا قتل واحدا منا قتلناه وإن كان من
دينه استحلاله فكذلك إظهاره لسب نبينا صلى الله عليه وسلم
قال سحنون كما لو بذل لنا أهل الحرب الجزية على إقرارهم على سبه
لم يجز لنا ذلك في قول قائل ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا
دمه وكما لم يحصن الإسلام من سبه من القتل كذلك لا تحصنه
الذمة قال الفقيه القاضي أبو الفضل رضي الله عنه ما ذكره ابن
سحنون عن نفسه وعن أبيه مخالف لقول ابن القسم فيما خفف عقوبتهم
فيه مما به كفروا فتأمله ويدل على أنه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك
فحكى أبو المصعب الزهري قال أتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على
محمد فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته أو عاش يوما وليلة وأمرت من جر
برجله وطرح على مزبلة فأكلته الكلاب وسئل أبو المصعب عن نصراني
قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل وقال ابن القسم سألنا مالكا عن
نصراني بمصر شهد عليه أنه قال مسكين محمد يخبركم أنه في الجنة فهو
الآن في الجنة ما له لم ينفع نفسه إذ كانت الكلاب تأكل ساقيه لو
قتلوه استراح منه الناس قال مالك أرى أن تضرب عنقه قال ولقد

كدت

كدت ألا أتكلم فيها ثم رأيت أنه لا يسعني الصمت قال ابن كنانة
في المبسوط من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى
فأرى للإمام أن يحرقه بالنار وإن شاء قتله ثم أحرق جثته وإن شاء
أحرقه بالنار حيا إذا تهافتوا في سبه ولقد كتب إلى مالك من مصر
وذكر مسئلة ابن القسم قال فأمرني مالك فكتبت بأن يقتل و
يضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا أبا عبد الله وأكتب ثم يحرق بالنار فقال
إنه لحقيق بذلك وما أولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما أنكره
ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق وأفتى عبيد الله بن
يحيى وابن لبابة في جماعة سلف أصحابنا الأندلسيين نصرانية استهلت
بنفي الربوبية ونبوة عيسى لله وتكذيب محمد في النبوة وبقبول
إسلامها ودرء القتل عنها قال غير واحد من المتأخرين منهم القابسي
وابن الكاتب وقال ابن الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله
من مسلم أو كافر قتل ولا يستتاب وحكى القاضي أبو محمد في الذمي يسب
روايتين في درء القتل عنه بإسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف
وشبهه من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي إسلامه وإنما
يسقط عنه بإسلامه حدود الله فأما حد القذف فحق للعباد كان
ذلك من نبي أو غيره فأوجب على الذمي إذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم
ثم أسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف
في حق النبي صلى الله عليه وسلم هو القتل لزيادة حرمة النبي
صلى الله عليه وسلم على غيره أم هل يسقط القتل بإسلامه ويحد ثمانين
فتأمله ● **فصل في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم
وغسله والصلاة عليه** ● اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب
النبي صلى الله عليه وسلم ● فذهب سحنون إلى أنه لجماعة المسلمين
من قبل أن شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه كفر الزنديق
وقال أصبغ ميراثه لورثته من المسلمين إن كان مستترا به
وإن كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على
كل حال ولا يستتاب قال أبو الحسن القابسي إن قتل

وهو منكر للشهادة فالحكم في ميراثه على ما اظهر من اقراره يعني لورثته
والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث في شيء وكذلك لو اقر بالسب و
اظهر التوبة لقتل اذ هو حده وحكمه في ميراثه وسائر احكامه حكم
الاسلام ولو اقر بالسب وتمادى عليه وابى التوبة منه فقتل على ذلك كان
كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر عورته
ويوارى كما يفعل بالكفار وقول الشيخ ابي الحسن في المجاهر المتمادي بين
لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول اصبغ
وكذلك في كتاب ابن سحنون وفي الزنديق يتمادى على قوله ومثله لابن
القسم في العتبية ولجماعة من اصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن اعلن
كفره مثله قال ابن القسم وحكمه حكم المرتد لا ترثه ورثته من المسلمين
ولا من اهل الدين الذي ارتد اليه ولا تجوز وصاياه ولا عتقه وقاله
اصبغ قتل على ذلك او مات عليه وقال ابن ابي زيد وانما يختلف
في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة فاما المتمادي فلا خلاف
انه لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل عليه بينة
او لم تقبل انه يصلى عليه وروى اصبغ عن ابن القسم في كتاب
ابن حبيب فيمن كذب برسول او اعلن دينا مما يفارق به الاسلام ان ميراثه
وقال بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين ولا ترثه ورثته ربيعة والشافعي
وابو ثور وابن ابي ليلى واختلف فيه عن احمد وقال علي بن ابي طالب
وابن مسعود وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم
والاوزاعي والليث واسحق وابو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين
وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه في الارتداد فللمسلمين
وتفصيل ابي الحسن في باقي جوابه حسن بين وهو راي اصبغ وخلاف
قول سحنون واختلافهما على قولي مالك في ميراث الزنديق فمرة ورثه
ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بينة فانكرها او اعترف بذلك
واظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد من اصحابه لانه مظهر
للاسلام بانكاره او توبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في العتبية وكتاب محمد ان ميراثه لجماعة

المسلمين

المسلمين لان ماله تبع لدمه وقال به ايضا جماعة من اصحابه وقاله
اشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب ابن القسم في العتبية
الى انه ان اعترف بما شهد به عليه وتاب فقتل فلا يورث وان لم يقر حتى
قتل او مات ورث قال وكذلك كل من اسر كفرا فانهم يتوارثون
بوراثة الاسلام وسئل ابو القسم ابن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله
عليه وسلم فيقتل هل يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب بانه للمسلمين ليس على
جهة الميراث لانه لا توارث بين اهل ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه العهد وهذا معنى قوله

والخصائص

الباب الثالث في حكم من سب الله تعالى وملائكته وانبياءه وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وازواجه وصحبه.

لا خلاف ان ساب الله تعالى
من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته فقال ابن القسم
في المبسوط وكتاب ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القسم عن مالك
في كتاب اسحق ابن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب
الا ان يكون افترى على الله بارتداده الى دين دان به واظهره فيستتاب
وان لم يظهره لم يستتب وقال في المبسوطة مطرف وعبد الملك مثله
وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى
يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا
قتلوا ولا بد من استتابته وذلك كله كالردة وهو الذي حكاه القاضي ابن نصر
عن المذهب وافتى ابو محمد ابن ابي زيد فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا و
لعن الله فقال انما اردت ان العن الشيطان فزل لساني فقال يقتل
بظاهر كفره ولا يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله فمعذور واختلف فقهاء
قرطبة في مسئلة هرون بن حبيب اخي عبد الملك ابن الفقيه وكان ضيق
الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها انه قال عند استقلاله
من مرض لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا كله
فافتى ابرهيم ابن حسين بن خلد بقتله وان مضمن قوله تجوير الله تعالى وتظلم منه
والتعريض فيه كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب وابرهيم بن حسين
ابن عاصم وسعيد بن سليمان القاضي بطرح القتل عنه وراى القاضي
عليه التثقيل في الحبس والشدة في الادب لاحتمال كلامه وصرفه

الى التشكى فوجه من قال فى سباب الله تعالى بالاستتابة انه كفر وردة محضة
لم يتعلق بها حق لغير الله فاشبه قصد الكفر بغير سب الله واظهار
الانتقال الى دين آخر من الاديان المخالفة للاسلام قبل اتهمناه
وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل فى هذا احد فحكم
له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته واذا انتقل من دين الى دين آخر واظهر
السب بمعنى الارتداد فهذا قد اعلم انه خلع ربقة الاسلام من عنقه بخلاف
الاول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب
اكثر اهل العلم وهو مذهب مالك واصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف فى

فصل واما من اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب
ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق التاويل والاجتهاد والخطاء
المفضى الى الهوى والبدعة من تشبيه او نعت بجارحة او نفى صفة كمال
فهذا مما اختلف السلف والخلف فى تكفير قائله ومعتقده واختلف قول
مالك واصحابه فى ذلك ولم يختلفوا فى قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم يستتابون
فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا فى المنفرد منهم فاكثر قول
مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة فى
عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل
عمر رضى الله عنه بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز فى الخوارج وعبد الملك ابن
الماجشون وقول سحنون فى جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك فى
الموطا وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم فى القدرية
يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال عيسى عن ابن القسم فى اهل الاهواء
من الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل البدع
والتحريف لتاويل كتاب الله يستتابون اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا
والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القسم فى كتاب محمد
فى اهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم
عليه ومثله له فى المبسوط فى الاباضية والقدرية وسائر اهل البدع
قال وهم مسلمون وانما قتلوا لرايهم السوء قال وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز
قال ابن القسم من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب

والا قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم
من الخوارج والقدرية والمرجئة وقد روى ايضا عن سحنون مثله فيمن قال
ليس لله كلام انه كافر واختلفت الروايات عن مالك فاطلق فى رواية
الشاميين ابى مسهر ومروان بن محمد الطاطرى الكفر عليهم وقد شوور فى زواج
القدرى فقال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو
اعجبكم وروى عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار وقال من وصف
شيئا من ذات الله واشار الى شىء من جسده يدا او سمعا او بصرا قطع ذلك
منه لانه شبه الله بنفسه وقال فيمن قال القران مخلوق كافر فاقتلوه
وقال ايضا فى رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفى رواية
بشر بن بكر التنيسى يقتل ولا يقبل توبته قال القاضى ابو عبد الله البرنكانى
والقاضى ابو عبد الله التسترى من ائمة العراقيين من اصحابنا جوابه مختلف
يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله فى اعادة الصلاة خلفهم وحكى ابن
المنذر عن الشافعى لا يستتاب القدرى واكثر اقوال السلف
تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة وروى ذلك عنهم
فيمن قال بخلق القران وقاله ابن المبارك والاودى ووكيع وحفص
ابن غياث وابو اسحق الفزارى وهشيم وعلى بن عاصم فى آخرين وهو قول
اكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفى الخوارج والقدرية
واهل الاهواء والمضلة واصحاب البدع المتاولين وهو قول احمد بن
حنبل وكذلك قالوا فى الرافضة والشاكة فى هذه الاصول وممن روى
عنه معنى القول الآخر بترك تكفيرهم على بن ابى طالب وابن عمر
والحسن البصرى وهو راى جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين واحتجوا
بتوريث الصحابة والتابعين ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات
منهم ودفنهم فى مقابر المسلمين وجرى احكام الاسلام عليهم قال
القاضى اسمعيل وانما قال مالك فى القدرية وسائر اهل البدع يستتابون
فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد فى الارض كما قال فى المحارب ان
راى الامام قتله وان لم يقتل قتله وفساد المحارب انما هو فى الاموال ومصالح
الدنيا وان كان قد يدخل ايضا فى امر الدين من سبيل الحج والجهاد

اهل البدع وتعظيمه على الدين وقد يدخل في امر الدنيا بما لا يلقون بين المسلمين
فصل في تحقيق القول في اكفار المتاولين قد ذكرنا مذاهب
السلف في اكفار اصحاب البدع والاهواء المتاولين ممن قال
قولا يؤديه مساقه الى كفر هو اذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله
اليه وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم من
صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف ومنهم من اباه ولم ير اخراجهم
من سواد المؤمنين وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق
عصاة ضلال ونوارثهم من المسلمين ونحكم لهم باحكامهم ولهذا قال
سحنون لا اعادة على من صلى خلفهم في وقت ولا غيره قال وهو قول جميع
اصحاب مالك المغيرة وابن كنانة واشهب قال لانه مسلم وذنبه لم يخرجه من
الاسلام واضطرب آخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير او ضده
واختلاف قولي مالك في ذلك وتوقفه عن اعادة الصلاة خلفهم منه والى
نحو من هذا ذهب القاضي ابو بكر امام اهل التحقيق والحق وقال انها من المعوصات
اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يؤدي اليه واضطرب قوله في المسئلة
على نحو اضطراب قول امامه مالك بن انس حتى قال في بعض كلامه انهم على راي
من كفرهم بالتاويل لا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم ولا الصلاة على ميتهم
ويختلف في موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد وقال ايضا نورث ميتهم
ورثتهم من المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمآل وكذلك اضطرب فيه
قول شيخه ابي الحسن الاشعري واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر
خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري وقال مرة من اعتقد ان الله جسم او المسيح
او بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف وهو كافر ولمثل هذا ذهب ابو المعالي
في اجوبته لابي محمد عبد الحق وكان سأله عن المسئلة فاعتذر له بان الغلط فيها
يصعب لان ادخال كافر في الملة او اخراج مسلم عنها عظيم في الدين وقال
غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير في اهل التاويل فان
استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطا في ترك الف كافر اهون من الخطا في سفك
محجمة من دم مسلم واحد وقد قال عليه السلام فاذا قالوها يعني الشهادة عصموا مني
دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع

ويستباح

ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه والفاظ
الاحاديث الواردة في الباب معرضة للتاويل فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية
وقوله لا سهم لهم في الاسلام وتسمية الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم
وكذلك في الخوارج وغيرهم من اهل الاهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير
وقد يجيب الآخر عنها بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ في الحديث في غير الكفرة
على طريق التغليظ وكفر دون كفر واشراك دون اشراك وقد ورد مثله
في الزنا وعقوق الوالدين والزوج وغير معصية واذا كان محتملا للامرين
فلا يقطع على احدهما الا بدليل قاطع وقوله في الخوارج هم من شر البرية وهذه
صفة الكفار وقال شر قتيل تحت اديم السماء طوبى لمن قتلهم او قتلوه وقال
فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم
بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الآخر انما ذلك من قتلهم لخروجهم
على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من الحديث نفسه يقتلون اهل
الاسلام فقتلهم هاهنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحله
لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد
في الحديث دعني اضرب عنقه يا رسول الله فقال لعله يصلي فان
احتجوا بقوله عليه السلام يقرؤن القران لا يجاوز حناجرهم فاخبر
ان الايمان لم يدخل في قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين مروق السهم
من الرمية ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم على فوقه وبقوله سبق
الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق من الاسلام بشيء اجابه الآخرون ان
معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم
ولا تعمل به جوارحهم وعارضوهم بقوله ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي
التشكك في حاله وان احتجوا بقول ابي سعيد الخدري في هذا الحديث
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه الامة ولم يقل
من هذه الامة وتحرير ابي سعيد الرواية واتقانه اللفظ اجابهم
الآخرون بان العبارة بفي لا يقتضي تصريحا بكونهم من غير الامة
مع انه قد روي عن ابي ذر لفظة من التي هي للتبعيض بخلاف لفظة
وعلي وابي امامة وغيرهم في هذا الحديث يخرج من امتي وسيكون

من أمتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على إخراجهم من الأمة بفي ولا
على إدخالهم فيها بمن لكن أبا سعيد أجاد ما شاء في التنبيه الذي نبه عليه
وهو مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم المعاني واستنباطها من الألفاظ
وتحريرهم لها وتوقيهم في الرواية هذه المذاهب المعروفة لأهل السنة ولغيرهم
من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة أقربها قول جهم ومحمد بن شبيب
إن الكفر بالله الجهل به لا يكفر أحد بغير ذلك وقال أبو الهذيل إن كل متأول
كان تأويله تشبيها لله بخلقه وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وقول
بعض المتكلمين إن كان ممن عرف الأصل وبنى عليه وكان فيما هو من
من أوصاف الله فهو كافر وإن لم يكن من هذا الباب فهو فاسق
إلا أن يكون ممن لم يعرف الأصل فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن
الحسن العنبري إلى تصويب أقوال المجتهدين في أصول الدين فيما كان
عرضة للتأويل وفارق في ذلك فرق الأمة إذ أجمعوا سواه إن الحق
في أصول الدين في الواحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وإنما الخلاف في تكفيره
وقد حكى القاضي أبو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود الأصبهاني
قال وحكى قوم عنهما أنهما قالا ذلك في كل من علم الله من حاله استفراغ
الوسع في طلب الحق من أهل ملتنا أو من غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ
وثمامة في أن كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود
لا حجة لله عليهم إذ لم تكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالي
قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر بالإجماع على كفر من لم
يكفر أحدا من النصارى واليهود وكل من فارق دين المسلمين أو وقف في
تكفيرهم أو شك قال القاضي أبو بكر لأن التوقيف والإجماع اتفقا على كفرهم
فمن وقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف أو شك فيه والشاك
فيه والمكذب لا يقع إلا من كافر.

فصل في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف أو يختلف فيه وما ليس بكفر

اعلم أن تحقيق هذا الفصل وكشف
اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين في هذا
أن كل مقالة صرحت بنفي الربوبية أو الوحدانية أو عبادة أحد غير الله
أو مع الله فهي كفر كمقالة الدهرية وسائر فرق أصحاب الاثنين من الديصانية

والمانية

والمانية وأشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا
بعبادة الأوثان أو الملائكة أو الشياطين أو الشمس أو النجوم أو النار
أو أحد غير الله من مشركي العرب وأهل الهند والصين والسودان وغيرهم
ممن لا يرجع إلى كتاب وكذلك القرامطة وأصحاب الحلول و
التناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف
بإلهية الله ووحدانيته لكنه اعتقد أنه غير حي أو غير قديم وأنه محدث
أو مصور أو ادعى له ولدا أو صاحبة أو والدا أو أنه متولد من شيء
أو كائن عنه أو أن معه في الأزل شيئا قديما غيره أو أن ثم صانعا
للعالم سواه أو مدبرا غيره من المسلمين فذلك كله كفر بإجماع
المسلمين كقول الإلهيين من الفلاسفة والطبائعيين وكذلك
من ادعى مجالسة الله والعروج إليه ومكالمته أو حلوله في أحد الأشخاص
كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة وكذلك
يقطع بكفر من قال بقدم العالم أو بقائه أو شك في ذلك على مذهب
بعض الفلاسفة والدهرية أو قال بتناسخ الأرواح وانتقالها أبد الآباد
في الأشخاص وتعذيبها أو تنعيمها فيها بحسب زكائها وخبثها و
كذلك من اعترف بالإلهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من أصلها
عموما أو نبوة نبينا خصوصا أو أحد من الأنبياء الذين نص الله عليهم
بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والأروسية
من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين أنه كان المبعوث
إليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة والإسماعيلية والعنبرية من الروافض
وإن كان بعض هؤلاء قد أشركوا في كفر آخر مع من قبلهم وكذلك من دان
بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا ولكن جوز على الأنبياء الكذب
فيما أتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه أو لم يدعها فهو كافر بالإجماع كالمتفلسفين
وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة وأصحاب الإباحة فإن هؤلاء
زعموا أن ظواهر الشرع وأكثر ما جاءت به الرسل من الأخبار عما كان
ويكون من أمور الآخرة والحشر والقيامة والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى
لفظها ومفهوم خطابها وإنما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم إذ لم يمكنهم

التصريح لقصور افهامهم فتضمن مقالاتهم ابطال الشرع وتعطيل الاوامر
والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك من اضاف الى
نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به او شك في صدقه
او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبياء او ازرى عليهم
او اذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء
في ان في كل جنس من الحيوان نذيرا ونبيا من القردة والخنازير والدواب والدود
وغير ذلك يؤدي الى ان يوصف انبياء هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من
الازراء على هذا المنصب المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله وكذلك
يكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم
ولكن قال كان اسود او مات قبل ان يلتحي وليس الذي كان بمكة والحجاز او ليس
بقرشي لان وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به وكذلك من ادعى نبوة
احد مع نبينا او بعده كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته الى العرب
وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة
للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده وكذلك كل امام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة و
الحجة وكالبزيعية والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيع وبيان واشباه هؤلاء او من
ادعى النبوة لنفسه او جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة
المتصوفة وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة او انه يصعد الى
السماء ويدخل الجنة وياكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار
مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عليه السلام انه خاتم النبيين وانه ارسل كافة
الناس واجمعت الامة على حمل هذا الكلام على ظاهره وان مفهومه المراد به دون
تاويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعا اجماعا وسمعا
وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب او خص حديثا مجمعا
على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال الرجم ولهذا
نكفر من لم يكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل او وقف فيهم او شك او
صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده واعتقد ابطال كل مذهب
سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قولا
يتوصل به الى تضليل الامة وتكفير الصحابة كقول الكميلية من الرافضة بتكفير

جميع الامة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم
فهؤلاء قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة باسرها اذ قد انقطع نقلها
ونقل القران اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا والله اعلم اشار مالك في احد
قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه آخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم
على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى علي وهو يعلم انه يكفر بعده على قولهم لعنة الله
عليهم وصلى الله على رسوله وآله وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمون على انه
لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل
كالسجود للصنم او للشمس والقمر والصليب والنار والسعي الى الكنائس والبيع
مع اهلها بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤوس فقد اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد
الا من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام وكذلك
اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل او شرب الخمر او الزنى مما حرم الله بعد علمه
بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة وكذلك نقطع
بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل
المتواتر من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ووقع الاجماع المتصل عليه كمن
انكر وجوب الخمس الصلوات او عدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب
الله علينا في كتابه الصلاة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات و
الشروط لا اعلمه اذ لم يرد به في القران نص جلي والخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم
خبر واحد وكذلك اجمع المسلمون على تكفير من قال من الخوارج ان الصلاة
طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان الفرائض اسماء رجال
امروا بولايتهم والخبائث والمحارم اسماء رجال امروا بالبراءة منهم وقول
بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت
بهم الى اسقاطها واباحة كل شيء لهم ورفع عهد الشرائع وكذلك ان انكر منكر
مكة او البيت او المسجد الحرام او صفة الحج وقال الحج واجب في القران واستقبال
القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة هي مكة
والبيت والمسجد الحرام لا ادري هل هي تلك او غيرها ولعل الناقلين ان
النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا فهذا ومثله
لا مرية في تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط المسلمين

يقتل من كفر الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين

من انكر وجوب خمس الصلوات

من قال ان الفرائض اسماء رجال والمحارم اسماء رجال

وامتدت صحبته لهم الا ان يكون حديث عهد باسلام فيقال له سبيلك
ان تسئل عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة
عن كافة الى معاصري الرسول صلى الله عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل لك
وان تلك البقعة هي مكة والبيت الذي فيها هي الكعبة والقبلة التي
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك
الافعال هي صفات عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم
وشرح مراد الله بذلك وابان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم
ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب في ذلك والمنكر بعد البحث وصحبة
المسلمين كافر باتفاق ولا يعذر بقوله لا ادري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر
عن التكذيب اذ لا يمكن انه لا يدري وايضا فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم
والغلط فيما نقلوا من ذلك واجمعوا انه قول الرسول صلى الله عليه وسلم
وفعله وتفسير مراد الله به ادخل الاسترابة في جميع الشريعة اذ هم الناقلون
لها وللقران وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر
القران او حرفا او غير شيئا منه او زاد فيه كفعل الباطنية والاسماعيلية
او زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة
كقول هشام الفوطي ومعمر الضيمري انه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله و
لا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بهذا القول و
كذلك نكفرهما بانكارهما ان يكون في سائر معجزات الرسول صلى الله عليه
وسلم حجة له او في خلق السموات والارض دليل على الله لمخالفتهم الاجماع
والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا كله وتصريح القران به وكذلك
من انكر شيئا مما نص فيه بعد علمه انه من القران الذي في ايدي الناس
ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج لانكاره
اما بانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره
بالطريقين المتقدمين لانه مكذب للقران مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر
بدعواه وكذلك من انكر الجنة والنار والبعث والحساب والقيمة فهو
كافر باجماع للنص عليه واجماع الامة على صحة نقله متواترا وكذلك من
اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب

معنى غير

معنى غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعان باطنة كقول النصارى و
الفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعمهم ان معنى القيمة الموت او فناء
انتقاض هيئة الافلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة وكذلك
يقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة افضل من الانبياء فاما من
انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال
شريعة ولا تفضي الى انكار قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك او مؤتة او وجود
ابي بكر وعمر او قتل عثمان او خلافة علي مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد
شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع العلم له اذ ليس في ذلك اكثر
من المباهتة كانكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه فاما ان
ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع فنكفره بذلك لسريانه الى ابطال
الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع
فاكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف
الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموما وحجتهم قول
الله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى وقوله
صلى الله عليه وسلم من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام
من عنقه وحكوا الاجماع وذهب اخرون الى التوقف في تكفير من خالف الاجماع
عن نظر كتكفير النظام بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا مخالف اجماع السلف
باحتجاجهم بخارق الاجماع قال القاضي ابو بكر القول عندي ان الكفر
بالله هو الجهل بوجوده والايمان بالله هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقول
ولا رأي الا ان يكون هو الجهل بالله فان عصى بقول او فعل نص الله ورسوله
او اجمع المسلمون انه لا يوجد الا من كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر
ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله لا يكون الا باحد
ثلثة امور احدها الجهل بالله تعالى والثاني ان يأتي فعلا او يقول قولا يخبر الله ورسوله
او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشي الى الكنائس
بالتزام الزنار وزي اصحابها في اعيادهم او يكون ذلك القول والفعل لا يمكن
معه العلم بالله قال فهذان الضربان وان لم يكونا جهلا بالله فهما علم ان فاعلهما
كافر منسلخ من الايمان فاما من نفى صفة من صفات الله الذاتية او جحدها

مستبصر في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات
الكمال الواجبة له تعالى فقد نص أئمتنا على الإجماع على كفر من نفى عنه الوصف بها وأعراه عنها
وعلى هذا حمل قول سحنون من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتأولين كما قدمناه فأما من
جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء ههنا فكفره بعضهم وحكى ذلك عن أبي جعفر
الطبري وغيره وقال به أبو الحسن الأشعري مرة وذهبت طائفة إلى أن هذا لا يخرجه عن اسم
الإيمان وإليه رجع الأشعري قال لأنه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا و
شرعا وإنما يكفر من اعتقد أن مقاله حق واحتج هؤلاء بحديث السوداء وأن النبي صلى الله عليه وسلم
إنما طلب منها التوحيد لا غير وبحديث القائل لئن قدر الله علي وفي رواية فيه لعلي أضل الله
ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث أكثر الناس عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها
إلا الأقل وقد أجاب الآخر عن هذا الحديث بوجوه منها أن قدر بمعنى قدّر ولا يكون شكه في
القدرة على إحيائه بل في نفس البعث الذي لا يعلم إلا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع
يقطع عليه فيكون الشك به حينئذ كفرا فأما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقول أو يكون
قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه إزراء عليها وغضبا لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير
عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية التي أذهلت لبه
فلم يؤاخذ به وقيل كان هذا في زمن الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد وقيل هذا من مجاز
كلام العرب الذي صورته الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله أمثلة
في كلامهم كقوله تعالى لعله يتذكر أو يخشى وقوله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال
فأما من أثبت الوصف ونفى الصفة فقال أقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا
كلام له وهكذا في سائر الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال بالمآل لما يؤديه إليه قوله
ويسوقه إليه مذهبه كفره لأنه إذا نفى العلم انتفى وصف عالم إذ لا يوصف بعالم إلا من له علم
فكأنهم صرحوا عنده بما أدى إليه قولهم وهكذا عند هذا سائر فرق أهل التأويل من المشبهة والقدرية
وغيرهم ومن لم يؤاخذهم بمآل قولهم ولا ألزمهم موجب مذهبهم لم ير إكفارهم قال لأنهم إذا وقفوا
على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي من القول بالمآل الذي ألزمتموه لنا ونعتقد نحن
وأنتم أنه كفر بل نقول إن قولنا لا يؤول إليه على ما أصلناه فعلى هذين المأخذين
اختلف الناس في إكفار أهل التأويل وإذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس
في ذلك والصواب ترك إكفارهم والإعراض عن الحتم عليهم بالخسران وإجراء حكم
الإسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم

في مقابر

في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الأدب وشديد الزجر
والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الأول فيهم فقد كان نشأ على زمن
الصحابة وبعدهم في التابعين من قال بهذه الأقوال من القدر ورأي الخوارج والاعتزال
فما أزاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لأحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وأدبوهم بالضرب والنفي والقتل
على قدر أحوالهم لأنهم فساق ضلال عصاة أصحاب كبائر عند المحققين وأهل السنة
ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير ذلك والله الموفق للصواب قال القاضي أبو بكر وأما
مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الأفعال وبقاء الأعراض و
التولد وشبهها من الدقائق فالمنع في إكفار المتأولين فيها أوضح إذ ليس في
الجهل بشيء منها جهل بالله ولا أجمع المسلمون على إكفار من جهل شيئا منها وقد قدمنا في
الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما أغنى عن إعادته بحول الله

فصل هذا حكم المسلم الساب لله تعالى وأما الذمي فروي عن
عبد الله بن عمر في ذمي تناول من حرمته غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر
عليه بالسيف فطلبه فهرب وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوطة طوعا قال
أصبغ لأن الوجه الذي كفروا به هو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة
والشريك والولد وأما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض
للعهد قال ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم من غير أهل الأديان الله تعالى
بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل إلا أن يسلم وقال المخزومي في المبسوطة
ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان أو كافرا
فإن تاب وإلا قتل وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك وقال أبو محمد
ابن أبي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل إلا أن يسلم وقد ذكرنا
قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الأندلسيين في
النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به وإجماعهم على ذلك
وهو نحو قول الكرخي فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك
بين سب الله وسب نبيه لأنا عاهدناهم على أن لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم
ولا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو نقض لعهدهم
واختلف العلماء في الذمي إذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن عبد
الحكم وأصبغ لا يقتل لأنه خرج من كفر إلى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون

يقتل لانه دين لا يقر عليه احد ولا تؤخذ عليه جزية وقال ابن حبيب وما اعلم من قاله غيره
فصل هذا حكم من صرح بسبه واضافة ما لا يليق بجلاله والاهيته
فاما مفتري الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الالهية او الرسالة او النافي
ان يكون الله خالقه او ربه او قال ليس لي رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك
في سكره او غمرة جنونه فلا خلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما
قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه انابته وتنجيه من القتل فيئته لكنه
لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله
وله عن العودة لكفره او جهله الا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما اتى به
فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذي لا نأمن باطنه
ولا نقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي واما المجنون والمعتوه
فما علم انه قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب ميزه وان لم يكن معه عقله وسقط
تكليفه ادب على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب على قبائح الافعال ويوالى ادبه على
ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق حتى تراض فقد حرق علي بن
ابي طالب من ادعى له الالاهية وقد قتل عبد الملك ابن الماجشون مروان ابن
الحارث المتنبي وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشباههم واجمع
علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف في ذلك من كفرهم كافر واجمع فقهاء بغداد
ايام المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه
الالاهية والقول بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا
توبته وكذلك حكموا في ابن ابي الغراقيد وكان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا
ايام الراضي وقاضي قضاة بغداد اذ ذاك ابو الحسين ابن ابي عمر المالكي وقال ابن
عبد الحكم في المبسوط من تنبأ قتل وقال ابو حنيفة واصحابه من جحد ان الله
خالقه او ربه او قال ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن القسم في كتاب ابن حبيب ومحمد
والعتبية فيمن تنبأ يستتاب اسر ذلك او اعلنه وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره
وقاله اشهب في يهودي تنبأ وادعى انه رسول الينا ان كان معلنا لذلك استتيب
فان تاب والا قتل وقال ابو محمد ابن ابي زيد من لعن بارئه وادعى انه لسانه زل
وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا على القول الاخر
في انه لا يقبل توبته وقال ابو الحسن القابسي في سكران قال انا الله ان تاب

ادب

ادب فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لان هذا كفر المتلاعبين
فصل واما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط
كلامه واهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه او تمثل في بعض
الاشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته او نزع من الكلام المخلوق بما لا يليق الا
في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد للالحاد فان تكرر هذا
منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته و
كبريائه وهذا كفر لا مرية فيه كذلك ان كان ما اورده يوجب الاستخفاف والتنقص
لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف
بابن اخت عجب وكان خرج يوما فاخذه المطر فقال بدا الخراز يرش جلوده و
كان بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب الثمانية وعبد الاعلى ابن وهب وابان
ابن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه واشاروا الى انه عبث من القول يكفي فيه
الادب وافتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي ايشتم
ربا عبدناه ثم لا ننتصر له انا اذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين ورفع المجلس الى
عبد الرحمن بن عبد الحكم الاموي الامير وكانت عجب عمة هذا المطلوب من
حظاياه واعلم باختلاف الفقهاء فخرج الاذن من عنده بالاخذ بقول ابن
حبيب وصاحبه فامر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي
لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم واما
من صدرت عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم تكن تنقصا
وازراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال
قائلها وشرح سببها ومقارنها وقد سئل ابن القسم عن رجل نادى رجلا باسمه
فاجابه لبيك اللهم لبيك قال ان كان جاهلا او قاله على وجه سفه فلا شيء
عليه قال الفقيه القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وشرح قوله انه لا قتل عليه
والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد انزاله منزلة ربه
لكفر هذا مقتضى قوله وقد اسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا
الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة فاتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا
واقلامنا عن ذكره ولولا انا قصدنا نص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما
يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه الفصول واما ما ورد في هذا من اهل

انجها له وانما لبسط اللسان كقول بعض الاعراب رب العباد ما لنا وما لكا
قد كنت تسقينا فما بدا لكا انزل علينا الغيث لا ابا لكا في اشباه لهذا من كلام الجهال
ومن لم يقومه ثقاف تاديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقل ما تصدر الا من جاهل
يجب تعليمه وزجره والاغلاظ له عن العودة الى مثله قال ابو سليمان الخطابي وهذا
تهور من القول والله منزه عن هذه الامور وقد روينا عن عوف بن عبد الله انه
قال ليعظم احدكم ربه ان يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول اخزى الله الكلب وفعل
به كذا قال وكان بعض من ادركنا من مشايخنا قل ما يذكر اسم الله الا فيما يتصل بطاعته
وكان يقول للانسان جزيت خيرا وقل ما يقول جزاك الله خيرا اعظاما لاسمه ان يمتهن في
غير قربة واخبرنا الثقة ان الامام ابا بكر الشاشي كان يعيب على اهل الكلام كثرة خوضهم
فيه تعالى وفي ذكر صفاته اجلالا لاسمه ويقول هؤلاء يتمندلون بالله وينزل الكلام
في هذا الباب تنزيله في باب سابه النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها والله الموفق

فصل وحكم من سب سائر الانبياء والملائكة واستخف بهم او كذبهم فيما اتوا به
او انكرهم وجحدهم حكم نبينا صلى الله عليه وسلم على مساق ما قدمناه قال الله تعالى ان الذين
يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله الاية وقال قولوا آمنا
بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم الاية الى قوله لا نفرق بين احد منهم وقال
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله قال
مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد وقاله ابن القسم وابن الماجشون وابن عبد
الحكم واصبغ وسحنون فيمن شتم الانبياء او احدا منهم او تنقصه قتل ولم يستتب
ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان يسلم وروى سحنون عن ابن القسم من سب
الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر ضربت عنقه الا ان
يسلم وقد تقدم الخلاف في هذا الاصل وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض
اجوبته من سب الله وملائكته قتل وقال سحنون من شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل
وفي النوادر عن مالك فيمن قال ان جبريل اخطا بالوحي وانما كان النبي علي بن ابي
طالب استتيب فان تاب والا قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض
سموا بذلك لقولهم كان النبي اشبه بعلي من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة واصحابه
على اصلهم من كذب باحد من الانبياء او تنقص احدا منهم او برئ منه فهو مرتد وقال
ابو الحسن القابسي في الذي قال لآخر كانه وجه مالك الغضبان لو عرف انه

قصد ذم

قصد ذم الملك قتل قال الفقيه القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وهذا كله فيمن تكلم
فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين او على معين ممن حققنا كونه من الملائكة
والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه او حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالاجماع
القاطع كجبريل وميكائيل ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين
في القرآن من الملائكة ومن سمي فيه من الانبياء وكعزرائيل واسرافيل ورضوان والحفظة
ومنكر ونكير من الملائكة المتفق على قبول الخبر بهم فاما ما لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع
الاجماع على كونه من الملائكة او الانبياء كهاروت وماروت في الملائكة والخضر ولقمان
وذي القرنين ومريم وآسية وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس وزرادشت الذي تدعي المجوس
والمؤرخون نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه اذ لم تثبت
لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم وآذاهم ويؤدب بقدر حال القول فيهم لا سيما من
عرف صديقيته وفضله منهم وان لم تثبت نبوته واما انكار نبوتهم او كون الآخر من الملائكة
فان كان المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك وان كان
من عوام الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد ادب اذ ليس لهم الكلام في مثل هذا
ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف للعامة

فصل واعلم ان من استخف بالقرآن
او المصحف او بشيء منه او سبهما او جحده او حرفا منه او آية او كذب به او بشيء منه
او كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه
بذلك او شك في شيء من ذلك فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز
لا يأتيه الباطل من بين يديه الاية اخبرنا الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد ح ابو علي ح ابن
عبد البر ح ابن عبد المؤمن ح ابن داسه ح ابو داود ح احمد بن حنبل ح يزيد بن هارون ح محمد
ابن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المراء في القرآن كفر تأول
بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد
آية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التوراة
والانجيل وكتب الله المنزلة او كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر
وقد اجمع المسلمون ان القرآن المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف
بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين الى
آخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى
الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك

او بدله بحرف آخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الاجماع
عليه واجمع على انه ليس من القران عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا رأى مالك قتل
من سب عايشة رضي الله عنها بالفرية لانه خالف القران ومن خالف القران قتل
اى لانه كذب بما فيه وقال ابن القسم من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما يقتل
وقاله عبد الرحمن بن مهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان
ليستا من كتاب الله تضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك كل من كذب بحرف
منه وكذلك ان شهد شاهد على من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما و
شهد عليه آخر ان الله لم يتخذ ابرهيم خليلا لانهما اجتمعا على انه كذب النبي صلى الله عليه
وسلم وقال ابو عثمان بن الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون ان الجحد
بحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية اذا قرا عنده رجل لم يقل له ليس كما قرات
ويقول اما انا فاقرأ كذا فبلغ ذلك ابرهيم فقال اراه سمع انه من كفر بحرف منه فقد كفر به
كله وقال اصبغ بن الفرج من كذب ببعض القران فقد كذب به كله ومن كذب به
فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله وقد سئل القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتورية
فقال الآخر لعن الله التورية فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد آخر انه سأله عن القضية
فقال انما لعنت توراة اليهود فقال ابو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل
والثاني علق الامر بصفة تحتمل التأويل اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشيء من عند الله
لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان على لعن التورية مجردا لضاق التأويل
وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقرئ احد ائمة المقرئين
المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته واقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف
وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا اشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس
الوزير ابي علي بن مقلة سنة ثلث وعشرين وثلثمائة وكان فيمن افتى عليه بذلك ابو بكر
الابهري وغيره وافتى ابو محمد ابن ابي زيد بالادب فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك
وقال اردت سوء الادب ولم ارد القران قال ابو محمد واما من لعن القران فانه يقتل

فصل وسب آل النبي صلى الله عليه وسلم وازواجه واصحابه رضي الله عنهم
وتنقصهم حرام ملعون فاعله حدثنا القاضي الشهيد ابو علي ح ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل
العدل ح ابو يعلى ح ابو علي السنجي ح ابن محبوب ح الترمذي ح محمد بن يحيى ح يعقوب بن
ابرهيم ح عبيدة بن ابي رائطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن مغفل قال

قال رسول الله

عبد الله بن مسعود من كفر باية من القران فقد كفر به كله وقال اصبغ بن الفرج

وهو ما خالف رسم مصحف الامام
وقد قرئ وتبت يدا ابي لهب وقد تب
وقرا بالشواذ لانه في العذاب المهين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي الله الله في اصحابي لا تتخذوهم
غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم
فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال صلى الله
عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فانه
يجيء قوم في آخر الزمان يسبون اصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم
ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم وعنه صلى الله عليه وسلم
من سب اصحابي فاضربوه وقد اعلم النبي صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم يؤذيه
واذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام فقال لا تؤذوني في اصحابي ومن اذاهم فقد
اذاني وقال صلى الله عليه وسلم لا تؤذوني في عايشة وقال في فاطمة بضعة مني
يؤذيني ما اذاها وقد اختلف العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك في ذلك الاجتهاد
والادب الموجع قال مالك من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم اصحابه ادب
وقال ايضا من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر او عمر او عثمان او
معاوية او عمرو بن العاص فان قال كانوا كلهم على ضلال وكفر قتل وان شتمهم
بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب من غلا من
الشيعة الى بغض عثمان والبراءة منه ادب ادبا شديدا ومن زاد الى بغض ابي بكر
وعمر فالعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به
القتل الا في سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم عليا او عثمان او غيرهما يوجع ضربا وحكى ابو محمد بن
ابي زيد عن سحنون من قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي انهم كانوا على ضلالة
وكفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروي
عن مالك من سب ابا بكر جلد ومن سب عايشة قتل قيل له لم قال من رماها فقد
خالف القران وقال ابن شعبان عنه لان الله يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا
ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلي ان القاضي ابا بكر
ابن الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر في القران ما نسبه اليه المشركون سبح
نفسه لنفسه كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في آي كثيرة وذكر تعالى
ما نسبه المنافقون الى عايشة ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا

الصرف التوبة وقيل النافلة
العدل الفدية وقيل الفريضة

عليا

ان يضرب عنقه او صلبه

سبحانك تسبح نفسه في تنزيهها من السوء كما سبح نفسه في تبرئته من السوء وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عائشة ومعنى هذا والله أعلم أن الله لما عظم سبها كما عظم سبه كان سبها سبا لنبيه صلى الله عليه وسلم وقرن سب نبيه وأذاه بأذاه تعالى وكان حكم مؤذيه تعالى القتل كان مؤذي نبيه كذلك كما قدمناه وشتم رجل عائشة بالكوفة فقدم إلى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن أبي ليلى أنا فجلده ثمانين سوطا وحلق رأسه وأسلمه في الحجامين وروى أبو ذر الهروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتي بأعرابي يهجو الأنصار فقال لولا أن له صحبة لكفيتكموه قال مالك من انتقص أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق قد قسم الله الفيء في ثلاثة أصناف فقال للفقراء المهاجرين الآية ثم قال والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم الآية وهؤلاء الأنصار ثم قال والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين وفي كتاب ابن شعبان من قال في أحد منهم أنه ابن زانية وأمه مسلمة حد عند بعض أصحابنا حدين حدا للأمه وحدا له ولا أجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله صلى الله عليه وسلم من سب أصحابي فاجلدوه ومن قذف أم أحدهم وهي كافرة حد حد الفرية لأنه سب له فإن كان أحد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له وإلا فمن قام به من المسلمين كان على الإمام قبول قيامه قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم صلى الله عليه وسلم ولو سمعه الإمام وأشهد عليه كان ولي القيام قال ومن سب غير عائشة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن ففيها قولان أحدهما يقتل لأنه سب النبي صلى الله عليه وسلم بسب حليلته والآخر أنها كسائر الصحابة يجلد حد المفتري قال وبالأول أقول وروى مصعب عنه من انتسب إلى آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لأنه استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم وأفتى أبو مطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل أنكر تحليف امرأة بالليل وقال لو كانت بنت أبي بكر الصديق ما حلفت إلا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه فقال

أبو المطرف ذكر هذا لابنة أبي بكر في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد والسجن الطويل والفقيه الذي صوب قوله هذا هو أحق باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم إليه في ذلك ويزجر ولا يقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله تعالى. قال الفقيه الأجل القاضي رضي الله عنه هنا انتهى القول بنا فيما حررناه وانتجز الغرض الذي انتحيناه واستوفي الشرط الذي شرطناه مما أرجو أن في كل قسم منه للمريد مقنعا وفي كل باب منهجا إلى بغيته ومنزعا وقد سفرت فيه عن نكت تستغرب وتستبدع وكرعت في مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل في أكثر التصانيف مشرع وأودعته غير ما فصل وددت لو وجدت من بسط قبلي الكلام فيه أو مقتدى به يفيدنيه عن كتابه أو فيه لأكتفي بما أرويه عما أرويه وإلى الله جزيل الضراعة في المنة بقبول ما منه لوجهه والعفو عما تخلله من تزين وتصنع لغيره وأن يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما أودعناه من شرف مصطفاه وأمين وحيه وأسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله وأعملنا فيه خواطرنا من إبراز خصائصه ووسائله ويحمي أعراضنا عن ناره الموقدة لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا ممن لا يذاد إذا ذيد المبدل عن حوضه ويجعله لنا ولمن تهمم باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا بأسبابه وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه ويخصنا بخصيصي زمرة نبينا وجماعته ويحشرنا في الرعيل الأول وأهل الباب الأيمن من أهل شفاعته ونحمده تعالى على ما هدى إليه من جمعه وألهم وفتح البصيرة لدرك حقائق ما أودعناه وفهم ونستعيذه من دعاء لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع فهو الجواد الذي لا يخيب من أمله ولا ينتصر من خذله ولا يرد دعوة القاصدين ولا يصلح عمل المفسدين وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلواته على نبيه محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

تم كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم ولله الحمد والمنة حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده ووافق الفراغ منه يوم الأربعاء السادس عشر ذي قعدة سنة ست وثلثين وسبعمائة أحسن الله العاقبة وختم لنا بخير بمنه وكرمه

سمح الله لكاتبه وقاريه ومجيبه وعلقه لنفسه ولمن شاء الله من بعده

الحمد لله الذي على ما احسن والطف وانعم باحسان ولطف وانعام
ختم هذه النسخة الشريفة اللطيفة المسمى بشفا في تعريف حقوق نبي
مصطفا عليه صلوات الله وسلامه الى يوم الجزاء كتابة في مدينة خيربك
يوم الثلث المبارك تاسع ذي الحجة سنة احدى وثلثين ومائة والف
وانا اضعف العباد وافقرهم الى الله العزيز الجواد
ابن مصطفى بن علي الحسيني القططوي المدرس بمدرسة
سليمان صو باشي الواقع في داخل قسطنطينية المحمية
حماها الله عن الآفات والبلية وسائر البلاد
آمين نفعنا الله تعالى بشفاعته صلى الله تعالى عليه
عليه وسلم سلاما كثيرا كثيرا

قوبلت وصححت هذه النسخة الشريفة ورقا ورقا وسطرا سطرا في شهر
ربيع الآخر لسنة خمس وثلثين ومائة والف من هجرة من له العز والشرف
عن النسخة المعتمدة المصححة المنقولة في ثالث عشر محرم الحرام لسنة خمس وثمانين
وثمانمائة عن النسخة المعتنى بها لما أن قارئها رحمه الله تعالى قال افتخارا وتحديثا
لنعمه عز وجل وشكرا لكرمه ولطفه قرأت على مشايخ عدة كثيرة من الاجلاء و
صححت عن النسخة التي بلغت قراءته وتصحيحا على شيخنا الحافظ جمال الدين
ابي الحجاج المزي متع الله ببقائه وذلك يوم الخميس المبارك سادس شهر
ربيع الآخر لسنة تسع وثلثين وسبعمائة من الهجرة بدار الحديث
الاشرفية بدمشق رضوان الله عليهم
ونفعنا الله تعالى بشفاعتهم
آمين ...